الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

نيابة العمادة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات العامة

الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم

مفهومه وأسبابه، نتائجه وعلاجه

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية
تخصص عقيدة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
عبد الحكيم فرحات	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
صالح نعمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الملك خالد، أبها – السعودية	مشرفًا ومقررا
حجيبة شيدخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشًا
نورة بن حسن	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشًا
مصطفى ونتن	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضوا مناقشًا
عبد الرحمن تركي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	عضوا مناقشًا

إعداد الطالب
صالح محمد حمدي

إشراف الأستاذ الدكتور
صالح نعمان

السنة الجامعية: 2017 – 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يآ أَيُّهَا الذين ءامَنُوا اسْتَجيبُوا لله وَللرَّسُول إذَا دَعَاكُمْ لما يُحْييكُمْ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يحُولُ بيْن الْمرْء وقَلْبهَ وأَنَّهُ إلَيْه تُحْشَرُونَ﴾

(سورة الأنفال: 24)

إِهْدَاءُ

إلى والِديَّ العزيزين... نُورا بصري، ونَبْعا فؤادي ودعائي:

"ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا".

إلى زوجتي العزيزة... وولدَيّ العزيزين أروى ومحمد... نِعْم الدِّفء والسَّند

"ربِّ هبْ لي منهم قرّة عين في الدّاريْن".

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء من الرَّحم... دعائي لهم ولأهليهم بكل خيرٍ ورشاد.

إلى كل من أفادني علمًا أو تجربةً في الحياة... اللهمّ نوِّر قلوبهم كما أناروا درْبي.

إلى كل عاشقٍ للحقيقة ارتحل إليها بصدق... متّخذًا القرآنَ زادَه في رحلته.

أهدي ثمرة هذا العمل

صـــــــــــالــح

شـكـــر وعـرفـــــان

"لايشكر الله من لا يشكر الناس"

لا أنسى في هذا المقام -وقد يسر الله لي إتمام هذا البحث بمنّه وتوفيقه- فضل وإحسان كل الذين كانوا لي دعما مادّيا ومعنويًّا، وسندًا قويًّا في عملي، وأبدأ بوالدتي التي لا زلتُ ألْمس بركة دعائها وحنانها.. والدي د. محمد بن صالح حمدي، الذي ما فتئ يشجعني ويلهمني بجهاده الدؤوب في ميدان البحث والتّأليف والتّدريس... زوجتي التي شدّ الله بها أزري وأشْركَها في أمري ومسيرتي.

وأعرّج علىأستاذي د. صالح نعمان الذي تَكرَّمبالإشراف على العمل؛ فكان لي الأب الروحي قبل كونه مشرفًا موجّهًا، وكذلك صهري وأستاذي الكريم: أحمد بن قاسم جهلان الذي أعتبره مثالاً يحتذى في علو الهمَّة وقوة العزيمة. وأسدي عرفاني أيضا لكافة أفراد عائلتي الصغيرة والكبيرة.

ومن الهيآت والمراكز أذكر بالفضل وحُسن الجميل كلاً من مُركَب الفرقان وإدارته بمدينة باتنة... مكتب إدارة عشيرتي "البلات" بالقرارة، رابطة القراريين بالجزائر العاصمة وأذكر منأعضاء إدارتها: أستاذي سعيد حمدي. إدارة معهد المناهج وموقعه على الأنترنت "فييكوس Veecos.net" بالجزائر؛ وعلى رأسها أستاذي د.محمد بابا عمي... ونعم الأستاذ والرفيق... إدارة المكتبة الوطنية بالحامة (الجزائر).

إدارة كلية العلوم الإسلامية ومكتبتها بجامعة باتنة، وكافة أساتذتها وموظّفيها. مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية بوجدَة (المملكة المغربية).مكتبة المركز الثقافي لجامعة السلطان قابوس بمسقط (سلطنة عَمان)أستاذي د. محمد صالح ناصر شفاه الله ومتّعه بالصحة والعافية. وأذكر بالخير والجميل أيضا: أستاذي الدكتور عبد القادر علّيش، والأستاذة خديجة بوعجناق اللذين أفاداني كثيرا مما عُلّما حكمةً ورُشدًا. وكلَّ أساتذتي وشيوخي الذين كان لهم علي الفضل الكبير في رحلة بحثي.

كما لا أنسى كافّةَ أصدقائي وأحبابي في الله الذين ألهموني ورفعوا كثيرا من معنوياتي، بالكلمة الطيبة واللقاء بهم مرات، وبرسائل صامتة تهتف بها قلوبهم عن ظهر الغيب مرات ومرات، وأستسمح كل هؤلاء أن أخصّ بالذّكر صديقيْن وفيَّيْن؛ أعتبر كُلاًّ منهما لي بمثابة أخي الذي لم تلده أمي، وهما: أخويَّ حمدي بكير بن عبد الله،وابن الناصرأفلح بن عمر.إلى كل هؤلاء: ممن ذكرتهم بالاسم، ومن لم أذكر أسماءهم (أحصاه الله ونسوه) يعلم الله أني أحببتكم فيه، ولن أنس فضلكم وجميلكم علي ما حييتَ –بإذنه تعالى– وأدعو ربي ذا الفضل العظيم أن يجازيكم عني خير الجزاء، ويجزل لكم في العطاء، ويبارك لكم في أعمالكم وأعمارِكم وأهليكم... إنه سميع مجيب الدّعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يعتبر البحث في القرآن الكريممسؤولية جسيمة ومهمة جليلة، لاتّصالها بأقدس كلام... كلام الله عز وجل، ونوره المبين الذي أنزله ذكرا وهدًى للعالَمين، ويزداد ثقل المهمَّة وحجمها حين يبتغي الباحث مقاربة واقع الحياة، ومحاكمته إلى هذا الكتاب الخالد؛الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلْفه، تنزيل من حكيم حميد.

وإذا عدنا إلى واقعنا نحن المسلمين في هذا العصر لنتساءل ما هي علاقتنا مع القرآن؟ هل تنطبق أعمالنا وعلاقاتنا الإنسانية وتفاصيل حياتنا اليومية مع هداياته وتوجيهاته؟ وإذا جئنا نقيس أحوالنا الروحانية والنفسية...هل هي متوافقة مع سعادة النفس وطمأنينة القلب والحياة الطيبة؛ التي وعد الله بها عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة جميعا؟ الإجابة هذه التساؤلات هي واضحة لكل إنسان،لأنه أمر واقعيٌّ معاش لا يحتاج لفلسفة عميقة أو إجهاد كبير للعقل... إنها حال الإعراض عن القرآن والعمل بهدايته وأحكامه، وما أفرزته وتفرزه من نتائج في واقعنا؛ الذين لن يتغيَّر مالم نغيِّر نحن هذه الحال ويبدو أن المسلم في هذا العصر أصبح يحتاج أكثر من ذي قبل إلى الروح والمنطق العملي، إلى الأجوبة الواقعية لينطلق بها إلى ميدان الحياة فاعلاً ومفعِّلاً، أكثر من حاجته التفكير الطويل والعقيم من العمل وروح المبادرة والإنجاز. فمسألة العلاقة بالقرآن من نوع المسائل التي تحتاج إلى جهد تفكيريٍّ طويل، قدر ما تحتاج إلى جهد حقيقيٍّ دؤوب، ومادامت العلاقة بالقرآن هي علاقة شخصية فردية، قبل أن تكون علاقةً اجتماعيةً، فإن تغييرها والرقي بها إلى المستوى المطلوب... كذلك واجب شخصيٌّ

على كل فرد مؤمن بربه وبكتابه؛ الذي يخاطبه هو أولا قبل غيره، إلا أنَّ هذه المسؤولية تتفاوت مراتبها حسب استعدادات النفوس، ومؤهلاتها ومواهبها الفطرية، وهذا من تمام عدل الله ورحمته بعباده... ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

أولا: إشكاليـة الـدراسة

تتمثل إشكالية الدراسة: في ضعف فعاليَّة المسلم اليوم وغياب الصلاح الحقيقي من حياته، الصلاح الذي يعني ازدهار الحياة وإثمارها في نفسه ومحيطه، رغم انتسابه إلى أقدس كتاب وأعظمه: القرآن الكريم، الذي ما فتئ يتلوه ويستمع إلى آياته البينة لمناسبة ولغير مناسبةفعلاقتنا اليوم –نحن المسلمين– بالقرآن الكريم؛ صارت ترتكز على الجانب الشكلي الظاهري منه باعتباره ركنا أساسيا من أركان الإيمان: وهو الإيمان بالكتب، وباعتباره رسالة الله الخاتمة إلى خلقه، ويتجلى هذا الاهتمام في بذل الجهود لحفظه وتحفيظه، وتلاوته والاستماع له عبر الوسائل المختلفة.

ومثل هذا الالتزام على المستوى الشخصي نجده على المستوى الجماعي بحمد الله كذلك، فالمساجد تغص بروادها التَّالين لكتاب الله: فرادى وجماعات، والمدارس القرآنية منتشرة في ربوع العالم الإسلامي، بل المدارس الرسمية لا تُغفل من مقرَّراتها سورا قرآنية يحفظها التلاميذ في كل مستوى، كما نجد الهيآت الحكومية والخيرية حريصةً على القيام بشؤون الكليات والمعاهد الشرعية، التي تخرج في كل سنة المئات من الطلبة والباحثين الحاملين لمختلف الشهادات الجامعية، وغير ذلك من المظاهر المحمودة؛ المشكورة لأصحابهاوالتي تدلّ على تعظيم كتاب الله تعالى وتوقير أهله.

لكنَّ الإشكال يطرح حين نرى المفارقة بين الجانب النظري الإيماني لهداية القرآن، وبين واقعنا الحياتي كمسلمين، حيث التقصير في التزام أخلاقه الاجتماعية، والاهتمام بمقاصده الإيمانية والتربوية... ففي العلاقات الإنسانيةنجدضَعفَ أخلاق الحب والرحمة، والتسامح والإيثار...

وفي المعاملات المالية نجدكثرةَ الخوض فيها بغير فقه ولا التزام، إذْ غَدا الهمُّ لدى كثيرممن بسطَ لهم في الرزق: جمع المال وكنزه... بحلّه وبغير حلّه؛ ولو بتطفيف الميزان، أو التّغرير والغشّ، وعدم مراعاة الجودة والإتقان في الأعمال، كما أصبح

بالربا والارتشاء أمرا مستباحا بين أيدٍ غير قليلة، وكل أحد من هؤلاء يعتز بإسلامه بالقرآن العظيم.

فكان لكل ذلك أثره في تخلفنا الحضاري وضعفنا الروحي والمادي، وقابليتنا للغزو الأجنبي... بعد أن رفع القرآنُ سلفَنا الأولَ، الذين أخذوا بأسباب العزة والتمكين التي جاء بها هذا الكتاب المبين، وربطوا واقعهم بهديه وإرشاده، فصلُحت حياتهم وازدهرت، وسادت كلمتهم أصقاع العالم... -هذا من دون أن نجور في الحكم ونعمم، فالخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم ولن ينقطع بفضل الله تعالى، ولا يزال [إلى يوم الدين] الخَيِّرونَ في كل قُطرٍ، يجتهدون باستمرار في ربط حياتهم بهدْي ربّهم؛ جماعات وفرادى -

إنّ كلّما سلف منتوصيف للإشكال، هو تشخيص للدّاء على مستوى الظاهر؛ الذي يمثل الأعراض الخارجية للمشكلة وإفرازاتها الحتمية، أما جذورها الحقيقية فتعود إلى باطن كل فرد منّا باعتباره مسلما مصدِّقًا بهذا الكتاب المبين، أي هي على المستوى الفردي قبل أن تكون على المستوى الجماعي للأمة، انطلاقًا من أن التّكليفَ والمسؤوليةَ عند الله فردية؛ مثلما أن الحساب والجزاء على عاتق كلِّ نفسبما كسبت.

فالحلقة المفقودة بين الجانب النظري الانتمائيللقرآن، وبين انعكاسه العملي والواقعي في الحياة؛ يكمن -حسب تصورنا- في الخلل الذي أصاب القوة المبصرة لدى الفرد المسلم، وهي قلبه، فكان هذا الخلل عاملاً بارزا لإعراضه عن العمل بالقرآن الكريم.

وإذا عدنا إلى العامل الأساس في صلاح الجيل الأول من صحابة رسول الله واهتدائهم بنور الوحي؛ لوجدناه في قلوبهم حين أحيوها، نزلت فيها الهداية وحلّت بها السكينة، وصلُحت أحوالُهم وعلاقاتهم بربهم وبالناس من حولهم.

وإذا تأملنا حياة الشعوب الأخرى في الغرب وفي الشرق أيضا؛ لوجدنا الفرق بيننا وبينهم ليس في تقدمهم في العلوم ووسائل الحضارة وتأخرنا نحن فيها فحسب، بل الفرق الجوهري الذي نراه يكمن في الإنسان؛ الإنسان هناك -في الغالب الأعم، وليس في كل الأحوال- له قيمته الحقيقية وكرامته التي كرمه بها ربُّه...

قيم القرآن وهداياته في المعاملات من الإحسان والصدق والأمانة، والوفاء بالعهود

والمواثيق... تُطبق هناك ويرفع من شأنها بالفطرة، بينما الإنسان عندنا –عموما إلا ما ربي– لا يحظى بتلك القيمة والكرامة، ولا يجسد تلكم القيم الأصيلة والفطرية؛ رغم أننا ننتمي إلى الدين الحق، وإلى الكتاب المهيمن الذي كرم الإنسان، وكلّفه بأعظم مهمة الأرض وهي مهمة الخلافة.

يقول أحمد خيري العمري في هذا الشأن:

(وفي الغار نحن اليوم من جديد؟ بواقعنا المظلم، بأرقامنا التعيسة، بهزائمنا المتكررة، لكن كيف يمكن لنا أن نستعيد تلك المعاني، معاني الخروج من الغار؟

كيف يمكن لنا أن نحمل الآيات الثّقيلات، لتحملنا خارج هذا الواقع، صوب الفجر باتجاه النور في نهاية النَّفَق المظلم؟

هناك كتاب... ربما على الرف يعلوه الغبار، ربما في السيارة على سبيل الحرز والحماية، ربما معلق على الجدار، أو مصاغ ذهبا غاليا، زينة وخزينة... هناك كتاب، لم يكن مقررا له أن يكون في مثل هذه الأماكن، أو أن يستخدم على سبيل البركة أو الزينة، لكن جملة أخطاء (تاريخية غالبا) قادته إلى حيث لم يكن يجب أن يذهب... من حيث كان يجب أن يبقى: عقل الإنسان المسلم)[1].

بعد هذا العرض والتّحليل لإشكالية البحث يمكن صياغتها كالآتي:

ما هي حقيقة الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم؟ وما هي أسبابه ونتائجه؟

ثم كيف يمكن علاجه على مستوى تزكية النفس وتربيتها؟

وقد اخترتُ للبحث العنوان الآتي:

"الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم"مفهومه وأسبابه، نتائجه وعلاجه

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع

هناك جملة من العوامل التي دعتنا إلى اختيار موضوع "الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم" والبحث في إشكاليته... لعل أهمَّها:

1– لماذا نملك القرآن بين أيدينا ونتلوه بانتظام وبغير انتظام، في الصلوات وخارج

(1) العمري، أحمد خيري: البوصلة القرآنية (إبحار مختلف بحثا عن الخريطة المفقودة)، دار الفكر، دمشق، ط1: 2003م، ص 576.

أوقات الصلاة، ومع ذلك نشعر بهوَّة سحيقة بيننا وبينه؟ بين ما وعد الله عباده المؤمنين الصالحين في كتابه من الحياة الطيبة، وسكينة النفس واطمئنان وبين ما نشعر ونحيا به في دواخل نفوسنا من قلق على حاضرنا ومستقبلنا؟ومنشعور بالانفصال بيننا وبين الإنسان المخالف لنا في الدّين والمذهب والعرق؟ بيننا وبين الحياة في الطبيعية من حولنا؛ بمظاهرها الباهرة وكائناتها المختلفة؟

2- لماذا نقرأ القرآن؛وفي عقلنا الباطنيستقرُّ أنه خطاب لأناسٍ آخرين، مضوا وغبروا في التاريخ؟ أو أن معظم توجيهاته وتحذيراته للكفار والمشركين والمنافقين؛ القدامى منهم والمعاصرين؟ يخاطبهم ليردَّهم إلى حظيرة الإيمان، أما نحن فتديُّننا الموروث جعل القضية كأنها لا تعنينا إلا من باب التوكيد، أو من باب البشارة والطّمأنة بمصيرنا كمسلمين لمجرد أدائنا للشّعائر، ولجملة من العادات والمظاهر الشكلية، وكأنّ القرآن لم يتنزل إلا بالشعائر؛ على قيمتها وأثرها العميق في حياتنا لو فقهناها؟

3- الاعتقاد السائد بأن القرآن كتاب معقّد لا يفهمه إلا المثقفون وأهل الدراية باللغة وعلومها، وأن قداسته تفرض على الإنسان العادي –غير المثّقف– ألاّ يقربه بمحاولة فهم واستفسار عن معانيه، وعرضٍ لمشاكله وانشغالاته عليه، على سبيل الاستهداء والاسترشاد... مع أن المولى تعالى أخبر بصريح العبارة أنه ميسر للذكر ، ودعانا دعوة جادةً إلى تدبره والاعتبار والاتّعاظ به في آيات تجلُّ عن الحصر

4- هناك فجوةٌ بين الدين والحياة، وهذه الفجوة تكبر باستمرار، لأن تطور الحياة ووسائلها في تسارعٍ وازدياد، وفهمنا للدين وللقرآن بقي ثابتا لا يتحرك. ومن ثَمَّ أضحى القرآن –بسبب الإنسان المسلم– لا يلبي احتياجات النفس والروح الأساسية من الطمأنينة والسكينة والحنين إلى باريها، في عصرٍ سمته القلق والاكتئاب

ثالثاً أهداف بحث الموضوع

1. الهدف الأول: فهم العلاقة بين الإنسان والقرآن، على ضوء كتاب الله والواقع المعاصر.

العلاقة الحقيقية بين الإنسان والقرآن أعمق من مجرد كونها علاقة تلاوة وحفظ وتبرك، لأن هذا ما أصبح سائدا في فكرنا اليوم كمسلمين، نرى القيمة العظمى

الكبرى في جعل الأجيال الناشئة من البنين والبنات تحفظ القرآن حفظا كاملا أو كبيرة منه على الأقل، نعم ولا شك في قيمة هذا الاهتمام بجانبه التعبدي من خلال الحفظ والقراءة، لكن الجانب العملي التطبيقي لم يصبح له ذلك الاهتمام وتدنّى إلى مرتبة تالية... وهذا هو الإشكال.

فالهدف الأول من البحث فهم العلاقة الكامنة بين الإنسان والقرآن-التي يبدو أن كثيرا منا باعتبارنا مسلمين لم نفقهها بعد بتعاملنا معه بتلك الطريقة الشكلية- مادام أن خالق الإنسان هو منزل الفرقان ومبدع الأكوان يقول في محكم تنزيله:

﴿طَهَ (1) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرءانَ لِتَشْقَىٰ (2) إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (3) تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4)﴾(سورة طه: 1-4).

نريد أن نصل إلى فهمَ تلك العلاقة بين النظام الدقيق المحكم الذي يسير به المولى عز وجل مخلوقاته؛ والنظام الذي شرعه لعباده داعيا إياهم إلى الاستجابة له بمحض اختيارهم وإرادتهم، ليصلح حالهم ومعاشهم كما صلحت السماوات والأرض بالنواميس التي تحكمها.

2. الهدف الثاني: الوصول إلى منهجٍ متكامليحقّقبه الإنسان صلاح حاله بالقرآن العظيم.

الهدف الثاني الذي يصبو هذا البحث إلى مقاربته هو الوصول إلى منهج متكامل وشمولي لتحقيق الإنسان صلاح حاله بالقرآن، ذلك أن كثيرا من الطروحات التي طرحت قضية منهج التعامل مع كتاب الله -مع أهميتها وقيمة ما قدّمت- إلا أن ما يلاحظ فيها عموما التركيز على جانب من هذا الصلاح دون جانب آخر لا يقل أهمية منه، وأقصد بالضبط تحقيق التوازن والتكامل بين مكونات الكيان الإنساني: المنطقي مع العاطفي الوجداني، المادي مع الروحي، العقلي مع القلبي، الديني مع الدنيوي، الفردي إلى جانب الاجتماعي.

فهل إحساس الإنسان وشُعوره يقرأ له حساب أثناء التعامل مع كتاب الله في خطابنا الوعظي والتفسيري؟ ثم هل تُراعى سنة التدرج في خطاب الفرد بالقرآن؟ وهل يخاطَب الفرد المسلم على أن الكتاب يعنيك مباشرة دون واسطة، ويتحدث معك دون وليجة؟

3. الهدف الثالث: دفع الوعي نحو تفعيل دور القلب في ذات الإنسان، وأهمية انفتاحه على الحقيقة وامتثاله لها في صلاح حاله بالقرآن.

فالبحث يطرح أطروحةً فحواها: أن هناك قوَّة مدركةً في الإنسان قد تم تعطيلها وتحجيرها، إما من قِبل الأفراد –اتّباعًا من غير قصد ولا وعي– أو من قِبل هيآت حاكمة مهيمنة على الشعوب.. عن قصد وتعمد، فالمهم هناك تعطيل لهذه القوة عن أداء مهمتها ووظيفتها في الإنسان وهي قوة القلب والفطرة السليمة فيه، التي هي القسمة الإلهية العادلة والمشتركة بين جميع البشر على اختلاف مللهم ومشاربهم، وتفاوت قُدراتهم ومداركهم... هذه اللطيفة الربانية –كما يسميها الغزالي– أصبح ينظر إليها في ظل الحضارة الحديثة نظرة ثانوية وهامشية، مقارنة إلى النظرة المبجلة للعقل على أنه الجوهر المدرك لشتى المعارف والعلوم والحقائق، وما القلب إلا محل للعواطف والانفعالات وحسب.. فكيف يمكن إعادة التوازنبين عقل الإنسان وقلبه على ضوء القرآن؟

من هذا المنطلق جاء البحث ليدلي بدلوه –بفضل الله وتوفيقه– في مسألة الإعراض عن العمل بالقرآن، ويثبت أن صلاح أحوالنا لا يكون إلا بالعودة الحقيقية إلى منبع الهداية والصلاح "كتاب رب العالمين"، وأن تغيير ما بنا لا يتم إلا بتغيير ما بأنفسنا كما أخبر المولى تعالى، ثم أهمية انفتاح القلب وصدق العزيمة في علاج الإعراض، وتحقيق صلاح حال الإنسان بالقرآن.

رابعا: منهج الدراسة، والدراسات السّابقة

أما عن منهج الدراسة: فقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، وذلك في وصف واقعنا – نحن المسلمين– وتحليل ظواهره،والعودة إلى الوحي لمحاكمته إليه، وكذلك المنهج الاستدلالي في تحليل نصوص الوحي واستنباط العلاقات بينها، ومحاولة فهم الواقع على ضوئهاإنّ هذا الموضوع في إشكاليته الأساسية ليس بالجديد، فقد تناوله العلماء والباحثون في العقيدةوالفكر الإسلامي، والتّفسير الموضوعي للقرآن، فجاءت دراساتهم وتآليفُهم تدور حول فاعلية المسلم وعلاقته بالقرآن، أذكر منها على سبيل المثال لاالحصر مؤلّفات مالك بن نبي عن مشكلات الحضارة، ومن أهمها في هذا المجال: شروط النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، الظاهرة القرآنية. كتب الشيخ محمد

ومن أهمها: نظرات في القرآن، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، كيف نتعامل مع كتب الشيخ يوسف القرضاوي ومن أهمها: المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟.

بحوث ودراساتأحمد خيري العمري التي من أهمها: البوصلة القرآنية (إبحار عن الخريطة المفقودة) وكتاب: سيرة خليفة قادم، كتب مجدي الهلالي ومن أبرزها: إلى القرآن(كيف ولماذا؟)، تحقيق الوصال بين القلب والقرآن. وأخيرا كتب عالم الرياضيات الأمريكي المسلم "جيفري لانغ": الصراع من أجل الإيمان، حتى الملائكة ضياع ديني (صرخة المسلمين في الغرب).

وقد تعدَّدتْ المداخل وزوايا النظر إلى إشكالية الموضوع، وتنوَّعت تبعا لذلك طرق المعالجة والبحث والتحليل، وفي بحثي هذا اخترتُ: أن أتناولالإشكالية من زاوية رأيت أنها جدُّ مهمة؛ لم تستوف نصيبها من البحث والتأليف–في حدود اطّلاعي البسيط– وهي: زاوية الجانب الفردي الذاتي للإنسان، ومسؤوليته الشخصية نحو كتاب ربه، ثم دور انفتاحِ قلبه وتزكيته في تحقيق صلاح حاله بالقرآن، كما اخترتُ أن أركّز دراستي على ذاتية الإنسان، ولا أهتم كثيرا بالمسؤولية الجماعية والاجتماعية نحو هذا الموضوع.

خامسا: صعوبات البحث

أما عن الصعوبات التي اعترضتني في سبيل البحث، فأذكر أن أهمَّ صعوبة أو تحدٍّ حقيقي واجهته هو أن دراسةهذا الموضوع بمصطلحه "الإعراض" لم أجد –في حدود اطّلاعي البسيط كما أسلفتُ– من تطرق إليه من قبل، وهو ما يعني ندرة المصادر والمراجع التي تناولَتْه تناولاً مستقلاً، أو دراسةً مباشرةً.

الأمر الثاني هو أنّ هذا الموضوع رغم تصنيفه َفي علم العقيدة، إذ أنّ الإيمان بالقرآن الكريم هو ركن من أركان الإيمان وأساس من أسس العقيدة، إلاّ أنّه يشتبك ويرتبط ارتباطًا مفصليًّا بعدد من التّخصصات الأخرى، وهي تفسير القرآن الكريم والدراسات حوله في الأساس، وكذلك علم التّصوف أو فقه القلوب، علم النفس الحديث وعلوم التربية، وكذا علوم اللغة... وهو ما يستدعي من الباحث في الموضوع اطّلاعا لا بأس به في تلك التّخصصات.

سادسا: خطّة البحث

قسمت الدّراسة إلى مقدمة، با بين يتضمنان ستّة فصول، وخاتمة تلخّص أهم النتائج كالآتيالباب الأول يحوي مفهوم الإعراض، أسبابه ونتائجه، مقسَّما إلى أربعة فصول، الفصل الأول يدرس مفاهيم أساسية حول رسالة القرآن في حياة الإنسان، ضمن مبحثين، الأول: مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم، الثاني: أهم وظائف القرآن في حياة الإنسان.

أما الفصل الثاني فيدرس مفهوم الإعراض عن العمل بالقرآنوالمصطلحات ذات العلاقة به في كتاب الله، ضمن مبحثين، المبحث الأول: مفهوم الإعراض في اللغة والاستعمال القرآني، المبحث الثاني: المصطلحاتذات العلاقة بالإعراض في كتاب الله.

والفصل الثالث يدرس الأسباب الرئيسة لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن، ضمن أربعة مباحث، المبحث الأول: ضعف الرؤية الكونية التوحيدية، المبحث الثاني: قلة تمييز الإنسان بين ذاته الحقيقية وذاته المزيفة، المبحث الثالث: غياب حسّ الغاية والرسالة في حياة الإنسان، والمبحث الرابع:سوء الفهم للقَدَر، وعدم رَسوخ الإيمان بحقيقته في القلوب.

أما الفصل الرابع فيدرس أهم النتائج لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن، ضمن أربعة مباحث، المبحث الأول: نقض العهد والميثاق مع الخالق عز وجل، والمبحث الثاني: نسيان الله في السراء واليأس من رحمته في الضراء، والمبحث الثالث: ارتفاع ظاهرة القلق والاكتئاب النفسي، ثم المبحث الرابع: سيادة ثقافة الكره وعدم التسامح مع الآخر.

الباب الثاني من البحث يتطرق إلى علاج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم، من خلال فصلين، أما الفصل الأول فيقدّم رؤيةً عامةً في علاج الإعراض، ضمن أربعة مباحث، المبحث الأول: فيدرس أهمية تخصيص ورد يوميٍّ للقرآن تلاوةً وتد برا، والمبحث الثاني: يدرس قضية التوجه نحو القرآن اتِّباعا وعملاً به في الحياة، والمبحث الثالث: فيدرس الأسس الثلاثة لتحقيق الوصال مع القرآن، أما المبحث الرابع: فيبحث في قضية التيقّظ لعداوة الشيطان ومداخله إلى النفس.

أما الفصل الثاني فيقدّممقاربةً خاصةً بدور التزكية في علاج الإعراض، ضمن أربعة

مباحث، المبحث الأول: يدرس إحلال القلب مكانته من الذات الإنسانية، والمبحث الثاني: يتناول الوعي بسنّة الله في الابتلاء إيمانًا بالقَدَر، والمبحث الثالث:فيدرس وعي الإنسان بذاتهوموهبيها علاجا للإعراض، ثم أخيرا المبحث الرابع: يتطرق إلى قضية العزيمة وانفتاح القلب علاجا للإعراض.

وختمتَ البحثَ بخاتمة تُلخّص أهم النّتائج ا لـمتَوصَّل إليها؛ من خلال دراسة الموضوع، على ضوء كتاب الله عز وجل.

البـاب الأول

الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم

مفهومه، أسبابه ونتائجه

الـبـاب الأول: الإعـراض عـن الـعـمـل بـالـقـرآن الـكـريـم مـفـهـومـه، أسـبـابـه ونـتـائـجـه

الـفـصـل الأول: **مفاهيم أساسية حول رسالة القرآن في حياة**

الإنسان

المبحث الأول : **مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم**

المبحث الثاني : **أهم وظائف القرآن في حياة الإنسان**

الفصل الثاني : **مفهوم الإعراض عن العمل بالقرآنوالمصطلحات ذات العلاقة به في كتاب الله**

المبحث الأول : **مفهوم الإعراض في اللغة والاستعمال القرآني**

المبحث الثاني : **المصطلحاتذات العلاقة بالإعراض في كتاب الله**

الفصل الثالث : **الأسباب الرئيسة لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن**

المبحث الأول : **ضعف الرؤية الكونية التوحيدية**

المبحث الثاني : **قلة تمييز الإنسان بين ذاته الحقيقية وذاته المزيفة**

المبحث الثالث : **غياب حسِّ الغاية والرسالة في حياة الإنسان**

المبحث الرابع : **سوء الفهم للقَدَر، وعدم رسوخِ الإيمان بحقيقته في القلوب**

الفصل الرابع : **أهم النتائج لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن**

المبحث الأول: **نقض العهد والميثاق مع الخالق عز وجل**

المبحث الثاني: **نسيان الله في السراء واليأس من رحمته في الضراء**

المبحث الثالث: **ارتفاع ظاهرة القلق والاكتئاب النفسي**

المبحث الرابع: **سيادة ثقافة الكره وعدم التسامح مع الآخر**

الفصل الأول

مفاهيم أساسية حول رسالة القرآن في حياة الإنسان

يقتضي البحث في موضوع الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم، أولا البحث في مفاهيم أساسية حول رسالة القرآن في حياة الإنسان، وهي مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم، ثم التعرف على أهم وظائف القرآن في حياة الإنسان من خلال كتاب الله عز وجل، وذلك ما سنتطرق إليه بإذنه تعالى في الفصل الأول.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم

سنتطرق في هذا المبحث إلى تعريف مصطلح "الإيمان" أولا، لنعرج بعده إلى مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان

1- لغة

*جاء في معجم مقاييس اللغة: "(أَمن) الْهمزةُ والْميمُ والنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحدُهما الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، ومعناها سُكُونُ الْقَلْبِ، والْآخرُ التَّصْدِيقُ"[1].

*وجاء في لسان العرب: (أمن: الأَمانُ والأَمانةُ بمعنًى. وقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان. والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ. والأَمانةُ: ضدُّ الخيانة. والإِيمانُ: ضدُّ الْكُفْرِ. والإيمان: بمعنى التَّصْديق، ضدُّه التَّكْذيبُ. يُقَالُ: آمَنَ بِهِ قَوْمٌ وكَذَّبَ بِهِ قَوْمٌ، فأَما آمَنْتُه المتعدِّي فهو ضدُّ أَخَفْتُه. وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

ابْنُ سِيدَهْ:

والأَمَنَةُ: الأَمْنُ؛ ومنهُ: أَمَنَةً نُعاساً، ﴿وإِذ يَغْشاكم النعاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾...

---

(1) ابن فارس: أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، بيروت، 1399هـ – 1979م، (1/ 133).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للنّاس وأمنا﴾؛ قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمِن وأمين؛ عن اللّحياني، ورجل أمِن وأمين بمعنى واحد. وفي التنزيل العزيز: ﴿وهذا البلد الأمين﴾؛ أي الآمن، يعني مكّة، وهو من الأمن...

وحدّ الزجاج الإيمان فقال:

الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشّريعة؛ ولما أتى به النبيّ صلى الله عليه وسلّم، واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصّفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض عليه لا يدخله في ذلك ريب. وفي التنزيل العزيز: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾؛ أي بمصدّق. والإيمان: التصديق.

... واتّفق أهل العلم من اللّغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التّصديق. قال الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ قال: وهذا موضع يحتاج النّاس إلى تفهيمه، وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، وبه يحقن الدّم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه، لا يدخله في ذلك ريب فهو المسلم حقًّا)(1).

*وجاء في تاج العروس:

(قال بعض المحقّقين: الإيمان يتعدّى بنفسه كصدّق، وباللام باعتبار معنى الإذعان، وبالباء باعتبار معنى الاعتراف إشارة إلى أنّ التّصديق لا يعتبر بدون اعتراف.

وقد يكون الإيمان بمعنى: (الثّقة) يتعدّى بالباء بلا تضمين؛ قاله البيضاوي، رحمه الله تعالى.

وقال الجوهريّ: أصل آمن "أأمن" بهمزتين، ليّنت الثانية.

وقال الأزهريّ:

أصل الإيمان الدّخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها، فإن اعتقد التّصديق بقلبه كما صدّق فقد أدّى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التّصديق بقلبه فهو غير مؤدٍّ

---

(1) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم أبو الفضل: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ، (13/ 21).

للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب لو من أن يكون منافقا أو جاهلا لا يعلم ما يقول أو يقال له.

قال الإمام الرّاغب[1]، رحمه الله تعالى:

الإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتارة يستعمل على سبيل المدح هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح: إيمان)[2].

فالإيمان فيَ اللغة حَالة معَنوية للإنساَن تضم التصديق والإذعان والاعتراف بالحق والتزامه، باعتباره أمانةً على عنقه؛ لا تبرأ ذمته إلا بأدائها، وهذا ما يكسب صاحبه الأمن والأمان، وسكون النفس، واطمئنان القلب.

2- مفهوم الإيمان اصطلاحا:

اختلفت عبارات علماء الكلام في تعريف مصطلح الإيمان، لكنها كانت متقاربة في المعنى والمغزى، إذ لا تبتعد تعريفاتهم كثيرا عن المعنى اللغوي للمصطلح، فهذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[3] يعرفه بقوله:

(وهو [أي الإيمان] مشترك بين ثلاثة معان: إذ قد يعبّر به عن التصديق اليقيني البرهاني، وقد يعبّر به عن الاعتقاد التقليدي إذا كان جازماً، وقد يعبّر به عن تصديق معها العمل بموجب التصديق.

(1) الرَّاغب الأَصْفَهاني: (ت 502 هـ = 1108 م)الحسين بن محمد بن المفضل، أديب، من الحكماء العلماء. من أهلَ (أصبهان) سكن بغداد واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء – ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط) و (الأخلاق) و(المفردات في غريب القرآن – ط). ينظر: الزركلي: الأعلام (2/ 255). الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين – بيروت، ط15: 2002م.

(2)مرتضى الزبيدي:، محمد بن محمد الحسيني:تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت. (34/ 186-187).

(3) الغزالي: (450 – 505 هـ = 1058 – 1111 م) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف.

مولده ووفاته في الطابران، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. من كتبه (إحياء علوم الدين – ط) أربع مجلدات، و(تهافت الفلاسفة – ط) و(الاقتصاد في الاعتقاد – ط). ينظر: الزركلي: الأعلام (7/ 22).

ودليلالإطلاقهعلىالأول، أنمنعرفاللهتعالىبالدليلوماتعقيبمعرفتهفإنانحكمبأنهماتمؤمناً.
ودليلالإطلاقهعلىالتصديقالتقليديأنجماهيرالعربكانوايصدّقونرسولاللهتعالىصلىاللهعليهوسلمبمجردإحسانهإليهموتلطفهبهمونظرهمفيقوانينأحواله،منغيرنظرفيأدلةالوحدانيةووجهدلالةالمعجزة، وكانيحكمرسولاللهصلىاللهعليهوسلمبإيمانهم...

ودليلالإطلاقهعلىالفعل،قولهعليهالسلام: "لايزنيالزانيوهومؤمنحينيزني"،وقولهعليهالسلام: "الإيمانبضعةوسبعونباباً،أدناهاإماطةالأذىعنالطريق")(1).

وعن العلاقة بين الإيمان والإسلام يقول الغزالي: (...الإيمانعبارةعنالتصديق،قالاللهتعالى:﴿وماأنتبمؤمنلنا﴾

أيبمصدِّق،والإسلامعبارةعنالتسليموالاستسلامبالإذعانوالانقيادوتركالتمردوالإباءوالعناد،وللتصديقمحلخاصوهوالقلب،واللسانترجمان.

وأماالتسليمفإنهعامفيالقلبواللسانوالجوارح،فإنكلتصديقبالقلبفهوتسليموتركالإباءوالجحود، وكذلكالاعترافباللسان، وكذلكالطاعةوالانقيادبالجوارح.

فموجباللغةأنالإسلامأعموالإيمانأخص،فكانالإيمانعبارةعنأشرفأجزاءالإسلام،فإذنكلتصديقتسليموليسكلتسليمتصديقاً)(2).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم(3): (الإيمانُ درجاتٌ ومنازلُ،وإنكانَالإسمُأهلُهاسماً واحداً،وإنّماهوعملٌمنأعمالٍ تعبَّدَاللهُبِهِ فرضَهُعلىجوارحهم،وجعلأصلَهُفيمعرفةِالقَلْبِ،ثُمَّجعلالْمنطقشاهداًعليه،ثُمَّالأعمالَمصدِّقةً له،وإنَّماأعطىاللهُكُلَّجارحةعملاًلم يعطهاالأخرى، فعملُالقلبِ: القَوْلُ،وعملُاليدِ: التناوُلُ،وعملُالرِّجلِ: المشي،وكلهايجمعهااسم العمل. فالإيمانُعلىهذاالتناوُلإنَّماهوكُلُّهمبنيٌّعلىالعملِ،منأوَّلِهإلىآخره..

(1)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان، ط1: 1424 هـ – 2004 م، (ص 122).

(2)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة – بيروت، (1/ 116).

(3)أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الخراساني البغدادي (157-224هـ/774-838م): من كبار علماء الحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. ورحل إلى بغداد، فولي القضاء بطرسوس. ثمَّ إلى مصر وبغداد وحجَّ فتوفّي بمكة. من كتبه: "الغريب"، و"الأجناس من كلام العرب"، و"الأموال". ينظر: الزركلي: الأعلام، 176/5.

وزعممنخالفناأنّالقولدونالعمل، فـهذاعندنامـتناقض،لأ نّـهإذاجعلهقولا فـقدأ قـرّأ نّـهعمل–وهولايدري–، بماأعلمتكمنالعلةالموهومةعندالعربفيتسميةأ فـعالالجوارحعملا.
وتصديقهفيتأويلالكتابفيعملالقلبواللسان، قـولاللهفيالقلب:
﴿إلامنأكرهو قـلـبـهمطمئنبالإيمان﴾ [النحل:106]. وقال:
[التحريم:4]. وقال: ﴿الذينإذاذكراللهوجلت قـلوبـهم﴾ [الحج:35].

...

وإذاكانالقلبمطمئنامرة،ويصغأخرى،و يـوجلثالثة،ثميكونمـنـهالصلاحوالفساد،فأ يـعملأ ذا؟)[1].

فالإيمان على هذا التعريف التزام عملي بين العبد وخالقه، روحه العمل؛ فإن انتفى منه لم يصِر للإيمان معنى، وإنما لكل جارحة في المرء وظيفتها، فوظيفة القلب الاعتقاد، ووظيفة اللسان القول والإقرار، والجوارح الأخرى تصدّق ما في القلب، ولذلك كانت معرفة القلب هي أصل الإيمان، ويبقى التفاوت بعد ذلك بين الخلق في درجات إيمانهم... حسب الجهد والإخلاص فيه.

ويقول ابن أبي العز الحنفي[2] في شرحه للعقيدة الطحاوية: (والكتابـوالسنةمملوءانبمايدلعلىأنالرجللايـثبـتـلهحكمالإيمانإلابالعملمعالتصديق،وهذاأ كثرمنذكرالصلاةوالزكاة،فإنتلكإنمافسرتـهاالسنة،والإيمانـبـيـنمعناهالكتابـوالسنة.
﴿إنماالمؤمنونالذينإذاذكراللهوجلتـقلوبـهم﴾ [الأنفال: 2]. و قـولهتـعالى:
﴿إنماالمؤمنونالذينآمنوابااللهورسولهثملميـرتابوا﴾ [الحجرات: 15].

...

ولا يـقالإ نّـ بـ يـنـ تـفسيرالنبيصلىاللهعليهوسلمالإيمانفيحديثجبريلو تـفسيرهإياهفيحديث ارضة،لأ نّـهفسرالإيمانفيحديثجبريلـ بـعدتـفسيرالإسلام،فكانالمعنىأ نّـهالإيمانباللهوملائ

(1) أبو عبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعةالأولى، 1421هـ –2000م، ص 52 – 54.

(2) ابنأبيالعزّ (731 – 792 هـ = 1331 – 1390 م) عليبنأبيالعز،الحنفيالدمشقي: فقيه. كانقاضيًالقضاةبدمشق،ثمبالديارالمصرية،ثمبدمشق. لهكتب،منها " التنبيهعلىمشكلاتالهداية " فقه،و" النوراللامعفيمايعملبهفيالجامع " أيجامعبنيأمية. ينظر: الزركلي: الأعلام (4/ 313).

سلهوالْ يـ.وما الآخر معالأعمالالتيذكرهافي تـ.فسيرالإسلام، كماأنّالإحسانمتضمنللإيمانالذيقدّ
قـ. بـ..لذكره)[1].

ويقول الشيخ عبد الكريم القشيري[2] في حقيقةالإيمان:

(حقيقةالإيمانالتصديقثمالتحقيق،وموجبالأمرينالتوفيق.

والتصديقبالعقل،والتحقيقببذلالجهد،فيحفظالعهد،ومراعاةالحدّ.

فالمؤمنونهمالذينصدّقوباعتقادهم،ثمالذينصدقوافياجتهادهم)[3].

ويقول علي بن عثمان الهجويري[4]في كتابه"كشف المحجوب":

(إن للإيمان أصلا وفرعا، وأصله التصديق بالقلب، وفرعه مراعاة الأمر، والعرب يسمون فرع الشيء على وجه الاستعارة باسم الأصل، مثلما يسمون نور الشمس في اللغات بالشمس، وبهذا المعنى يسمي فريق الطاعة إيمانًا، لأن العبد لا يصير آمنا من إلا بها، والتصديق المجرَّد لا يقتضي الأمن، ما لم يؤد [العبد] أحكام الأمر)[5].

أما محمد رضا الحسيني الشيرازي فيرى أن الإيمان يتضمن ثلاثة أركان فيقول:

(الإيمان لا يعني العلم فقط، بل يعني مضافا إلى ذلك، الإذعان لما تعلق به العلم.

فهنالك أمور ثلاثة:

---

(1)ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة، 1417هـ – 1997م (2/ 513).

(2)زين الإسلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري (376-465هـ/986-1072م): شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفّي فيها. من كتبه: "التيسير في التفسير"، و"لطائف الإشارات"، و"الرسالة القشيرية". ينظر: الزركلي: الأعلام، 57/4.

(3) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة، د.ت (1/ 5).

(4)الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان الجلابي الغزنوي، (ت 465هـ)، ولد في غزنة بإيران أواخر القرن 4 الهجري. متصوف مسلم، من أهم آثاره كتاب "كشف المحجوب". ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. Wikipedia.org

(5)الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي: كشف المحجوب، تعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، ط: دار النهضة العربية بيروت، 1980. نقلا عن: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص129.

1- العلم بالشيء: يحصل ذلك عندما يتحقق وضع المواجهة مع الشيء، وتنطبع صورته في الذهن تماما كالمرآة، وبها تنكشف الحقيقة الخارجية.

2- إذعان النفس لما علمت به وتسليمها له عقليا ونفسيا: إذ قد يعلم الإنسان بشيء إلا أنه يجحد به كما قال سبحانه: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظُلْما وعَلُوًّا﴾ [النمل: 14]، وهذا الإذعان هو الإيمان، مع اقترانه بالإقرار باللسان في الجملة.

3- الجري العملي وفق العلم والإيمان، ولعل إدراج الجري العملي في مفهوم الإيمان في جملة من الأحاديث الكريمة، من باب إطلاق الملزوم على لازمه، أو من باب أن الإيمان حقيقة تشكيكية ذات مراتب مختلفة من حيث الشدة والضعف.

فالإذعان المصحوب بالجري العملي التام مرتبة عليا من الإيمان، وبالجري العملي الناقص مرتبة متوسطة، وبلا جري عملي مرتبة دنيا... وبين هذه المراتب ما لا يعدّ من الدّرجات بحسب كمال الجري العملي ونقصه)[1].

ومن أشهر الأحاديث المروية في حقيقة الإيمان، وتضمُّنه العمل شرطًا أصليًّا وجوهريا... حديث: " ليسالإيمانبالتَّمنِّيولابالتَّحلّي،ولكنماوقرفيالقلبوصدّقهالعمل"[2].

وقد ذكرأبوسليمانالخطابيفيشرح الحديثأوجها ثلاثة لتفسير التمنّي من بينها: (أنيكونتمنّىبمعنتلاوقرأ،ومنهقولهتعالى: {إِذَاتَمَنَّىأَلْقَىالشَّيْطَانُفِيأُمْنِيَّتِه} [الحج:52] يريد-واللهأعلم-

إذاتلاألقىالشيطانفيتلاوته،وإلىهذايتوجهقولمنيريدأنالإيمانليسبقولتظهرهبلسانكفقط،لكنهقول

---

(1)محمد رضا الحسيني الشيرازي: التّدبر في القرآن، ط2: دار العلوم، لبنان، 2010م، ج1/ ص332 - 333.

(2)رواه أبو نعيم الأصبهاني بلفظ: حَدَّثَنَاأَبُوالْحَسَنسَهْلُبْنُعَبْدِاللَّهِالتُّسْتَرِيُّ،حَدَّثَنَاالْحُسَيْنُبْنُإِسْحَاقَ،حَدَّثَنَاعَبْدُالسَّلَامِبْنُصَالِحٍ،بِمَكَّةَ،حَدَّثَنَايُوسُفُبْنُعَطِيَّةَ،حَدَّثَنَاقَتَادَةُ،عَنْأَنَسِبْنِمَالِكٍ،قَالَ: قَالَرَسُولُاللَّهِصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

" لَيْسَالْإِيمَانُبِالتَّمَنِّيوَلَابِالتَّحَلِّي،وَلَكِنْمَاوَقَرَفِيالْقَلْبِوَصَدَّقَهُالْفِعْلُ،وَالْعِلْمُعِلْمَانِ: عِلْمٌبِالْقَلْبِوَهُوَالْعِلْمُالنَّافِعُ،وَعِلْمٌبِاللِّسَانِفَهُوَحُجَّةُاللَّهِعَلَىخَلْقِهِ ".الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله:الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية لأبي نعيم،تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م، (ص: 85).

تشيعها المعرفة منقلبك، ويساعدها التصديق منفعلك)[1].

وفي القرآن الكريم ذِكْر لمفهوم التَّمنّي في إيمان كثير من الناس، محذّرا من مغبة الوقوع فيه كما وقع فيه أهل الكتاب من قبل، فجاء في ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿لَيس بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَّعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا وَمَن يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ اَوُ اُنثَى وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 123-124]

(ولقد كان اليهود والنصارى يقولون: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ»... وكانوا يقولون: «لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً»... وكان اليهود ولا يزالون يقولون: إنهم شعب الله المختار! ولعل بعض المسلمين كان تتراود نفوسهم كذلك فكرة أنهم خير أمة أخرجت للناس. وأن الله متجاوز عما يقع منهم... بما أنهم المسلمون... فجاء هذا النصير دُّ هؤلاء وهؤلاء إلى العمل، والعمل وحده)[2].

وفي شرح حديث "ليس الإيمان بالتمنّي" يقول الإمام ابن تيمية:

(لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي – يَعْنِي الْكَلَام – وَ قَوْلُه: بِالتَّحَلِّي. يَعْنِي أَنْ يَصِيرَ حِلْيَةً ظَاهِرَةً لَهُ فَيُظْهِرُهُ مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ مِنْ قَلْبِهِ، وَمَعْنَاهُ لَيْسَ هُوَ مَا يَظْهَرُ مِنْ الْقَوْلِ، وَلَا مِنْ الْحِلْيَةِ الظَّاهِرَةِ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، فَالْعَمَلُ يُصَدِّقُ أَنَّ فِي الْقَلْبِ إيمَانًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ كَذَّبَ أَنَّ فِي قَلْبِهِ إيمَانًا، لِأَنَّ مَا فِي الْقَلْبِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعَمَلِ الظَّاهِرِ. وَانْتِفَاءُ اللَّازِمِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ. وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ بِإِسْنَادِهِ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَتَبَ إلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسَائِلَ. فَأَجَابَهُ عَنْهَا: سَأَلْت عَنْ الْإِيمَانِ فَالْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ، أَنْ يُصَدِّقَ الْعَبْدُ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَمَا ... وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَسَأَلْت عَنْ التَّصْدِيقِ. وَالتَّصْدِيقُ: أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِمَا صَدَّقَ بِهِ مِنْ الْقُرْآنِ، وَمَا ضَعُفَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ وَفَرَّطَ فِيهِ عَرَفَ أَنَّهُ ذَنْبٌ وَاسْتَ .

(1)الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد البستي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: 1402هـ – 1982م، (3/ 101).

(2)سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي:في ظلال القرآن،دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة:17، 1412هـ، (2/ 762).

صرعليه،فذلك هو التصديق)[1].

ويقول النووي في شرحه لصحيح مسلم، في بيانه لمفهوم الإيمان وعلاقته بالإسلام:

(أصلالإيمانالتصديق،وأصلالإسلامالاستسلاموالانقياد، فـقديكونالمرءمستسلمافيالظاهر فيالباطن،وقديكونصادقافيالباطنغ يـ.رم ـ.قادفيالظاهر .وقالالخطابيأيضافيقولالنبيصلىاللهعليهوسلم يمانبضعوسـ.ـعونشعبة فيهذاالحديث بـيانأنالإيمانالشرعيااسملمعنىذيشعبوأجزاءلهأدنىوأعلى،والا علقب بـ.ـعضهاكما يـ. تـ.ـعلقبكلها،والحقيقة تـ قتضيجميعشعبهوتسـ تـ.ـوفيجملةأجزائه...

وقالالإمامأبومحمدالحسـ يـ.ـن بـ.ـنمسعودالـ بـ غويالشافعي[2] رحمهالله؛فيحديثسؤالجبريل هعليهوسلممعنالإيمانوالإسلاموجوابه،قال: جعلالنبيالإسلاماسمالماظهرمنالأعمال،وجعلالإيم مالمابطنمنالاعتقاد، وليسذلكلأنالأعماليستمنالإيمان،والتصديقبالقلبليسمنالإسلام، بـ.ـلذلك لجملةهيكلهاشيءواحدوجماعهاالدين)[3].

مجمل القول في مفهوم الإيمان اصطلاحا، أنه تلك الحقيقة المركّبة من عنصرين جوهريين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وهما:

1- التصور النظري: وهو اعتقاد القلب ومعرفته بالحقائق الإيمانية التي يتلقاها من الوحي.

2- التطبيق العملي: وهو تمثُّل الجوارح لتلك المعتقدات على أرض الواقع.

ويبقى التفاوت بين المؤمنين في درجات إيمانهم على حسب الجهد والإخلاص فيه.

وأغلب نصوص القرآن الكريم التي تتحدث عن الإيمان، جاءت بالعبارة وبالإشارة مبيِّنةً تلازم العنصرين -التَّصوُّري والتطبيقي- في بناء حقيقة الإيمان وترابطهما؛ على المستوى الفردي والجماعي.

---

(1)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم:مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودي، 1416هـ/1995م، (7/ 294).

(2) البغوي (436 – 510 هـ = 1044 – 1117 م) الحسينبنمسعود،أبومحمد:فقيه،محدث،مفسر. نسبتهإلى (بغا) منقريبخراسان. له من المؤلفات (التهذيب) فيفقهالشافعية،و(شرحالسنة) فيالحديث،و (لبابالتأويلفيمعالمالتنزيل) فيالتفسير. ينظر: الزركلي: الأعلام (2/ 259).

(3)النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف:المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، (1/ 145).

المطلب الثاني: مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم

الإيمان بالقرآن الكريم يعني بكل بساطة أن يؤمن الإنسان أن الخالق الذي خلقه وأبدع صنعه، وفضّله على كثير ممن خلق، وكّله بمهمة جليلة... مهمة الخلافة في الأرض، وأنزل إليه كتابا يرشده ويوجهه –خلال رحلة حياته– إلى كيفية قيامه بتلك المهمة. إذا كان الإيمان هو التصديق كما رأينا في تعريفه... وليس التصديق القلبي فحسب بل التصديق العملي الذي تُصدّق فيه حركة الجوارح معتقدات القلب، فإن الإيمان بالقرآن –باعتباره خطاب الخالق ورسالته إلى البشر– يعني تجسيد حقائقه وتعليماته إلى سلوكات وأفعال، وحضارة تسود واقع الحياة الاجتماعية، فإن لم يتحقق ذلك غدا الإيمان بالقرآن حينها مجرد ادّعاء، وشعار خال من أيّ حقيقة.

وحين نقلّب النظر في كتب العقائد وعلم الكلام نجد الحديث عن هذه النقطة تحت عنوان: النبوة والرسالة، أو ضرورة الرسالة، أو الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل... أو ما شابه ذلك، ولا نجد –في الغالب الأعم– حديثا مفصلا يخص الإيمان بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأخير للهداية والرحمة، اللهم إلا بعض القضايا المطروحة حوله: كقضايا الإعجاز اللغوي والبلاغي، أو قضية خلق القرآن.

فنجد مثلا القاضي عبد الجبار المعتزلي(1)، يقول في هذا الصدد عن الحكمة من الرسل عموما:

(أن وجوب المصلحة و قُبح المفسدة متقرران في العقل، إلا أنّا لما لم يمكنّا أن نعلم عقلا أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة، بعث الله تعالى إلينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال، فيكونوا قد جاؤوا بتقرير ما قد ركّبه الله تعالى في عقولنا، وتفصيل ما تقرر فيها، والحال في ذلك كالحال في الأطباء، إذا قالوا إن هذا البقل ينفع وذلك يضر، وكنا قد علمنا قبل ذلك أن دفع الضرر عن النفس واجب، وجر النّفع إلى النّفس حسن، فكما لا يكون والحال ما قلناه؛ قد أتوا بشيء مخالف للعقل، فكذلك حال هؤلاء

---

(1) القاضي عماد الدين أبو الحسن عبد الجبَّار بن أحمد الهمداني (ت: 415هـ)، شيخ المعتزلة، اشتهر لديهم بقاضي القضاة. لَهُ عدَّة مُؤلَفات، وصلنا منها: "شرح الأصول الخمسة"، و"تنزيه القرآن عن المطاعن"، ورسالة: "المختصَر في أصول الدين". ينظر: مُقدِّمة كتابه: "تنزيه القرآن عن المطاعن"، ص2.

الرُّسل)[1].

أما أبو حامد الغزالي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" فيقول عن الحكمة من النّبوة:

(إن النبي صلى الله عليه وسلم يرِدَ مخبرا بما لا تستقل العقول بمعرفته، ولكن تستقل بفهمه إذا عرِف؛ فإنّ العقل لا يرشد إلى النافع والضّار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد، ولا يفرق بين ا لمشقي وا لمسعد، كما لا يستقل بدرك خواص الأدوية والعقاقير، ولكنه إذا عَرف.. فهم وصدّق وانتفع بالسماع؛ فيجتنب الـمهلك، ويقصد المسعدَ، كما ينتفع بقول الطبيبَ في معرفة الدّاء والدّواء، ثم كما يعرف صدق الطّبيب بقرائن الأحوال... فكذلك يستدلّ على صدق الرسول بمعجزات وقرائن حالات)[2].

ونجد الشيخ محمد الغزالي[3]، من المعاصرين يقول في هذا الصدد:

(وحاجة العالم إلى الرسل ماسة، فلو تُركت أزمة الفكر الإنساني للاجتهاد المحض لضل الناس رشدهم، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تُصلح حالهم ومآلهم.

... أحسب أنه لو لم تأتنا رسل من عند الله تعرفنا بوجوده، لبحثنا نحن عن سر الوجود، وستصل أفكار حصيفة حتما إلى الجزم بأن هذا الكون لن يخلقه الوهم ولن ينظّمه العدم، بل لابد من خالق موجود وقدرة منظّمة.

ولكن هذه الأفكار الصحيحة ستكون فروضا قلقة، وقد تجرفها الآراء المناقضة، والمذاهب الملحدة... ومن ثَم فإن بعثة الرسل كانت ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضّرب في بيداء طامسة... وليست وظيفة الرسل هذا الإرشاد العقلي إلى حقائق الحياة فحسب، بل إن تربية الأصحاب والأتباع على هذه المبادئ من أهم ما جاءوا له.

---

(1)عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن الهمذاني، المعتزلي: شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2: 1988. ص565.

(2)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، دار المنهاج، جدة، السعودية، ط1: 2008م، ص 256.

(3) الغزالي، محمد أحمد السقا (1335هـ،1917م-1416هـ،1996م): أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، انضم في شبابه إلى جماعة الإخوان المسلمين وتأثّر بمرشدها حسن البنّا، أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات منها: عقيدة المسلم، هموم داعية، التعصب والتّسامح بين المسيحية والإسلام... ينظر: راغب السرجاني: محمد الغزالي... إمام الأئمة، مقال منشور بموقع "قصة الإسلام" الإلكتروني، 2014/06/19، WWW.ISLAMSTORY.COM

والتربية كالذوق، شيء ليس في الكتب، إنها ليست حشو الأذهان بالمعلومات، ولا الحياة بالأوامر العسكرية، بل إن التربية الدينية التي تولّاها الأنبياء وكتبوا بها صحائف في التاريخ، تقوم على إحداث تغير نفساني عميق، يشبه تغير الطّين بعد نفخ الروح فيه)[1].

ويعني الإيمان بالقرآن الكريم صدق الإنسان مع ذاته في التسليم لوحي ربه قائدا له في مسيرة حياته؛ يحتكم إليه في كل شؤونه وأمور دنياه، وفي علاقته مع الحق وارتباطه مع الخلق، وأنه بذلك التوجه لا يناله أيُّ شقاء، بل يعيش سعيدًا مبتهجا بجنابه، واثقا بربه، مستصحبا نصرته ومعيته على الدوام.

ولعل هذا بعض ما يعنيه قوله تعالى في أول سورة طه: ﴿طَهَ مآ أَنزلْنَا علَيكَ الْقُرءانَ لتشْقَىإلاّ تذْكرةً لمن يَّخْشَى﴾ [طه: 1-3]

اعتاد المَفسرون تفسير هذه الآية على أنها خطاب للنبي محمد؛ تطمينه بنفيِ أيِّ شقاء عنه؛ وهو يبلغ الوحي المنزل عليه.. وهو يدعو قومه إلى الإيمان بها والاصطباغ بصبغتها، قال الإمام محمد بن جرير الطبري[2] في تفسير الآية: (ماأنزلناهعليكفنكلّفكمالاطاقةلكبهمنالعمل،وذُكرأنهقيلللهذلكبسببماكانيلقىمنالتَّصبوالعناءو والسهرفيقيامالليل)[3].

ويذكر الإمام فخر الدين الرازي[4] في تفسير الآية، عددًا من الأوجه، منها أن الآيات

---

(1) محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط 4: 1984م، ص 188-189.

(2) ابنجريرالطَبري (224 - 310 هـ = 839 - 923 م) محمدبنجريربنيزيدالطبري،أبوجعفر: المؤرخالمفسرالإمام. ولدفيآملطبرستان،واستوطنبغدادوتوفيبها. وعرضعليهالقضاءفامتنع، له (أخبار الرسل والملوك) يعرفبتاريخالطبري،في 11 جزءا،و(جامعالبيانفيتفسيرالقرآن) يعرفبتفسيرالطبري،في 30 جزءا،وهومنثقاتالمؤرخين، ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 69).

(3)الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 2000 م، (18/ 269).

(4)الفَخْرالرَّازي (544 - 606 هـ = 1150 - 1210 م) محمدبنعمر،أبوعبدالله،فخرالدينالرازي: الإمامالمفسر،

أصلهمنطبرستان،ومولدهفيالريوإليهانسبته،رحلإلىخوارزموماوراءالنهروخراسان،أقبلالناسعلىكتبهفيحياتهيتدارسونها.منتصانيفه (مفاتيحالغيب) فيتفسيرالقرآنالكريم،و(لوامعالبيناتفيشرحأسماءاللهتعالىوالصفات) و(معالمأصولالدين) ينظر: الزركلي: الأعلام (313/6).

جاءت

(تعريفًا لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو السلام، وهذا القرآن هو السلام إليك ليكون سببًا في إدراك كل سعادة، وما فيها لكفرة هو الشقاوة بعينها)[1].

وأيضا: (هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهورًا تحت ذل أعدائه، فكأنه سبحانه قال له: لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة أبدًا، بل يعلو أمرك ويظهر قدرك، فإنا ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتبقى شقيًا فيما بينهم بل لتصير معظمًا مكرمًا)[2].

ويذَهب صاحَب تفسير "روح المعَاني" إلى أن معنى الآية وهي تخاطب النبي: (ما أنزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد؛ في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم والتحسر على أن يؤمنوا به، كقوله تعالى شأنه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ [الكهف: 6]... بل للتبليغ والتذكير، وقد فعلت فلا عليك إن لم يؤمنوا بعد ذلك. أو لتصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة)[3].

وأما سيد قطب[4]، فيقول في معنى الآيات:

(ما أنزلنا عليك القرآن ليؤدي بك إلى الشقاء بها أو بسببه.

ما أنزلناه لتشقى بتلاوته والتعبد به؛ حتى يجاوز ذلك طاقتك ويشق عليك، فهو ميسر للذكر، لا تتجاوز تكاليفه طاقة البشر، ولا يكلفك إلا ما في وسعك، ولا يفرض عليك إلا ما في طوقك...

وما أنزلناه عليك لتشقى مع الناس حين لا يؤمنون به.

---

(1) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1420 هـ (22/ 6).

(2) المصدر السابق، (22/ 7).

(3) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ، (8/ 466).

(4) سيِّد قطب بن إبراهيم (1324–1387هـ/ 1906– 1967م): مفكر إسلاميٌّ مصريٌّ، تخرَّج بكليَّة دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي «الرسالة» و«الثقافة». وانضمَّ إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، فعكف على التأليف والنشر وهو في سجنه، إلى أن استشهد إعداما. له عدَّة كتب، منها: «العدالة الاجتماعيَّة في الإسلام» و«التصوير الفني في القرآن»، وتفسير «في ظلال القرآن». ينظر: الزركلي: الأعلام، 3/147–148.

فلستمكلّفاًأنتحملهمعلىالإيمانحملاً،ولاأنتذهبنفسكعليهمحسرات)[1].

والآن بعد هذه المعاني السالفة الذكر لقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ نتساءل ما هو حظّ الفرد المسلم –اليوم وفي كل عصر– من هذه الآية؟ والعَبرة في بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي آيات أُنزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم ابتداء ولا شكّ، لكنها تُخاطب أمته من بعده إلى يوم الدين، وهو ما سماه أبو حامد الغزالي "التخصيص"؛ الذي يعني أن يقدّر القارئ للقرآن أنه هو المقصود بكل خطاب في فإن سمع أمرا أو نهيا قدّر أنه هو المأمور والمنهي، وإن سمع قصة من قصص الأنبياء أو الغابرين في الماضي، فهم أنه مطالَب بالاعتبار من أحوالهم وهكذا[2].

إنّ من تمام إيمان المَسلم بكتاب ربه، أن يؤمن بأنّه هو المصدر الأول والأساس لسعادة نفسه، وعيشه الحياة الطيبة؛ التي وعده الرحمن بها في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً..﴾[النحل: 97]، فإن وجد حياته مَنغصة، َويعيش حال ضيقَ ونكَد مستمرين فليراجع إيمانَه بقرآنه والتزامه بأحكامه، لأن القرآن –بصريح عبارته– ينفّي الشقّاء تماما عن الإنسان إذا ما صاحبه ولازم هديه، في كل ما يأتي ويذَر.

وفي سورة طه ذاتها التي افتتحت بهذه الحقيقة –نفي الشقاء بنزول القرآن–، تؤكّد المعنى ذاته، مرة ثانيةً في سياق قصة سيدنا آدم عليه السلام: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه: 123]، فمن تمام الإيمانَ بالله َوبكتبه أن يصدّق القارئ لكتاب الله؛ مَا يعتقده في قلبه.

يقول عبد الكريم القشيري في هذا الشأن: (فالقرآنتبصرةلذويالعقول، تذكرةلذويالوصول،فهؤلاءبهيستبصرون، فينالونبهراحةالنّفسفيآجلهم،وهؤلاءبهيذكرون،فيجدونروحالأنسفيعاجلهم)[3].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا[4] عن العلاقة بين الإيمان والاهتداء بالقرآن:

---

(1)سيد قطب: فيظلالالقرآن (4/ 2327).

(2) الغزالي: إحياء علوم الدين (285/1).

(3) القشيري: لطائفالإشارات(2/ 445).

(4)محمَّد رَشِيد رِضا(1282 – 1354 هـ = 1865 – 1935 م)محمدرشيدبنعليرضا،البغدادي،الحسيني: صاحبمجَلة (المنار) وأحدرجالالإصلاحالإسلامي،منالعلماءبالحديثوالأدبوالتاريخوالتفسير. ولدونشأفيالقلمونوتعلمفيهاوفيطرابلس،وكتبفيبعضالصُّحف،ثمرحلإلىمصرسنة 1315

(ماكلمنأظهرالإيمانبماذكرمهتدبالقرآن،فالمؤمنونبالقرآنعلضروبشتّى،و ن.رد ـ. يـ. ـنـ .
ناكثيرينممّنإذاسئلعنالقرآنقال:
هوكلاماللهولاشكّ،ولكنإذاعرضتأعمالهوأحوالهعلىالقرآن ـنـ.راهامباينةلهكلالمبا يـ.نة،القرآ
ن. يـ. ـنـ.هعنالغيبةوالنّميمةوالكذب،وهو يـ غتا بـ.ويسعبالنّميمةولا يـ.تأثّمنالكذب.
القرآ ن.يأمربالفكروالتّدبّر،وهوكماوصفالقرآنالمكذّبينبقوله تـ.عالىفيهم:
(الّذي ـنـ.همفيغمرةساهون)، لا يـ.فكرفيأمرآخرته،ولافيمس تـ.قبلهولامس تـ.قبلأمّته،ولا يـ.تد
بّـ.رالآياتوالنّذر،ولاالحواد ثـ.والعـ بـ.ـر.

إنّالمؤمنالموقنالمذكورفيالآيةالكريمة، هوالّذيـ .ز يـ.ـنأعمالهوأخلا قـ.هباستكمالماهدياللـ
ندائما،ويجعلهمعيارا يـ.عرضعليهتلكالأعمالوالأخلاق،ليتـ بـ.ـيّن: هلهومهتدبهأملا؟)[1].

ويقول أحمد خيري العمري[2] عن منزلة الإيمان بالقرآن في سلّم الإيمان:

(الإيمان بالله عز وجل تضمن الإيمان به بصفته الخالق الذي خلقك ونصبك لتكون خليفته في الأرض... الإيمان بالكتاب يكون بمثابة تتمة لابد منها... لا يمكن –عقلا– أن تكلّف بمهمة مثل هذه، وأن تكون المخلوق الأهم بين كل المخلوقات دون أن يكون هناك "كتيب إرشادات" يمنحك ما تحتاج من قواعد عامة... ومن تعليمات يمكنك أن تتخذها في كل خطوة... ومن تعليمات خاصة للحالات الطارئة.

هل يمكن أن يكون قد تركك هكذا... دون "كتاب" على الأقل؟ كتاب يحمل لك رسالته (ورسالتك!) كتاب يوضّح لك هدفك، ويحدّد لك خطوطا عامة في رحلتك في الحياة.

هفلازمالشيخمحمدعبدهوتتلمذله. ثمأصدرمجلة (المنار) لبثّآرائهفيالإصلاح. وأصبحمرجعالفتيا. أشهرآثارهمجلة (المنار) أصدرمنها 34 مجلدا،و (تفسيرالقرآنالكريم) اثناعشرمجلدامنه،ولميكمله. ينظر: الزركلي:الأعلام (6/ 12).

(1)محمد رشيد بن علي رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 1990 م، (111/1).

(2)أحمد خيري العمري: مفكّر وكاتب عراقي من مواليد بغداد عام 1970م، تخرج طبيب أسنان من جامعة بغداد عام 1993م، لكنّه عرف ككاتب إسلامي عبر مؤلفات جمعت بين منحى تجديدي في الطّرح، وأسلوب أدبيٍّ مميز، من بينها: "البوصلة القرآنية"، "ليلة سقوط بغداد"، "سيرة خليفة قادم".. السيرة الذاتيةللدكتور أحمد العمري، الموقع الإلكتروني الرسميّ للعمري، WWW.AKOMARI.COM

... كل من ينكر كتبه عز وجل، أو ينكر استمرارية فاعليتها، يضع نفسه في هذا الموضع، موضع التناقض مع ركن الإيمان الأول... الإيمان به عز وجل خالقًا لنا، لنا على قمة مخلوقاته. وهذا سيؤكد... كون الإيمان كتلةً واحدةً غير قابلة للتجزئة أو التقسيط)[1].

إن الوجه الآخر للإيمان بالقرآن هو أن يصدُق المسلم -المُعتقِد بأحقّية هذا الدّين وكتابه المهيمن- يصدق مع ذاته ومع خالقه، فلا تكونَ أحواله ومَناشطه وعلاقاته في وجهة، وهدْي القرآن في وجهة أخرى تماما.. وهذا عين التناقض، أو النفاق الذي حذّر منه عز وجل في مواضع عدة من محكم تنزيله، فيقول تعالى في هذا الشأن مثلا:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(النساء: 60).

بمعنى: (ألمترإلىهذاالعجبالعجاب... قوميزعمونالإيمان،ثميهدمونهذاالزعمفيآن؟! قوم «يزعمونأنهمآمنوابماأُنزلإليكوماأُنزلمنقبلك».

ثملايتحاكمونإلىماأنزلإليكوماأنزلمنقبلك؟إنمايريدونأنيتحاكمواإلىالطاغوت،الذيلايستمدّ ماأُنزلإليك،وماأنزلمنقبلك...ومنثمّفهوطاغوت...

طاغوتبادّعائهخاصيةًمنخواصّالألوهية. وطاغوتبأنهلايقفعندميزانمضبوطأيضاً!

وهملايفعلونهذاعنجهل،ولاعنظنٍّ...

إنماهميعلمونيقيناًويعرفونتماماً،أنهذاالطاغوتمحرّمالتحاكمإليه: «وقدأُمرواأنيكفروابه»... بلهوالعمدوالقصد)[2].

والعمل بالقرآن الكريم بعد الإيمان به، هو ذلك الجهاد المستمر، والسّعي الدّؤوب الذي يسعاه المؤمن بالله وبكتابه؛ من أجل أن يُترجم هداياته إلى أفعال وممارسات على أرض الواقع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً-، هذا السّعي الذي تكتنفه التجربة البشرية الواقّعية بكل ما تحمله

---

(1) العمري، أحمد خيري: سيرة خليفة قادم، (قراءة عقائدية في بيان الولادة)، نشر: قيام القرآن... لأمة قائمة الطبعة الأولى، ص (270-271).

(2) سيد قطب: فيظلالالقرآن (2/ 694).

من المعاناة وطول المكابدة وكثرة المحاولة... مسدَّدةً ومقاربةً؛ بين ما تؤمن به من قيَم عليا، تُمارسه سلوكًا في الحياة، إلاّ أنها تُصيب الحقَّ مرات، وتحيد عنه فتتعثّر مرات أُخَر.

وإذا عَدنا إلى واقعنا نتأمله –على ضوء ما تعرضنا له من مفهوم الإيمان بالقرآن– أنّ من أكبر الإشكالات المطروحة في أوساط عامة المسلمين –وحتى مثقّفيهم– أن عصيٌّ على الفهم والاستيعاب؛ في أكثر آياته –رغم فصاحته– ولذلك كثيرا ما يتلوه الواحد منّا بقلب ساه مشتت الأفكار ! فهل صحيح أن القرآن عصيٌّ على الأفهام؟ الجواب –طبعا– كلاّ ! لأن منزله تعالى يصفه بأنه ميسر للذكر أربع مرات في سورة واحدة، وهي سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ٤٠).

إن الخطوة الأولى نحو استدراك علاقتنا بالقرآن هو تصحيح الإيمان به وتثبيته في قلوبنا، إذ الشرط الأول للتلقي عن القرآن وفهم خطابه، هو الجهاد في تزكية القلب –مركز الإيمان– من أمراضه، ومن كل الشوائب التي تلتبس بفطرة التوحيد فيه، والثقة بهدايته وشفائه، وكونه مصدرا أساسيًّا للحياة الطيبة به في الدنيا والآخرة، إيمانًا لا يخالطه شكٌّ ولا يساوره تردُّد.

يقول سيد قطب في هذا المعنى:

«لا بد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم. بقلب خالص، أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى، ويحذر أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره، ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقيا، خائفا، حساسا، مهيأ للتلقي...»[1].

ويقول أيضا في وصف القلب المنتفع بهداية الوحي: «إن الكلمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى. والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها.. والناس قلّما ينقصهم العلم بالحق والباطل، وبالهدى والضلال.. إن الحق بطبيعته من الوضوح والظهور بحيث لا يحتاج إلى بيان طويل. إنما تنقص الناس الرغبة في الحق، والقدرة على اختيار طريقه.. والرغبة في الحق والقدرة على اختيار طريقه لا ينشئهما إلا الإيمان، ولا يحفظهما إلا التقوى.

(1) سيد قطب:في ظلال القرآن، (1/38-39).

ومن ثَمَّ تتكرر في القرآن أمثال هذه التقريرات. تنص على أن ما في هذا الكتاب من حق ومن هدى ومن نور ومن موعظة، ومن عبرة... إنما هي للمؤمنين وللمتقين. والتقوى هما اللذان يشرحان القلب للهدى والنور والموعظة والعبرة. وهما اللذان يزينان للقلب اختيار الهدى والنور والانتفاع بالموعظة والعبرة.. واحتمال مشقات الطريق.. هو الأمر، وهذا هو لب المسألة.. لا مجرد العلم والمعرفة.. فكم ممن يعلمون ويعرفون، في حمأة الباطل يتمرغون؛ إما خضوعا لشهوة لا يجدي معها العلم والمعرفة، وإما خوفا أذى ينتظر حملة الحق وأصحاب الدعوة!»(1).

فشرط الانتفاع بهداية القرآن وإحيائه وشفائه للأسقام لا يتحقق إلا بالإيمان والتقوى، الإيمان الراسخ بمصدر هذا الكتاب: الله تبارك وتعالى، والثقة فيه، والاستعداد والتهيُّؤ التام لتلقّي هداياته؛ مهما خالفت أهواء النفس، وكذلك التّقوى التي تحرس الإيمان، وتستدرك ضَعَفَهَ، إن أَلَمَّ به ضعف.

ويقول مجدي الهلالي(2) في هذا الشأن: «... فإن قلتَ: ولكننا نؤمن بالقرآن ومع لا نجد طعمه ولا تأثيره. ليس المقصد من الإيمان بالقرآن هو مجرد الإيمان بأنه "كلام الله على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته" بل المقصد بالإضافة لهذا الإيمان: الإيمان بقيمته وعظيم شأنه، وأنه نزل من السماء ليهدي الناس إلى الله، ويأخذ بأيديهم إليه»(3).

إن إشكالنا اليوم -إلا ما رحم ربي- أننا لم نستيقن بعدُ أن القرآن هو المصدر الذي نستقي منه توجيه حياتنا كلها في أدقّ تفاصيلها، كأفراد ومجتمع وأمة... تشككنا في ذلك فأخذنا نبحث عن الحلول والمناهج هنا وهناك؛ وزهدنا في العودة إلى منبع الحياة الطيبة... وأول الخطو في الطريق تصحيح إيماننا أولاً.

---

(1)المصدر السابق،(480-479/1).

(2)مجدي الهلالي:من أعلام الدعوة الإسلامية والإخوان المسلمين بمصر، اتّجه إلى التّأليف فقدّم عشرات الكتب في الدّعوة والتّربية الإيمانيّة، والتي تهدف إلى ارتقاء الفرد بنفسه والتّخلّص من مثبّطات الهمَم، له العديد من الخُطب والمقالات في مختلف الصحف والمواقع الإلكترونية، من كتبه: "الإيمانَ أولاً"، "العودة إلى القرآن.. كيف ولماذا؟"، "تحقيق الوصال بين القلب والقرآن"... ينظر: الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة، shamela.ws.

(3) مجدي الهلالي: تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، ط1: 2008م، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ص22.

«عن عبد الله بن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، و تنزل السورة على محمد -صلى الله عليه وسلم- فيتعلم حلالها، وحرامها،وآمرها، وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها. كما تعلمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ؛ فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿...إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾(الأعراف: ١٨٨) يقول صاحب الظلال: «والرسول - صلى الله عليه وسلم - نذير وبشير للناس أجمعين. ولكن الذين «يؤمنون» هم الذين ينتفعون بما معه من النذارة والبشارة؛ فهم الذين يدركون حقيقة ما معه، وهم الذين يدركون ما وراء هذا الذي جاء به.

إن الكلمة لا تعطي مدلولها الحقيقي إلا للقلب المفتوح لها، والعقل الذي يستشرفها ويتقبلها،وإن هذا القرآن لا يفتح كنوزه، ولا يكشف أسراره، ولا يعطي ثماره، إلا لقوم يؤمنون. ولقد ورد عن بعض صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "كنا نؤتى الإيمان قبل أن نؤتى القرآن".. وهذا الإيمان هو الذي كان يجعلهم يتذوقون القرآن ذلك التذوق، ويدركون معانيه وأهدافه ذلك الإدراك، ويصنعون به تلك الخوارق التي صنعوها في أقصر وقت من الزمان.

لقد كان ذلك الجيل المتفرد يجد من حلاوة القرآن، ومن نوره، ومن فرقانه، ما لا يجده إلا الذين يؤمنون إيمان ذلك الجيل. ولئن كان القرآن هو الذي أخذ بأرواحهم إلى الإيمان، لقد كان الإيمان هو الذي فتح لهم في القرآن ما لا يفتحه إلا الإيمان!»[2].

ويقول مجدي الهلالي في هذا الشأن: «إن الإيمان بقيمة الشيء -أيُّ شيء- هو يولّد الانبهار به والاستسلام له، وفتح منافذ الاستماع والتلقّي منه، والعكس صحيح، فعدم الإيمان بالشيء يدفع لإغلاق منافذ الاستماع له، وعدم الاكتراث به... فإن لم

---

(1) رواه البيهقي: السننالكبرى،كتابالصلاة، جماعأبوابصلاةالإماموصفةالأئمة،بابالبيانأنهإنماقيل: يؤمهمأقرؤهم، حديث رقم:4919. والحاكم: المستدركعلىالصحيحين،كتابالإيمان، حديث رقم:98. الجامع للحديث النبوي.

(2) سيد قطب:في ظلال القرآن، 1410/3.

الإيمان بقيمة القرآن، وبالهدف من نزوله، وبأنه قادر بإذن الله على انتشالنا من الوحل الذي نغوص فيه، إن لم يحدث هذا فإن أي كلام يقال عن تدبر القرآن، والتمهل في حفظه، وضرورة التخلّق بأخلاقه، لن يجد الاستجابة الكافية في نفوس مستمعيه.

من هنا نقول بأن نقطة البداية الصحيحة للانتفاع بالقرآن هي العمل على زيادة الإيمان في القلوب... فكلما ازداد الإيمان ازداد التلهف للإقبال عليه، والاستسلام له، والانجذاب نحوه والانشغال به»[1].

والمتتبع لآيات القرآن في هذه النقطة يجد استفاضة في بيان أن أوجه الانتفاع المختلفة من كتاب الله المسطور "القرآن"، وكتابه المنظور "الكون"، لا تتم إلا بشرط الإيمان، وإلا بشرط فتح القلوب والبصائر للحقيقة، فكثيرا ما ذكر الله في كتابه الكريم أنّ آياته لا يتعظ، ولا يتذكر، ولا يهتدي، ولا يشفى بها، ولا تكون له رحمة وبشرى.. إلاّ من آمن بها، ووثق في فاعليتها، لأنها من مشكاة ربانية خالصة. من ذلك الآيات الآتية:

1. ﴿... وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام: ٩٩)

2. ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف: ٥٢)

3. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف: ٢٠٣)[2].

---

(1) مجدي الهلالي: تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، ط1: 2008م، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ص 173-174.

2 - ينظر في هذه المسألة أيضا، الآيات التالية: =

==

1. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١)
2. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)
3. ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢)

المبحث الثاني: أهم وظائف القرآن في حياة الإنسان

إنّ الله تعالى أنزل هذا الكتاب المبارك لحكَم ومقاصد؛ وثمار وآثار.. أراد تحقيقها في الإنسان الذي جعله خليفته في الأرض، فالقرآن رسولٌ –تماما كالذي بعث به– من عند الخالق الحقّ عز وجل؛ أُرسل لمهمة ووظيفة كبرى تجاه الإنسان:

وهي أن يُحيي هذا الإنسان من مَواته الرُّوحي"موت القلب"، وأن يهديه ويبصره بالصراط المستقيم حتى لا يضل بين السُّبل الكثيرة، وأن يشفيه من علل نفسه وطباعها،كما يحمله أمانة الاستخلاف فيجعل منه خليفةً في الأرض –كما أراد له مولاه عند خلْقه– مبلّغاً وشاهدًا على غيره، فضمن هذه الوظائف الأساسية الأربعة.. وجدنا وصف القرآن لنفسه، وحديثه عن مهمته، وتعريفه بعلاقته بالإنسان في هذه الحياة.

1-الإحياء من موت القلوب

2-الشفاء من علل النفوس

3-الهداية للصراط المستقيم

4-تحميل أمانة الاستخلاف

المطلب الأول: الإحياء من موت القلوب

إن من أهم المعاني التي لم يفهم الإنسان كُنهها معنى الرُّوح، والحياة المصاحبة فهي من أمور الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ﴿ويسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ من أمر ربِّي ومآ أُوتيتُم مِّن الْعلْمِ إلاَّ قَليلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).ومن المعاني الخاصة في هذا الحياة التي تحدّث عنها الله تعالى وصفًا لمن اتبّع هداه، الذي مصدره كتابه الخاتم القرآن العظيم.

---

4. ﴿يآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشفَآءٌ لِّمَا في الصُّدُورِ وهُدًى ورحمةٌ لِّلْمومنين﴾(يونس: ٥٧)

5. ﴿وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ من انبَآء الرُّسلِ مَا نُثَبِّتُ به فُؤَادَكَ وجَآءَكَ في هَذه الْحَقُّ وموْعظَةٌ وَذكْرىٰ للْمومنين﴾ (هود: ١٢٠)

6. ﴿ونُنَزِّلُ من الْقُرءَانِ ما هُوَ شفَآءٌ ورحمَةٌ لِّلْمومنين ولاَ يزيدُ الظَّالمين إلاَّ خسَارا﴾ (الإسراء: ٨٢)

7. ﴿تنزيلُ الْكتاب منَ الله الْعَزيز الْحكيم(2) إنَّ في السَّماوات والاَرْض لآَيات لِّلْمومنين(3) وفي خَلْقكُمْ وما يبثُّ من دآبَّة . ايات لِّقوم يوقنُونَ(4)﴾ (الجاثية: ٢ – ٤)

فالعقيدة التي جاء بها هذا القرآن «تنشئ في القلب حياةً بعد الموت، وتطلق فيه نورا بعد الظلمات، حياةً يعيد بها تذوق كل شيء، وتصور كل شيء، وتقدير كل شيء آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة، ونورا يبدو كل شيء –تحت أشعته وفي مجاله– كما لم يبدُ من قبل قطُّ لذلك القلب الذي نوّره الإيمان»(1).

«والقرآن روح من أمر الله، وخاصية الروح أنها تمنح كل خصائص الحياة للكيان، فهو روح حين تحل في الإنسان الفرد تمنحه الحياة بعد الموت، فيصير بها خلقًا آخر.

وهو روح حين تحل في جمع من الناس، يصيرون جسدا واحدا، وأمة واحدة، وما صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس إلا بحلول روح القرآن في أفرادها جميعا، كيانها العام جميعا»(2).

فالله تعالى يريد منا أن نفرق بين حياة وحياة، بين الحياة المادّية حيث قوامها الجسد والروح التي ينفخها بارئها فيه؛ فيحيا إنسانًا في أحسن تقويم، يتحرك ويعمل ويحس، ويلبي حاجاته الفطرية من مأكل ومشرب وملبس، ومن مأوى وتزاوج وتناسل.. هذه الحياة التي يمارسها كل إنسان سوي الخلقة في هذا الكون، غيرالحياة الأخرى التي أرادها الله لنا غاية ومصيرا، وهي حياة القلب والروح التي لا تكون إلا باتباع منهجه –عز وجل– والاستجابة لرسوله صلى الله عليه وسلم، والشّرط الأساس لتحقُّق الحياة بروح القرآن، هو تلقّي القرآن على أنه أُنزل ليعالج واقعنا اليوم وفي كل حين، لا على أنه سجلٌّ لأحداث مضت ولن تعود.

وقد وصف القرآن نفسه بأنه سبب الحياة الحقيقية "حياة القلب والروح" التي تجعل صاحبه موصولا بالله وبسننه في الأكوان حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(الأنفال: ٢٤).

أي: إلَى ما يحيي الله به قلوبكم فتوحِّدوه، وهذا إحياء مستعار، لأنه من موت الكفر والجهل والضلال. والمعنعند جمهور المفسرين: "استجيبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، 1200/3.

(2) الشاهد البوشيخي: القرآن والإنسان أية علاقة؟،مطبعة آنفو (فاس–المغرب)، ط: 2009م، ص 19.

أوامر ونواهي، ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية"[1].

وفي كتاب (ترانيم روح وأشجان قلب) للشيخ محمد فتح الله كولن[2]، يصف كيف أحيى القرآن نفوس الجيل الأول من صحابة رسول الله، وأنه هو ذاته القرآن الذي يمكنه إحياء جيل هذا العصر: «لقد أحدث القرآن في أول عهده بالنزول، وأول عهده بتشريفه الدنيا، تأثيرا لا يمكن تصوره في الأرواح وفي العقول والقلوب أيضا، بحيث أن درجة الكمال التي وصلت إليها الأجيال التي نشأت في جوه النوراني كانت معجزة قائمة بذاتها، لا نحتاج معها إلى ذكر أي نوعٍ آخر من معجزاته. ولا يمكن العثور على أي لهم في مستواهم من ناحية التدين والتفكير، وأُفُق الفكر والخَلق ومعرفة أسرار العبودية.

... وحتى اليوم فهو [أي القرآن] يقوم بتنوير قلوب المتوجهين إليه،الناهلين من نبعه، ويهمس في أرواحهم أسرار الوجود، والذين يدَعون أنفسهم بكل أحاسيسهم ومشاعرهم وقلوبهم وقابليَّة إدراكهم تسبح في جوه الذي لا مثيل له؛ سرعان ما تتغير عواطفهم وأفكارهم ، ويحسُّ كل واحد منهم بأنه قد تغيّر بمقياس معيّن، وأنه أصبح يعيش في عالم آخر.

أجل ما أن يتوجه إليه الإنسان من كل قلبه حتى لا يستطيع بعد ذلك؛ الخلاص من تأثير سحره وجاذبيته. إن القرآن يتناول الطالب الذي جذبه نحوه فيعجنه ويشكّله من جديد، ويجعل منه شخصا آخر تماما... شخصا رقيقًا ذا حساسية مرهفة، إلى درجة أن الإنسان يتأكّد بأنّ أي تغيير لا يكون إلا به، بل يمكن في أحيان كثيرة تحقيق العديد من الأمور؛ والتي كان يخيل من قبل أنها مستحيلة التحقيق، حيث تتحول هذه الأمور في

---

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ – 1964م، (7 / 389).

(2) محمد فتح الله كولن: الداعية الإسلامي التّركي، الفقيه، المتصوف، ولد عام 1941م في قرية صغيرة بالأناضول، ونشأ في بيت علم وكرم، وفي عام 1990م، بدأ الشيخ حركة رائدة تقوم على الحوار والمرونة لفهم الدين الصحيح، وقد وجدتَ صدى هائلاً داخل تركيا وخارجها، اتّسم فكر الشيخ بتقديم النموذج للشخصية المسلمة المتزنة القائمة على العلم والحركة، وعلى القيم والأخلاق الإسلامية، من كتبه: "ونحن نقيم صرح الروح"، "التلال الزُّمردية"، "أضواء قرآنية في سماء الوجدان"... الموقع الرسمي للأُستاذ محمد فتح الله كولن: fgulen.com.

إلى حالة اعتيادية مما يذهل الجميع»[1].

المطلب الثاني: الشفاء من علل النفوس

من الثمار الكبرى للاهتداء بالقرآن ومصاحبته: هديَّة الشفاء الربانية، هذه الهدية الثمينة لا ينالها إلا من آمن بها ووثق في صاحبها -عز وجل- وقدرته، وصدق وعده؛ حين وعد كل من دخل في رحاب القرآن، بنية الاستشفاء من أمراضه، إلا وأجابه الله إلى مطلبه ولبَّى حاجته فداواه؛ بل شافاه وعافاه خصوصا من أدوائه الرُّوحية والمعنوية. كيف لا وقد جعل الله الشفاء خاصِّيةً من خصائص القرآن، وصرح بذلك في ثلاث مواضع من كتابه المبارك:

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ﴾(يونس: ٥٧).

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(الإسراء: ٨٢).

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُومِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾(فصلت: ٤٤).

ولئن اختلف علماء التفسير حول علاج القرآن للأسقام العضوية التي تصيب الإنسان في بدنه؛ والتي لا يداويها إلا طب الأبدان، وخصوصا مع تطور علوم الصحة وتقنيات العلاج في العصر الحديث، فإن الحقيقة الثابتة بنصوص الوحي أن القرآن شفاء لجميع أمراض القلوب وعلل النفوس..كما قال تعالى:«وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ» ما في الصُّدور من العقائد والأخلاق الفاسدة، كما ذكر الإمام الرازي في تفسيره: «العقائد الفاسدة، والأخلاق الذميمة، جارية مجرى الأمراض، فإذا زالت فقد حصل الشفاء للقلب، وصار جوهر الروح مطهَّراً عن جميع النقوش المانعة عن مطالعة عالَم الملكوت»[2].

وقد قسم الإمام ابن قيم الجوزية[3]؛ الأمراض التي يعتل بها القلب إلى صنفين:

---

(1) فتح الله كولن، ترانيم روح وأشجان قلب، دار النيل – مصر، ط1: 2012م، ص 20-21.

(2) الرازي: مفاتيح الغيب (17 / 94).

(3) ابنقيِّمالجوزيَّة: (691 - 751 هـ = 1292 - 1350 م) محمدبنأبيبكرالدمشقيأبوعبدالله،شمسالدين: منأركانالإصلاحالإسلامي،وأحدكبارالعلماء. مولدهووفاتهفيدمشق. تتلمذلشيخالإسلامابنتيميةوهوالّذيهذّبكتبهونشرعلمه،وسجنمعهفيقلعةدمشق،وألّفتصانيفكثيرةمنها:

الشُّبهات، وأمراض الشَّهوات، واعتبر القرآن شفاء للنوعين، ففيه من الأدلة القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشُّبه؛ ا لـمفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى المرء الأشياء على ما هي عليه.

وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النِّحل الباطلة والآراء الفاسدة... مثل القرآن، فإنه كفيل بذلك كله؛ متضمِّن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول، وأفصحها بيانا، فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشُّبه والشكوك.

وأما شفاؤه لأمراض الشهوات، فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة والترهيب، والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار؛ فيرغب القلب السليم -إذا أبصر ذلك- فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عما يضُرُّه، فيصير القلب مُحبًّا للرشد مُبغضا للغيِّ، فالقرآن مزيل للأمراض الموجِّهة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطر كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعي، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق، أن الطفل لا يقبل إلا اللبن(1).

أما صاحب تفسير المنار فقد عدّد جملة من الأمراض التي تُضيِّق صدر الإنسان؛ ولا يشفى منها شفاء تامًّا إلا بالقرآن فيقول: «... أَيْ شِفَاءُ جَمِيعِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَدْوَاءِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَسَائِرِ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَشْعُرُ صَاحِبُهَا ذُو الضَّمِيرِ بِضِيقِ الصَّدْرِ، مِنْ شَكٍّ فِي الْإِيمَانِ، وَمُخَالَفَةٍ لِلْوِجْدَانِ، وَإِضْمَارٍ لِلْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعُدْوَانِ، وَحُبٍّ لِلْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالشَّرِّ، وَبُغْضٍ لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْخَيْرِ»(2).

وقد بين القرآن الكريم أصل الخلق الإنساني؛ الذي خلقه الله مركبا من خليطين قبضة من طين الأرض، ونفخة من روحه جل في علاه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

(إعلامالموقعين) و (الطرقالحكميةفيالسياسةالشرعية) و(شفاءالعليلفيمسائلالقضاءوالقدروالحكمةوالتعليل). ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 56).

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر شمس الدين: إغاثةاللهفانمنمصائدالشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت (1 / 44-46).

(2) محمد رشيد رضا:تفسير المنار (11 / 329).

خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ(71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (سورة ص: 71–72).

فجانبه المادي "الطين" هو الذي يمثّل صفات النقص والضعف فيه، أما "الروح" فهي التي تمثل صفات الكمال والقوة التي مُكّن منها، وقد علّق المولى تعالى شرط السعادة والفلاح بتزكية هذه النفس البشرية؛ أي تطهيرها من رذائلها، وتخليصها من آفاتها،يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (الأعلى: 14)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(10)﴾ (الشمس: 9–10).

ومن رحمته تعالى بعبده أن بين له في كتابه الكريم كل النقائص والعيوب التي ركّبت منها نفسه البشرية؛ ودعاه إلى الإنابة لربه، والاستجابة لمنهجه وآياته، واتباع توجيهاته كلما مسه شيء من تلك العيوب، أو كشفت له أحداث الحياة وخطوبها عن مظهر من مظاهر ضعفه، حتى تُشفى نفسه مما تعانيه، ويقوى بإيمانه على حمل الأمانة التي كُلّفها. والآيات في هذا الشأن نجدها تؤكّد جملة من الطبائع التي جبل عليها الإنسان... جنس الإنسان، إلا من عصمه الإيمان وتمسُّكه بالقرآن، ومنها: أن الإنسان خلق ضعيفًا، وخلق عجولاً، وأنه كفور مبين، وظلوم كفّار، وظلوم جهول، وأنه قتور يمسك خشية الإنفاق، وخصيم مبين، وأنه يطغى إن رأى نفسه استغنى... ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾(الإسراء: 100).

﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(الأنبياء: 37).

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(الأحزاب: 72).

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾(يس: 77).

كما بين القرآن في طائفة أخرى من الآيات حقيقة النفس البشرية في مواجهة الخير والشر، وكيف تعرف ربها في الشدة وتنساه في الرخاء، فيذكر مثلا أن الإنسان خلق هلوعا: إذا مسه الشّر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، وأنه إذا أنعم الله عليه أعرض عن عبادته، وإذا مسه الشر كان يؤوسا، وإذا مسه الضر دعا ربه وأكثر من الدعاء من غير

سأم ولا ملل، فإذا كشف عنه ضرّه، نسي ما كان يدعو إليه من قبل، وادّعى أن النعمة له، وأنه أُوتيها على علم عنده، وزعم زوال السّيئات عنه.

يقول المولى سبحانه في هذا الشأن:

﴿وإذآ أ نْعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشّرّ كان يئوسا﴾(الإسراء: 83).

﴿وإذا مسّ الانسان ضرّ دعا ربّه منيبا اليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلا انّك من اصحاب النّار﴾(الزمر: 8).

﴿فإذا مسّ الانسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّمآ أوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون﴾(الزمر: 49).

﴿..وإنّآ إذآ أذقنا الانسان منّا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت ايديهم فإنّ الانسان كفور﴾ (الشورى: 48).

﴿ولئن اذقنا الانسان منّا رحمة ثمّ نزعناها منه إنّه ليئوس كفور(9) ولئن نعمآء بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إنّه، لفرح 9-10).

وكلما ذكر القرآن طبعا من الطّباع السلبية للإنسان، إلا وأتى بالعلاج الذي الشفاء التام لمن تعرض له بإذن الله –وذلك في سياق الآيات أو سباقها– إما ذكرا مجملا وإشارة عامة إلى الهدى والشفاء المتضمّن في وحيه تعالى، كقوله عز وجل: يسأم الانسان من دعآء الخير وإن مّسّه الشّرّ فيئوس قنوط﴾(فصلت: 49)، هذه الطّبائع "يؤوس، قنوط" والشفاء منها هو في القرآن الذي أشير إليه –قبل هذه الآية بقليل– بقوله تعالى:﴿قل هو للذين ءامنوا هدى وشفآء والذين لا يومنون في ءاذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مّكان بعيد﴾(فصلت: 44).

وفي مواطن أخرى يفصل القرآنالحديثفي علاج الدّاء أو الأدواء؛ التي يأتي على تشخيصهاأولاً، ثم الهداية إلى سبل علاجها، كما هو في سورة "المعارج" التي كشفت حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير، ﴿إنّ الانسان خلق هلوعا(19) اذا مسّه الشّرّ جزوعا(20) وإذا مسّه الخير منوعا(21)﴾(سورة المعارج: 19-21).

فنجاة الإنسان من ذلك الطبع المتأصِّل فيه "وهو الجزع عند ملاقاة الشر، والحرص على الخير ومنعه"، لا يتحقّق إلا بالاقتداء بصفات هؤلاء المؤمنين، الذين عصمهم إيمانهم من تلك العلة، والتي جاءت إثر هذه الآيات مباشرةً، في صيغة الاستثناء من الحكم العام على جنس الإنسان.

يقول تعالى: ﴿.. إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ(24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ(27)... أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ(35)﴾ (المعارج: 22-35).

في معنى تلك الآيات؛ يبين الشيخ محمد رشيد رضا أثر الصلاة الحقيقية في برء من طباعه السقيمة، فيقول:

(وإنَّما الْبِرُّ والتَّقْوى في سِرِّ الصَّلَاةِ وروحِها الَّذي يَصْدُرُ عنهُ آثارُها من النَّهْيِ عن الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ، وقَلْبِ الطِّباعِ السَّقيمةِ، والاستعاضةِ عنها بالْغرائزِ الْمستقيمةِ...

فَمَنْ حافظَ على الصَّلاةِ الْحقيقيَّةِ تطَهَّرَتْ نفسُهُ من الْهَلَعِ والْجَزَعِ إذا مسَّهُ الشَّرُّ، ومن الْبُخْلِ والْمَنْعِ إذا مسَّهُ الْخَيْرُ، وكان شُجاعًا كريمًا، قويَّ الْعزيمةِ، شديدَ الشَّكيمةِ، لا يرضى بالضَّيْمِ.

لأنَّهُ بمُراقبتِهِ للهِ تعالى في صلاتِهِ، واستشعارِهِ عظمتَهُ وسُلْطانَهُ الْأَعْلَى في رُكوعِهِ وسُجودِهِ للهِ تعالى الْغالبِ على أمرِهِ، فلا يُبالي ما يَلقى من الشَّدائدِ في سبيلِهِ، وما أنفقَ من فضلِهِ ابتغاءَ مرضاتِهِ، وصَلَاةٌ لا تُعطي صاحبَها شيئًا من هذهِ الْمعاني، فليستْ بمُجرَّدِها من الْبِرِّ في شيءٍ)[1].

وقد وردت عن سيد قطب؛ كلمة جامعة في الشفاء الذي يحمله القرآن لمن طلبه صادقًا موقنا بوعد ربه، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢). يقول سيد قطب عن أوجه الشفاء في القرآن:

«في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة. فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، ويرضى فيستروح الرِّضى من الله، والرضى عن الحياة.. والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.

---

(1) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (2/ 95).

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان... وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب، وتدفع به إلى التحطم والبلى والانهيار. ومن ثَم هو رحمة للمؤمنين.

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير. فهو يعصم العقل من الشطط، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة، ويكُفُّه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدي، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط، يجعل نشاطه منتجا ومأمونا. ويعصمه من الشطط والزلل. وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كَبت ولا شطط؛ فيحفظه سليما معافًى، ويدّخر طاقاته للإنتاج المثمر. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين»[1].

المطلب الثالث: الهداية للصراط المستقيم

المهمة الأساسية الأخرى للقرآن الكريم هي هداية من يتبعه ويذعن له؛ إلى الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده، ومن ثَم سماه الله–في بضع آيات– نورا، «وشأن النور يعطي الأمان، وأن يوضّح الرؤية، وأن يبرز الأشياء على حقيقتها، بواسطة النور نرى الأشياء بأحجامها الطبيعية، وألوانها الطبيعية، مع النور يكون الأمن والأمان، ومع الظلمة تكون الرهبة والخوف، مع النور يكون الوضوح، ومع الظلمة يكون الغموض، مع النور تُعرف الحقائق، ومع الظلمة تُطمس الحقائق»[2].

والنور وظيفته أن يبدد الظلمات، ويهدي الإنسان للسبيل الذي يريده له ربه، ويهديه للتي هي أقوم في كل شؤون حياته، ويجعله يبصر الحق ويميزه عن الباطل. يقول تعالى في وصف القرآن بالنور:

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤).

ويقول تعالى أيضا: ﴿.. قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ(15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(16)﴾(المائدة: 15-16).

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، (4 / 2248).

(2) الشاهد البوشيخي: القرآن والإنسان أية علاقة؟ ص 21.

ويقول تعالى أيضا: ﴿الذين يتبعون الرَّسولَ النَّبيءَ الأُمِّيَّ الذي يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عندهم في التَّوراة والانجيل... فَالذين ءامنوا به وعَزَّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور أُنزل معه، أُولئك هم الْمُفْلحون﴾ (الأعراف: ١٥٧).

ويقول تعالى أيضا: ﴿ألر كتاب انزلْناه إلَيْك لتخْرجَ النَّاس من الظُّلمات إلَى النُّور بإذْن ربِّهم، إلَى صراط الْعزيز الْحميد﴾(إبراهيم: 1).

﴿.. ولَكن جعلْنَاهُ نُورا نَّهْدي به من نَّشآءُ منْ عبادنا وإنَّك لَتَهْدي إلَى مُّسْتقيم﴾(الشورى: ٥٢).

يقول سيد قطب مبيِّنا تأثير نور القرآن في أرواح صحابة رسول الله صلى الله عليه

« كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين، قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف، كانت مواتا، وكانت أرواحهم ظلاما، ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء، ويفيض منها النور فتمشي به في الناس تهدي الضّال، وتلتقط الشارد، وتطمئن الخائف، وتحرر المستعبد، وتكشف معالم الطريق للبشر، وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد،الإنسان المتحرر المستنير؛ الذي خرج –بعبوديته للّه من عبودية العبيد!»(1).

وعن أبي ذر الغفاري قال: (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أوصني. قال: " أوصيتك بتقوى الله عز وجل، فإنه أزين لأمرك كلّه " قلت: زدني. قال: " عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض...)(2).

ثم إن القرآن هو سبب استنارة كثير من الناس في تاريخ البشر وفي واقعهم اليوم، يتّضح من خلال الاطّلاع على سير صحابة النبي عليه الصلاة والسلام، وكيف أثّر فيهم القرآن وقلب أوضاعهم المادية والنفسية، من هؤلاء نذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال:

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، 1201/3.

(2) شعب الإيمان للبيهقي – فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث:4722. الجامع للحديث

"... فقلت: لو جئت الكعبة فطُفت بها سـ ـ.عا أو سبعين، قال: فجئت المسجد أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي... قال: فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا، ورسول الله صلى الله عليه قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة، قال: فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل قائما في مكاني ذلك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف"(1).

وكذلك ما نراه في واقعنا اليوم من قصص الذين كان القرآن سببا في إسلامهم أو سببا في تغير جذري في حياتهم حتى من المسلمين، من هؤلاء المسلم الأمريكي عالم الرياضيات د. جيفري لانغ(2)، الذي ولد مسيحيًّا، ثم إنه في الثامنة عشر من عمره أصبح ملحداً، بسبب اعتراضات عقلانية لديه على فكرة الله في المسيحية، وبقي ملحدًا لعشر سنوَات تالية، ولما قرأ تفسيرا للقرآن في سن الثامنة والعشرين وجد فيه إجابات لأسئلته، فاندفع لاعتناق الإسلام(3).

وقد سرد الأستاذ لانغ في كتابه "حتى الملائكة تسأل" أول تجربة له في أداء الصلاة تعرُّفه على القرآن، وصف فيها الإحساس العميق الذي كان ينتابه في أول قُـ.رب له مع من خلال الصلاة، ونقل للقارئ بدقة التحولات التي حدثت بداخله، ومن جملة تلك الانطباعات يقول:

"... سَرَتْ في جسدي موجة من البرد أخذَتْ تُشعّ في مكان ما من صدري، قوية لدرجة أنني شعرت بالرُّعب في بداية الأمر، ثم انتابَتني قُشعريرة. ولم يكن الأمر شعور جسدي بل إنه تجاوز ذلك، إذ غمرتني حالة من العواطف الغريبة أيضًا، شعرت

---

(1) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل – إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث:353. الجامع للحديث النبوي.

(2) جيفري لانج:عالم في الرياضيات،من مواليد 1954 بمدينة (برديجبورت) الأمريكية، يعمل حالياً في قسم الرياضيات في جامعة كنساس، له عدد منالمؤلفات حول فكره وانطباعاته عن الإسلام، مترجمة إلى العربية. منها: "حتى الملائكة تسأل"، "الصراع من أجل الإيمان". ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. Wikipedia.org

(3) جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل (رحلة إلى الإسلام في أمريكا)، ترجمة منذر العبسي، دار الفكر دمشق، ط1: 2001م، ص 7.

وكأنّ الرحمة قد حلّت بي لتغمرني حالة من الروحانية والسكينة، بدأت بالبكاء ولم أكن أدري لماذا؟ انهمرت الدّموع فوق وجنتي ووجدت نفسي أبكي بلا توقف، وكنت ازداد بكائي شعرت بقوة هائلة من الرِّقة والعطف تعانقني... كان الأمر وكأنّ سدًّا كبيرا قد انهار ليفيض منه مخزون هائل من الخوف والغضب"(1).

حين نرى نماذجَ من التحول إلى الإيمان بفضل القرآن، من أناس عاشوا في بيئة أخرى غير بيئتنا... فتحوا أعينهم فيها على الإلحاد أو على ديانات محرفة؛ نتساءل كيف حدث لهم ذلك التحول العميق في حياتهم، بمجرد التقائهم مع القرآن، وتعرُّفهم على بعض مبادئه؟ بينما لا يحدث مثل هذا التحول العميق عندنا –نحن المسلمين– إلا قليلا؟!. ذلك ما سنتناوله –إن شاء الله– خلال المباحث القادمة من البحث.

المطلب الرابع: تحميل أمانة الاستخلاف

الوظيفة الأساسية الأخرى للقرآن أنه نزل ليحمل الإنسان أمانةَ الخلافة والاستخلاف في هذه الحياة الدنيا... الأمانة التي عرضها البارئ تبارك وتعالى على السماوات والأرض والجبال؛ فأ بين أن يحملنها وأشفقْن منها.

(فهيالمشيئةالعلياتريدأنتسلّملهذاالكائنالجديدفيالوجود،زمامهذهالأرض،وتطلقفيهايده، كلاإليهإبرازمشيئةالخالقفيالإبداعوالتكوين،والتحليلوالتركيب،والتحويروالتبديلوكشفمافيهذ الأرضمنقوىوطاقات،وكنوزوخامات،وتسخيرهذاكله–بإذنالله– فيالمهمةالضخمةالتيوكلهااللهإليه.

وإذنفقدوهبهذاالكائنالجديدمنالطاقاتالكامنة،والاستعداداتالمذخورةكفاءمافيهذهالأرضمنقو وطاقات،وكنوزوخامات،ووهبمنالقوىالخفيّةمايحققالمشيئةالإلهية)(2).

ومن حكمة الله ورحمته بعباده المستخلَفين، بعد أن كرمهم بما كرمهم من تفضيلهم على كثير ممن خلق، وتأهيلهم لخلافته تعالى، أن شرفهم بالوحي –والقرآن كلمته الأخيرة– هاديا لهم إلى منهج تمثلها في الواقع.. إلى سبل الاقتداء بصفات الله عز وجل، من العلم والحكمة والرحمة والحلم... وكيفية نشر الخير وإفشاء العدل والمحبّة والسلام بين العباد.

---

(1) جيفري لانغ: حتى الملائكة تسأل، ص 234.

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (1/ 56).

وقد شبه الرسول الكريمفي حديثه؛ أثرالقرآن في حال المؤمن بهدايته، بأثر الغيث في الأرض الطيبة، التي تستقبل ذلك الغيث؛ فتنبت وتثمر بإذن ربها ما ينفع الناس والدوابَّ والأنعام، وهكذا شأن المؤمن؛حين يتفتَّح قلبه لنور القرآن وهدايته، يجعل منه إنسانا فعالاً، نافعا لغيره، مهتديا هاديا، مبلّغا رسالةَ ربه بلسان حاله قبل لسان المقال.

وقد روىالحديث أبو موسى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب[1] أمسكت الماء، الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان[2] لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقُه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به"[3].

أما معنى الحديث ومقصوده فهو «تمثيل الْهُدَى الَّذي جاء به صَلّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم بالْغَيْث، ومعناه أَنَّ الْأَرْض ثَلَاثَة أَنْواع، وَكَذَلكَ النَّاس. فَالنَّوع الْأَوَّل من الْأَرْض يَنتفع بالْمطَرِ فَيحيي بَعد أَنْ كَانَ ميِّتا، وَيُنبتُ الْكَلَأ، فَتَنتفع بها النَّاس والدَّوَاب وَالزَّرع وغيرها، وكَذَا النَّوع الْأَوَّل من النَّاس، يَبلُغُه الْهُدَى والْعلْم فَيحفَظُه فَيحيا قَلْبه وَيعمل به، ويُعلِّمه غَيرَه، فَيَنتفع وَيَنفَع.

والنَّوع الثَّاني من الْأَرْض ما لا تَقْبل الانْتفاع في نَفْسها، لَكن فيها فَائدَة، وَهي إمساك الْماء لغيرها، فَيَنتفع بها النَّاس والدَّوَاب، وَكَذَا النَّوع الثَّاني من النَّاس، لَهم قُلُوب حافظَة، لَكن لَيست لَهم أَفْهام ثاقبة، ولا رسوخ لَهم في الْعَقْل يَستنبطُون به الْمعاني والْأَحكَام، وَلَيْس عندهم اجتهادٌ في الطَّاعَة والْعمل به، فَهم يحفظُونه حتَّى يأْتي طَالب محتاج متَعطِّش لما عندهم من الْعلْم، أَهل للنَّفع والانتفاع، فَيأْخذه منهم فَينتفع به، فهؤلاء نفعوا بعلمهم. والنوع الثالث من الأرض السِّباخ التي لا تَنبت ونحوها، فهي لا تَنتفع تُمسكه لِينتفع بها غيرها، وكذا النَّوع الثَّالثُ من النَّاس، لَيست لَهم قُلُوب حافظَة

(1) أجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء، فلا تشربه سريعاً.

(2) قيعان: الأرَض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(3) صحيح مسلم –كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم – حديث:**4332**. الجامع للحديث.

أَ فْـهَامٍ وَاعِيَة، فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْم لَا يَـنْتَفِعُونَ بِه، وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ»[1].

فمثل القَرآن فَي الحَديث اَلسابق (كمَثل الماَءَ النازل من السماَءَ إغاثة للناس، بعد اشتداد الحاجة إليه؛ نشرا للرحمة في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾(الشورى: ٢٨)، فكما أنه لا خصوبة في أيِّ أرض بل لا حياة.. فكذلك لا هدَاية في أي قلب، بل لا حياة بغير قرآن.

ولن تستفيد أرض من ماء ما لم تقبله، ولن يستفيد قلب من قرآن ما لم يقبله... فإذا تنبت الأراضي السبخة الملساء التي لا تقبل أن يستقرَّ بها الماء –وهي القيعان– فإن العيب فيها وليس في الماء، وكذلك حال قلب الإنسان عند عدم الإيمان بالقرآن)[2].

قال الإمام القرطبيّ[3]–في أبعاد الحديث السابق–: (ضرب النبي صلى الله عليه لما جاء به من الدين؛ مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميِّت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلّم فهو بمنزلة الأرض الطيبة؛ شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه؛ غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقّه فيما جمع أدّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به؛ وهو المشار إليه "نضّر الله امرأً سمع مقالتي فأدّاها كما سمعها".

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره؛ فهو بمنزلة السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع في المثل الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها)[4].

---

(1) النووي:المنهاجشرح صحيح مسلم بن الحجاج، 483/7.

(2) الشاهد البوشيخي:القرآن والإنسان أية علاقة؟، ص 43–45.

(3)القرطبي هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي (671هـ/1273م): من كبار المفسِّرين. استقرَّ بمصر وتوفّي فيها. من كتبه: "الجامع لأحكام القرآن"، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة"... ينظر: الزركلي: الأعلام، 322/5.

(4)ابن حجر،أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، ط: 1379هـ، (1 / 177).

إنّ علاقة القرآن بالإنسان –باعتباره مخصّبا له– هي أعمق من مجرد تعلّم ونقل للمعلومات للآخرين، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يضرب مثلا لتلك العلاقة بالأرض تحديدًا إلا لوجه الشّبه بين تخصيب الغيث النافع للأرض الطّيبة، وبينتخصيب غيث القرآن للقلب النقيِّ المستعدّ للتلقي عنه؛ فيثمر سلوكًا قويما؛ لا ينتفع به لذاته فحسب.. بل يكون سلوكه دعوةً بالحال يستضيء به كل من يعامله، هذا فضلاً عن نشره لما تعلّمه وتشرّبه من هدايات الوحي الرباني لغيره.

ففي الحديث بيان أنّ القرآن يحول المؤمن –إذا وجد منه استعدادًا وقابليّةً للتحوُّل– من فرد منكفئٍ على ذاته إلى إنسان منفتح على الآخرين، بسلوكه الطّيِّب وإنقاذه للحيارى والتائهين، بما تشربه من علم الوحي، وهذا لا يتطلب من المرء أن يكون ذا بـ ع طويل في علوم الدين مثلاً، وإنما الاعتبار هو الإيمان الراسخ في القلب، وحمل هم تبليغ رسالة الدين، كما كان ديدن الصحابة الكرام، الذين لم يكونوا كلهم علماء راسخين في العلم، ولا في مقام واحد من التفقُّه في الدين، لكن حُرقتهم على الرسالة جعلت منهم سفراء الإسلام بحق إلى بقاع الأرض، فكانوا كالغيث النافع أينما وقع نفع، وحيثما حلّوا أرشدوا الخَلْق، وعرفوهم بخالقهم الحقّ.

وبعدُ... فهذه أهمالوظائف التي رأيناها –والله أعلم– لنزول القرآن على الإنسان، فالقرآن يحييه الحياة الحقيقية حياة القلب والروح، ويهديه إلى صراط الله المستقيم، ويشفيه من علل نفسه وطباعه السقيمة ، كما يجعل منه مهتديا وهاديا لغيره، إلا أن هذه الهبات العظيمة لن توهب لأي إنسان ما لم يقابل هذا الكتاب العزيز بجملة من الالتزامات والشروط، وهو ما سندرسه خلال الباب الثاني من البحث "علاج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم" إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني
مفهوم الإعراض عن العمل بالقرآنوالمصطلحات ذات العلاقة به في كتاب الله

المبحث الأول: مفهوم الإعراض في اللغة والاستعمال القرآني

المطلب الأول: مفهوم الإعراض في اللغة

الإعراض عن الشيء: الصد عنه[1]، أي تركه وإهماله والانصراف عنه، والكلمة مأخوذة من العرض أي عَرض الإنسان، لأن المرء إذا لم يرغب في شيء أو أمرٍ ما، ولّى مبديا عَرَضَه[2]، أو ولّى عُرضَ ظهره[3]، تعبيرا عن حالة الرفض وعدم القبولِ بالأمر، وبالتالي يتركه وينبذه وراء ظهره.

أصل كلمة "الإعراض" والفرق بينها وبين "التولي":

يقول الإمام الطاهر بن عاشور[4] في أصل كلمة "الإعراض" والفرق بينها وبين "التولي":

(الإعراض: صرفالعقلعنالاشتغالبالشيء)[5].

---

(1) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر:دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ – 1987 م، 459/1.

(2) مفردات القرآن، 559/1.

(3) مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني:تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت. (411/18).

(4) ابن عاشور (1296 – 1393 هـ = 1879 – 1973 م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. وهو من أعضاء المجمعين العربيَّين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة،من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن... ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 174).

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر:التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ (17 /

ويقول في موضع آخر:

«حقيقة الإعراض: لفْت الوجه عن الشيء لأنه مشتق من العارض، وهو صفحة لأن الكاره لشيء يصرف عنه وجهه. وحقيقة التولي: الإدبار والانصراف»[1].

نفهم من هذا التفريق أن الإعراض نفور القلب وكراهيته للشيء، أما التولّي فهو حركة الجسد المعبِّرة عن الانصراف العملي من ذلك الشيء، ونتيجة ذلك أن المتولّي الذي انصرف عن الأمرِ لطارئطرأ عليه؛ أقرب أمرا، وأسهل للعودة من المعرِض الذي نفر بقلبه نفورا تامًّا من ما دعي إليه.

ويقول صاحب تفسير "روح المعاني"[2] في التفرقة بين مصطلحي التّولّي «وفرق بعضهم بين التّولّي والإعراض، بأن الأول قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف ثبوت العقد، والإعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب، وقيل: إن التولي أن يرجع عوده إلى بدئه، والإعراض أن يترك المنهج ويأخذ في عَرض الطريق»[3].

أما الشيخ محمد رشيد رضافيفرق بين نوعين من التولّي: التولّي العارض –أي وتولّي الإعراض، حيث يقول: « فَـرْقٌ عَظِيمٌ بَـيْنَ الـتَّـوَلِّي الْعَارِضِ لِصَارِفِ الْإِعْرَاضِ وَالْكَرَاهَةِ الَّذِي فَـقَدَ صَاحِبُهُ الِاسْتِعْدَادَ لِلْحَقِّ، و قَـبُولَ الْخَيْرِ فَـقْدًا تَامًّا»[4].

العبارات التمثَيليةالدالة على مفهوم الإعراض في اللغة والقرآن:

وقد وردت في لغة العرب وفي القرآن الكريم أيضا عبارات تمثيلية وألفاظ مجازية؛ عن هيآت وأوضاع للجسد، يترجم بها المرء –بوعي منه أو بغير وعي– عن إعراضه

9).

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر:التحرير والتنوير، (27 / 121).

(2) هو الإمام الآلوسي (1217 – 1270هـ = 1802 – 1854م): محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، أبو الثناء: مفسِّر، محدِّث وأديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعَزل، فانقطع للعلم. ثم سافر إلى الموصل، فالآستانة... فغاب 21 شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام).ينظر: الزركلي: الأعلام (17/7).

(3)الألوسي:روح المعاني، (1 / 310).

(4) محمد رشيد رضا:تفسير المنار، (9 / 522).

ورفضه ونفوره من شيء أو قضية ما؛ ولا يستعمل القرآن تلك الألفاظ إلا في رفض والنفور منه، ومن بينها:

1-"نأى بجانبه": النأي هو البعد «يقال للرجل إذا تكبّر وأعْرض بوجهه: نأى ومعناه أَنه نأَى جانبَه من ورِاء أَي نَحّاه، قال الله تعالى: (وإذا أَنْعَمْنا على الإنسان ونأَى بجانبه) أَي أَنْأَى جانبه عن خالقه؛ متغانياً معرضاً عن عَبادته ودعائه، وقيل: نأَى بجانبه أَي تباعَد عن القبول»[1].

2- "ثنى عطْفه": «عطْفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه. وكذلك عطفا شيء: جانباه. ويقال: ثَنى فلانٌ عنِّي عطفَه، إذا أعرض عنك. ومُنْعَطَفُ الوادي: ومنحَناه»[2].

وجاء في لسان العرب: «ثَنى عطْفَه: أَعْرض، ومرَّ ثاني عطْفه أَي رَخيَّ البال، وفي التنزيل: (ثاني عطْفه ليُضلَّ عن سبيلَ اللّه) قال الأَزهري جاء في التفسير أَن معناهَ: لاوِياً عنقَه وهذا يوصَفُ به المتكبِّر، فالمعنى ومن الناس من يُجادل في اللّه بغير علم ثانياً أَي متكبراً»[3].

3-"أدبر": الإدبار ضد الإقبال، يقول الراغب الأصفهاني: «أَدبر: أعرض وولّى دبره، قال تعالى:﴿ثُمَّ أَدْبَرَ واستَكْبَرَ﴾ [المدثر / 23]، وقال:﴿تَدْعو من أَدْبَرَ﴾ [المعارج / 17]»[4].

4-" صدف": الصَّدْف والصُّدوف الميل عن الشيء، يقول صاحب لسان العرب: «صَدَفَ عنه يَصْدِفُ صَدْفاً وصُدُوفاً عدَلَ، وأَصْدَفَه عنه عدَل به، وصَدَفَ عني أَي أَعْرض، وقوله عزَّ وجل: (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يَصْدِفُونَ) أَي يُعرضون... والصَّدَفُ عوج في اليدين، وقيل ميل في الحافر إلى الجانب الوَحْشيِّ، وقيل هو أَن يميل خُفُّ البعير من اليد أَو الرِّجل إلى الجانب الوحشي، وقيل

---

(1) ابن منظور:لسان العرب،300/15.

(2)الجوهري: الصحاح في اللغة(1 / 479).

(3)ابن منظور: لسان العرب (9 / 249)، ينظر أيضا:الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب:القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعةالثامنة، 1426 هـ – 2005 م، 1083/1.

(4) الأصفهاني: مفردات القرآن، (1 / 307).

الصَّدَفُ ميل في القدم»[1].

5-"انقلب على عقبيه": يقول الإمام القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران: 144] «ارتددتم كفارا بعد إيمانكم، قاله قتادة وغيره. ويقال لمن عاد إلى ما كان عليه: انقلب عقبيه»[2].

(وفي التعبير القرآني تصوير حيٌّ للارتداد: «انقلبتم على أعقابكم».. «ومن ينقلب على عقبيه»: فهذه الحركة الحسِّية في الانقلاب تجسم معنى الارتداد عن هذه العقيدة، كأنه منظر مشهود، والمقصود أصلا ليس حركة الارتداد الحسية بالهزيمة في المعركة [معركة أُحد]، ولكن حركة الارتداد النفسية التي صاحبتها حينما هتف الهاتف: "إن محمَّدا قد قُتِل"، فأحس بعض المسلمين أن لا جدوى إذن من قتال المشركين، وبموت محمد انتهى أمر هذا الدين، وانتهى أمر الجهاد للمشركين!

فهذه الحركة النفسية يجسمها التعبير هنا، فيصورها حركة ارتداد على الأعقاب، كارتدادهم في المعركة على الأعقاب)[3].

6- "نكص على عقبيه": وردت هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ (المؤمنون:66).

جاء في لسان العرب عن مفهوم النُّكُوص: «النُّكُوص، الإِحْجامُ والانْقِداعُ عن الشيء، تقول أَرادَ فلانٌ أَمراً ثم نَكَصَ على عَقِبَيْه، ونَكَصَ عن الأَمر يَنْكص نَكْصاً ونُكوصاً: أَحجم. قال أَبو منصور: نَكَصَ يَنْكُصُ و يَنْكِصُ؛ ونَكَصَ فلانٌ عن ونَكَفَ بمعنى واحد أَي أَحجم. ونَكَص على عقبيه: رجع عما كان عليه من الخير، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة. ونَكَصَ الرجلُ يَنْكُصُ رجع إلى خَلْفه. عز وجل: "وكنتم على أَعقابكم تَنْكِصُون" فُسِّر بذلك كله»[4].

---

(1)ابن منظور: لسان العرب، (9 / 187). ينظر أيضا: الجوهري: الصحاح في اللغة، 383/1. وكذا: الأصفهاني: مفردات القرآن، 478/1.

(2) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،(4 / 226).

(3)سيد قطب: في ظلال القرآن (1 / 486).

(4)ابن منظور: لسان العرب (7 / 101)

7-" نَبذَ الشيء وراء ظهره": وردت هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿ولَمَّا جآءهم رَسُولٌ مِّنْ عند الله مُصَدِّقٌ لِّما معهم نَبذَ فَرِيقٌ مِّنَ الذين أُوتُواْ الْكِتَاب كتَابَ الله ورآء ظُهُورهمْ كأَنَّهم لا يَعلَمونَ﴾(البقرة: ١٠١).

يقول الرَاغب الأصفهاني في معنى كلمة النبذ: «إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الاعتداد ولذلك يقال: نَبَذْتُهُ نَبذَ النَّعل الخَلق، قال تعالى:﴿لَيُنبَذَنَّ في الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة 4]،﴿ فَنَبَذُوهُ وراء ظُهُورهمْ﴾ [آل عمرَان / 187] لقلّة اعتدادهَم به، وقالَ: ﴿ نَبذَهُ مِنْهُمْ﴾ [البقرة / 100] أي: طرحوه لقلّة اعتدادهم به»(1).

أما عبارة "وراء الظّهر" فهي «تمثيل للإعراض، لأن من أعرض عن شيء تجاوزه فخلّفه وراء ظهره، وإضافة الوراء إلى الظهر لتأكيد بعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد فجعل للظهر وراء؛ وإن كان هو هنا بمعنى الوراء»(2).

وعن الحكمة من استعمال الوراء بدلاً من الأمام في الآية الكريمة: ﴿ولَمَّا جآءهم رَسُولٌ مِّنْ عند الله مُصَدِّقٌ لِّما معهم نَبذَ فَرِيقٌ مِّنَ الذين أُوتُواْ الْكِتَاب كتَابَ الله ورآء ظُهُورهمْ كأَنَّهم لا يَعلَمونَ﴾(البقرة: ١٠١)، يقولَ الإمام الشعرَاوي:

«النبذ قدَ يكون أمامك، وكونه أمامك فأنت تراه دائما، وربما يغريك بالإقبال عليه، ولكنهم "نبذوه وراء ظهورهم" أي جعلوه وراءهم حتى ينسوه تماما ولا يلتفتوا إليه»(3).

المطلب الثاني: مفهوم الإعراض في الاستعمال القرآني

بعد تتبع عام لسياقات ورود مصطلح "الإعراض" بمفهومه السلبي(4) في القرآن، وجدناه ينحصر في خمس سياقات وهي: سياق الحديث عن بني إسرائيل، سياق الكفّار والمشركين، المنافقين، المؤمنين، وكذلك في سياق الحديث عن طباع الإنسان عموما

(1)الأصفهاني: مفردات القرآن(1 / 788)

(2) الشعراوي،محمد متولي: تفسير الشعراوي(خواطر إيمانية)، نشر: مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م، (608/1).

(3) الشعراوي:تفسير الشعراوي، (1 / 286).

(4) لقد ورد مصطلح الإعراض بمفهوم إيجابي، هو ما دعا إليه القرآن على سبيل الوجوب، وهو لا يدخل في إطار موضوع بحثنا... من مثل قوله تعالى:

﴿خُذ الْعَفْوَ وَامُرْ بالْعُرْف وأَعْرِضْ عن الْجاهلينَ﴾ (الأعراف: 199).

﴿فأَعْرِضْ عن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنا ولَمْ يرد إلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيا﴾ (النّجم: 29).

دون تحديد للمعتقد.

1- مفهوم الإعراض في سياق بني إسرائيل:

بنو إسرائيل هم أكثر الشعوب والأقوام ذكرا لقصصهم ومواقفهم مع أنبيائهم في القرآن، خصوصا مع نبيهم موسى عليه السلام، وذلك لاجتماع عدد من الصفات والطباع السيئة التي يحذّر الله منها عباده، ومن أصول هذه الطباع:نقضهم للعهود والمواثيق التي أخذها عليهم ربهم في أكثر من مناسبة.

ومن جملة مواثيقهم، ذلك الميثاق الذي تضمن أصول العبادات والمعاملات والأخلاق الإنسانية السامية، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والإحسان إلى الوالدين ولذي القرابة واليتامى والمساكين، والتعامل بالحسنى مع الناس، وإقامة شعيرتي الصلاة والزّكاة، لكنهم مع أخذهم لهذه العهود – التي فيها سعادتهم، وصلاح دنياهم–وتوثيقها مع ربهم.. إلا أنهم تولّوا عن العمل بها، وهم في حال الإعراض وعدم الاكتراث لها.

قال تعالى في هذا السياق: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: 83]، (وأ ن.تممعرضو ن.عنالوصاياالتيتضمّنتذلكالميثاق،أ ي. ت.وليتمعن ت.عمّدوجرأةوقلةاكتراثبالتدبّرفيهاوالعملبها)[1].

وسبب هذا التّولي مع الإعراض هو اتّ.باعهم لأحبارهم ورهبانهم؛ الضالّين حتى اتخذوهم أربابا من دون الله؛ يحلّون لهم ويحرمون ما شاؤوا، ويزيدون في والشّرائع[2] افتراء على الله تعالى، رغم علمهم وإيمانهم بأنّ خالقهم (هوالّذييضعالدِّي ن.وحده،وإنّماالعلماءأدلاءيس ت.عانبهمعلىفهمكتابهوماشرععلىألسنةرسله،و ا تّ. ب.عس ن.ناا ي.هودفيهذاالتّشريعجميعمنب .عدهممنأهلالملل،وحكمالجميععنداللهـ واحدلايختلف، ف.هولايحابيأحدا)[3].

---

(1)ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، ط: 1984، (1/ 584).

(2) محمد رشيد رضا:تفسيرالمنار (1/ 306).

(3) المصدر السابق نفسه.

وفي موضع آخر من سورة آل عمران يعتب عليهم تعالى إعراضهم عن القرآن، لـما دَعَوا إلى الاحتكام إليه عند نشوب نزاع بينهم، مع ادّعائهم الإيمان بكتابهم الذي يبشّر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلّم، وبصدق رسالته.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَـر إلِى الذين أُوتُواْ نَصيبا مِّنَ الْكتَاب يُدْعَوْنَ إلِىا كتَاب الله ب. ي. ـنـهم ثُمَّ ي. تـولَّىا فَرِيق مِّ ـنْـهم وهم مُّعْرضُونَ﴾ [آل عمران: 23]

نزلت الآية في اليهود حين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاحتكام إلى كتاب الله، فرفضوا وامتنعوا عن ذلك، فقد ورد في سبب نزولها: (عنابنعباسقال: دخلرسولاللهصلىاللهعليهوسلمبيتالمدْراسعلىجماعةمنيهود،فدعاهمإلىالله،فقاللهنعيمبنعمرو، و،والحارثبنزيد: علىأيدينأنتيامحمدَ؟فقال:"علىملةإبراهيمودينه. فقالافإنإبراهيمكانيهوديًّا! فقاللهمارسولاللهصلىاللهعليهوسلم: فهلمُّواإلىالتوراة،فهيبينناوبينكم! فأبياعليه،فأنزلاللهعزوجل:" ألمترإلىالذينأوتوانصيبامنالكتابيدْعونَإلىكتاباللهليحكمبينهمثميتولّ ولّىفريقمنهموهممعرضون" إلىقوله:"ماكانوايفترون")(1).

(فالمعنىالذيدُعواإلىحكمه،هوماكانفرضاًعليهمالإجابةإليهفيدينهم،فامتنعوامنه،فأخبرالله جلثناؤهعنهمبردّتهم،وتكذيبهمبمافيكتابهم،وجحودهمماقدأخذعليهمعهودهمومواثيقهمبإقامته لعملبه،فلنيعدُواأنيكونوافيتكذيبهممحمّداًوماجاءبهمنالحق،مثلهمفيتكذيبهمموسوماجاءبه؛و هميتولّونهويقرونبه)(2).

2- مفهوم الإعراض في سياق المنافقين:

قال تعالى عن قضية الإعراض في سياق المنافقين:﴿وَمِ ـنْـهم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئنِ منْ فَضْله لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ من الصَّالحين فَـلَمَّآ ءاتَاهُم مِّن فَضْله بَخلُوا به و تـولَّوا وَّهُم مُّعرضُونَ﴾ [الأنفال: 75-76]

جاءت الآية في سياق الحديث عن صفة من صفات المنافقين وهي خلف العهد فقد نزلت في بعض المنافقين الفقراء، ممن عاهد الله بأن يتصدّق بماله ويكون من أوسع الله له في الرزق، فلما استجيب له أدركه البخل والحرص على المال، فأخلف عهده

(1)الطّبري: جامع البيان في تأويل القرآن،(6/288-289).

(2)المصدر السابق نفسه (6/ 291).

وتولّى معرضا عن ربه، وعن الوفاء بعهده[1]، وسواء صحَّت الرواية المصاحبة لنزول الآية، أو كانت المناسبة الملازمة لها حدثًا آخر، فإنها تجسم صورة عامة ومتكررة لطبيعة حين لا يتمكن فيها الإيمان، ويستبد بها الحرص والطمع والقيم المادية.

(ولميكن تـ.ولّيهمهذاأمراعارضاشغلهمعنـ .هشاغلٌ يـ.زولبزوالهـ بـ.لْ تـ.ولّوا؛وهمم واهمعنالصَّدقةوالعملالصَّالح،فكانالإعراضصفةراسخةفيهمحاكمةعليهم،بحيثإذاذكّروابمايجـ بـ.عليهملايذكرون،وإذادعواإليهلايستجيبون)[2].

وَقالَ تعالى عَن الإعراض في سَياق المَنافَقين أيضَا:

﴿و يـ.قولُونَ ءامنَّا بالله وبالرَّسول وأَطَعنا ثُمَّ يـ. تـ.ولىَّا فَريقٌ مِّ نـ.هم مِّن بـ.عد بالْمومنين وإذَا دُعوا إلى اللهَ ورسوله ليَحكُم بـ. يـ. نـ.هم إذا فَريقٌ مِّ نـ.هم مُّعرضُون وإنْ الْحقُّ يَاتوا إلَيه مذْعنين﴾ [النور: 47-49]

يتحدث هَذا الَخطاب عن طبع المنافقين الأصيل: وهو الادّعاء الكاذب للإيمان وقالبا؛ باللسان والمظاهر الخارجية، لكن أعمالهم وخصالهم تكذّب أقوالهم، والإيمان

---

(1) إلاّ أن هذه القصة التي يذكرها أغلب المفسرين سببا في نزول الآية، ضعَّف روايتها بعض أئمة الحديث، من بينهم الإمام بن حزم الذي عقّب عليها في سياق حديثه عن صفات المنافقين فقال:

(وهذهأيضاصفةأوردهااللهتعاليعرفهاكلمنفعلذلكمننفسه،وليسفيهانصولادليل،علىأنصاحبهامعروفبعينه،علىأنههقدر وينااثرالايصح،وفيهاأنهانزلتفيثعلبةبنحاطب،وهذاباطل،لأنثعلبة= = بدريمعروف،...عنأبيأمامةقال: «جاءثعلبةبنحاطببصدقتهإلعمرفلميقبلهاوقال: لميقبلهاالنبي – صلىاللهعليهوسلم – ولاأبوبكر،ولاأقبلها؟»قالأبومحمد: وهذاباطلبلاشك،لأناللهتعالىأمربقبضزكواتأموالالمسلمين،وأمر – عليهالسلام – عندموتهأنلايبقفيجزيرةالعربدينان،فلايخلوثعلبة منأنيكونمسلمافقرضعلىأبيبكر،وعمرقبضزكاتهولابد،ولافسحةفيذلك – وإنكانكافرافقرضاأنلايقرفيجزيرةالعرب – فسقطهذاالأثربلاشك،وفيرواته: معانبنرفاعةوالقاسمبنعبدالرحمن،وعليبنيزيد – وهوأبوعبدالملكالألهاني – وكلهمضعفاء،ومسكينبنبكيرليسبالقوي).

ابن حزم، أبو محمد عَليَ بن أحمَد القَرطَبي الظاهري: المحلىبالآثار، دار الفكر – بيروت، د.ت (12/ 137).

* ينظر أيضا ممن ضعف الرواية: السيوطي، جلال الدين: لبابالنقول في أسباب النزول، ص: 107–108.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر: مجمعالزوائدومنبعالفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م، (7/ 32).

(2) محمد رشيد رضا:تفسيرالمنار (10/ 482).

الصحيح حين يستقر في القلب لا يلبث إلا أن يتحول حركةً وفعلاً في عالم الواقع.

فهؤلاء المدَّعون، ينكشف زيفهم مباشرةً حين يدعون إلى الاحتكام لمنهج الله فإذا كان الحقّ عليهم رفضوه وأعرضوا عنه، (هذاالفريقالذيكانيدّعيالإيمان،ثميسلكهذاالسلوكالملتوي،إنماهونموذجللمنافقينفيكلزمانومكان المنافقينالذيلايجرؤونعلىالجهربكلمةالكفر،فيتظاهرونبالإسلام.

ولكنهملايرضونأنتقضيبينهمشريعةالله،ولاأنيحكمفيهمقانونه،فإذادعواإلىحكماللهورسولهأبوا وأعرضوا،وانتحلواالمعاذير

والسؤال المتبادر إلى الذهن؛ ما الموضوع الذي أعرضوا عنه بالضبط؟ إنه قبول الحق والرضا بحكم الله ورسوله[2]، وكذلككل متشكّك في دينهيهربمنالحق،ويجتهد –بكل أوتي من قوة وأسباب– فيالفرار والتملّص من حكمه[3].. يعقّب سياق الخطاب بقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ امِ ارْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 50].

جاءَ التعقيب في صيغة استفهام.. استفهام ذم وتوبيخ، ليقرر ما في بواطنهم من في القرآن، والخوف من الجور في أحكامه، وما كان الله ليظلمهم، ولكن هم الذين أنفسهم بالكفر والإعراض[4] عنه سبحانه وتعالى، وعن منهجه.

الإعراض عن القرآن في سياق المنافقين حقيقته قلّةُ اكتراث بالمنهج الربَّاني؛ وسببه مرض قلوبهم. .والتي تحكمها معايير مختلفة وليس معيارا واحدا، ولذلك وصفهم الله بالتذبذب ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَالِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: 143].فهميتبعون الحقَ إذا رأوا فيه مصلحة عاجلة لهم، أما إذا كان الحق عليهم،أو لغيرهم، أعرضوا عنه وخلّفوه وراءهم.

(علَى أَنَّهُمإنَّما يُعرضونمتىعرفواالْحقَّلغيرهمأَوْشَكُّوا؛ فَأَمَّاإذاعرفُوهلأَنْفسهمعدلُواعنا

---

(1)سيد قطب: فيظلالالقرآن (4/ 2526)

(2) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، (19/ 204)

(3)القشيري:لطائفالإشارات، (2/ 619)

(4)الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمدالنيسابوري: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ – 1994م، (3/ 325).

ض، بـلْسارعوا إلى الْحكْم وأذْعنوا بذْلا لرِّضا، وفي ذلك دلالة على أنَّ همْ ليس بهما تِّباع الْحقِّ، وإنَّما يريدون النَّفع الْمعجَّل، وذلك أيْضاً نفاقٌ)[1].

3- مفهَوم الإعَراض في سياق الكفّار والمشركين:

قال تعالى في هذا السياق: ﴿إنَّ شرَّ الدَّوآبِّ عند الله الصُّمُّ الْبُكْم الذين لا يعقلُونَ علم اللهُ فيهم خيراً لأَسمعهم ولَو اسمعهم لتولَوا وهم مُّعرضُونَ﴾ [الأنفال: 22-23]

في هَذَا الخطاب: الله تعالى يدعو عباده إلى طاعته وطاعة رسوله وعدم التولّي عن منهجه؛ مع العلم والفهم عنه في كل ما أمر ونهى ﴿ولاَ تولوا عنه وأنتم 20] ، وكذلك عدم التشبه بحال الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، ثم وصفهم بأنهم شر الدّواب، فقد ارتضوا لأنفسهم أن ينحطوا إلى حال البهائم؛ التي لا تعرف لحياتها معنى إشباع ضروراتها الفيزيولوجية، لكنها مع ذلك مهتديةٌ -بفطرتها- إلى كيفية الحصول احتياجاتها وممارستها.

أما هؤلاء الخلائق فقد أكرمهم الله بالعقل والوعي لكنهم أغلقوا منافذ الفهم والإدراك، وعطّلوها عن أداء ما خلقت لأجله... من التفكّر والتدبر في حالها، وعلاقتها بالحياة والأحياء، ومغزى وجودها ومآلها بعد مماتها، فحقَّ عليهم تسميتهم بالصم البكم الذين لا يعقلون.

على أنهم حتى لو أسمعهم الله وأفهم عقولهم كل شيء ما استجابوا ﴿ولَو اسمعهم لتولوا وهم مُّعرضُونَ﴾ [الأنفال: 23].. لكان ردّ فعلهم: الإعراض عن خالقهم.. عدم الاهتمام والاكتراث بخطاب ربهم، ولا الجدِّية في أمرهم.

قال الإمام الطبريَ في تفسير الآيات:

(ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيرا، لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره، حتى يعقلوا عن الله -عز وجل- حججه منه، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون. ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولّوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان... معاندون للحق بعد العلم به)[2].

---

(1) الرازي: مفاتيح الغيب (24/ 410).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (13/ 463).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة[1] في إعراض الكافرين عن كتاب ربهم: (..
لوسمعواسماعتدبُّرٍ،وإمعانوإدراك،ماصبرواعلىالحق، بلإنّقلوبهمفيريبدائممستمر،واضطرابلاَاستقرار معه،فالحقيحتاجالبَقاءعليهإلىصبر،ودوامتأملوتفكر؛فليسالإيمانُواقعةًتمر،بلهوحالمستمرةدائمة، يهاالتدبر،ويقوِّيهاطولالتأمل،وهؤلاءإنسمعواوتفكرواحينا،لاَتستمربشاشةالإيمانفيقلوبهم، ولذاقالتعالىفيجوابالشرط: (لَـتَـوَلَّواوهُممُّعْرِضُونَ)
وهذهصورةحالالمعرضينبعدأنكاديدخلنورالإيمانقلوبهم.
التَّولّيأنيولّيجنبهبدلوجهه،ولإظهارأنهممعرضشبهتحالهم—وقدأعرضواعنالحقوتركوه— بحالالذينيديرونوجوههموهممعرضون،غيرمقبلين، واللهيدعوهمإلىالحق،ويناديهمليجيبوه)[2].

وقال تعالى في سياق آخر عن إعراض المشركين: ﴿أَم اتَّخَذُواْ من دُونه ءالهَةً قُلْ بُرهَانَكُمْ هَذَا ذكْرُ من مَّعي وَذكْرُ من قَبْلي بلاَكْثَرهم لاَ يعلَمونَ الْحَقَّ فَهم [الأنبياء: 24].

جاءت الآية في سياق مخاطبة هؤلاء المشركين ودعوتهم إلى الحق والإيمان القهار، وبسط كل الحجج أمامهم لعلهم يعقلونها ويعتبرون بها، لكنهم أخيرا أعرضوا وأدبروا عن الحق، لا لجهلهم به، ولا لعجزهم عن إدراكه واستيعابه، ولا لغموض الحق ذاته؛ لكنه تعنُّتهم وعنادهم وعدم رغبتهم فيه، فلو رغبوه وأرادوه؛ لتمكّنوا من إدراكه والوصول إليه بحواسهم وعقولهم التي أكرمهم بها ربهم. فقَدْ

---

(1) الأعلامللزركلي (6/ 25)
محمدبنأحمدأبوزهرة: أكبرعلماءالشريعةالإسلاميةفيعصره.
مولدهبمدينةالمحلةالكبرىوتربىبالجامعالأحمديوتعلمبمدرسةالقضاءالشرعي (1916 – 1925)
وتولىتدريسالعلومالشرعيةوالعربيةثلاثسنوات،وعلمفيالمدارسالثانويةسنتينونصفا.
وبدأاتجاههإلىالبحثالعلميفيكليةأصولالدين (1933) وعينأستاذامحاضراللدراساتالعليافيالجامعة (1935)
وعضواللمجلسالأعلىللبحوثالعلمية.
وكانوكيلالكليةالحقوقبجامعةالقاهرة،ووكيلالمعهدالدراساتالإسلاميةوأصدرمنتأليفهأكثرمن 40
كتابا،منهاالمطبوعاتالآتية:
(2)أبو زهرة، محمد بن أحمد: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت (6/ 3096).

(عدموا العلم لإعراضهم عن النظر، ولو وضعوا النظر موضعه لوجب لهم العلم لا محالة)[1].

وما معنى نفي علم الحق عن أكثرهم؟ ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم [الأنبياء: 24]. يعني ذلك كما يقول بن عاشور: (أنهم لا يتطلبون علمه كما دلت عليه قرينة التفريع عليه بقوله تعالى: ﴿فهم معرضون﴾ أي معرضون عن النظر في الأدلة التي تدعوهم أنت إلى معرفتها والنظر فيها.

وإنما أسند هذا الحكم إلى أكثرهم لا لجميعهم تسجيلا عليهم بأن قليلا منهم يعلمون الحق ويجحدونه، وإيماء إلى أن قليلا منهم تهيأت نفوسهم لقبول الحق)[2].

ويقول تعالى أيضا عن الإعراض في سياق الكافرين: ﴿كتاب فصلت آياته عربيًّا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ [فصلت: 3-

(فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرًا لهم ونذيرًا، وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه؛ إعراضًا عنه واستكبارًا)[3].

وإعراضهم هذا يحتمل شقّين: أعرضوا عن التفكر والتأمل في هذا الكتاب الذي تنزل إليهم خطابا من خالقهم، أو أنهم أعرضوا عن اتباعه والعمل به بعدما تدبروه وعرفوا أنه حقّ؛ عنادا منهم ومكابرة[4].

4- مفهوم الإعراض في السياق العام لبني الإنسان:

يقول تعالى في سياق ذكر الإعراض؛ حديثا عن عموم بني الإنسان: ﴿ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن

(1) القشيري: لطائف الإشارات (2/ 498)، ينظر في هذا المعنى كذلك: الواحدي: التفسير الوسيط (3/ 235)، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد: محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1418 هـ، (7/ 188).

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (17/ 48)

(3) الطبري: جامع البيان (21/ 428)

(4) الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (9/ 59)، ينظر أيضا: المراغي، أحمد بن مصطفى: تفسير المراغي، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى: 1365 هـ - 1946 م، (24/ 105).

يَّفقهوه وفي ءاذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يَّهتدوا إذًا ابدًا﴾ [الكهف: ومعنى الآية

(وأيُّ النَّاس أوضع للإعراض والصَّدِّ في غير موضعهما، ممَّن ذُكِّر بآيات وحججه، فدلُّ بها على سبيل الرَّشاد، وهداه بها إلى طريق النَّجاة، فأعرض عن آياته وأدلَّته في استدلاله بها؛ إلى الوصول إلى الخلاص من الهلاك. ﴿ونسي ما قدَّمت يداه﴾ [الكهف: 57] يقول: ونسي ما أسلف من الذُّنوب المهلكة فلم يتب.

فهؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله ونُذُره، ولا يحملونها محمل الجد والاستعداد للالتزام؛ لا يرجى منهم فهم أو فقه لهذا القرآن، ولا انتفاع أو صلاح به. لذلك جعل الله على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه، وجعل في آذانهم كالصَّمم فلا يستمعون إليه. وقدّر عليهم الضلال- عقابا لهم بسبب استهزائهم وإعراضهم- فلا مطمع لهم في الهداية أبدا، لأنها [أي الهداية] تستوجب قلوبا متفتحة مستعدة للتلقي(2).

فحكم الله بعدم اهتداء ذلك الصنف من الناس (ليس.. اضطهادا منه تعالى للعباده- تعالى الله عن ذلك- بل استجابة لما طلبوا وتلبية لما أحبُّوا، فلما أحبُّوا الكفر وانشرحت به صدورهم زادهم منه؛ لأن ربَّه يعطيه يريد)(3).

ويقول تعالى في هذا السياق أيضا: ﴿وإذآ أنعمنا على الانسان أعرض ونأى وإذا مسه الشرُّ كان يئوسا﴾ [الإسراء: 83].

يتحدّث هذا السياق عن بعض الصفات الذميمة التي جبل عليها الإنسان، بمنأى عن قيم الإيمان، ومنها الإعراض عن ذكر الله، وشكر نعمته إذا بسط الله له في الرزق، وأسدل له الصحة والقوة والعافية، يقول القشيري في معنى الإعراض الذي يتلبس به الإنسان: (إذا نزعنا عنهم وجبات الخوف، وأرخينا لهم حبل الإمهال، وهيأنا لهم أسباب الرفاهية، اعترتهم غاليط النسيان، واولتعليهم دواعي العصيان، فأعرض عن الشكر، وتباعد عن بساط الوفاق.

ويقال: إعراضه في هذا الموضوع عنسيانه، ورؤية الفضل منه لا من الحق [جل شأنه]، وتوهُّمه أنما بهم نال النِّعم، فباستحقاق طاعة أخلصها، أو شدّة قاساها..

(1) الطبري: جامع البيان (15/ 303)، ينظر أيضا: المراغي: تفسير المراغي (15/ 168).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (4/ 2276).

(3) الشعراوي: تفسير الشعراوي (14/ 8944).

وهذافىالتحقيقشرك)[1].

وقد فسر بعض علماء التفسير الإنعام المذكور في آية الإسراء، بالنعمة المعنوية والروحية، والمتمثلة في نزول القرآن، باعتباره أكبر كرامة وتفضيل لبني آدم، يقول أبو حيان الأندلسي:

(لَمَّاذَكَر تَعالَى تَنويعماأَنْزَلمنالْقرآنشفاءورحمةًللْمُؤْمن،وبزيادةخَسارللظالم،عرّضبما وَمَاحواهم نَلَطَائفالشَّرائععلىالْإنسان،ومعذَلكأَعرضعَنهو بَعدبجانبه؛اشْمَئَزازالَهُ،وتكَ ماعه،و تَبْديلاًمكَانَشُكْرالْإِ نْعام.كُفْره)[2].

وَيقول المولى تعالى أيضا عن الإعراض في السياق الإنساني العام: ﴿اقْتَرب حساَبُهم وهُمْ في غَفْلَة مُّعْرضُونَما ياتيهم مِّن ذكْرٍ مِّن رَّبِّهم مُّحْدَث الاَّ اسْتَمعُوهُ وهُمْ يَلْعبُونَ لاَهيةً قُلُوبُهُمْ﴾[الأنبياء: 1-3]

افتتح اللَّهَ سورة الأنبياء بهذا المطلع القوي المزلزل؛ يصف دنوَّ قيام الساعة، حيث أهم فيه "الحساب ثم الجزاء"، حسابالناسعلىأعمالهمالتياكتسبوهافيدنياهم،ونعمهالتيأنعمهاعليهم والمعنوية، الظاهرة والباطنة.. ماذا عملوا فيها؟ هل أطاعوه فيها أم عصوه؟ هل امتثلوا فيها أمره تعالى ونهيه؟[3] أم استسلموا فيها لأهوائهم وأمنياتهم؟ وكانوا في غفلة معرضين.

﴿وهمفيغفلَةمعرضُونَ﴾بمعنى:

(وهمفيالدنياعمّااللهفَاعلبهممنذلكيومالقيامة،وعندنَومحاسبتهإيَّاهممنهم..فيسهووغفلة،و ضواعنذلك،فتركواالفكرفيه،والاستعدادله والتأهُّب،جهلاًمنهمبماهملاقوهعندذلكمنعظيمالبلاء،وشديدالأهوال)[4].

إذا تساءلنا عن المعنيِّ بهذه الآيات؟ رغم ورود صيغة العموم فيها "الناس"،

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات (2/ 366). ينظر أيضا: البيضاوي،أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي:أنوارالتنزيلوأسرارالتأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعةالأولى: 1418 هـ، (3/ 265).

(2)أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي:البحرالمحيطفيالتفسير،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ، (7/ 105).

(3)الطبري: جامعالبيان (18/ 409).

(4)المصدر السابق نفسه.

الآياتأنهانزلتفيالمشركين؛لأنهانزلتأول مرة بمكة ، وكانأكثرأهلهامشركين، لكنالأهلالإسلامفيذلكحظٌونصيب؛فيماوصفهمبالغفلةعنذلك لإعراضعنه–كما يبين الإمام الماتريدي–...وأهلالإسلاميوجد منهم من يغفلعنالحساب،إلاّأنغفلةَالكفرةغفلةُتكذيب،وإعراضهمإعراضتكذيببالحساب،وبالآياتالتيأنز عليهم،وغفلةأهلالإسلامعنالحساب؛لشهواتوأهواء تمكّنتمن قلوبهم،وغلبتعلى نفوسهم،فأغفلتهمعن الموضوع[1]–رغم خطورته–.

ومعنى اجتماع الغفلة مع الإعراض عن الحساب عند كثير من الناس؛ (أنهمغافلونعنحسابهمساهون،لايتفكرونفيعاقبتهم.معاقتضاءعقولهمأنهلابدمنجزاءالمحسنوا ء،ثمإذا نُبهوامنسِنةالغفلة؛بمايتلىمنالآياتوالنُّذرأعرضواعنه)[2].

وهذه الآيات الأولى من مطلع السورة، تصور حالة نفسية متفشّيةً في كل زمان ومكان، إنها الموقف النفسي والاعتقادي نحو الحق وقضايا الإيمان والوحي، فحيثما النفس البشرية جدّيتها وتصورها لرسالتها في الوجود تصير إلى هذه الحالة البائسة، يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات، والموقف الجدّي الذي تنزلت فيه:

(والموقفجدٌّوهملايشعرونبالموقفوخطورته·

وكلماجاءهممنالقرآنجديدقابلوهباللهووالاستهتار،واستمعوهوهمهازلونيلعبون..

«لاهيةً قُلُوبُهُمْ»..والقلوبهيموضعالتأملوالتدبروالتفكير...

َوالنفسالتيتفرغمنالجدّوالاحتفالوالقداسة؛تنتهيإلىحالةمنالتفاهةوالجدبوالانحلالفلاتصلح نهوضبعبء...وتغدوالحياةفيهاعاطلةهينةرخيصة!...

وهؤلاءالذينيصفهمالقرآنالكريمكانوايواجهونماينزلمنالقرآنليكوندستوراللحياة،ومنهاجاللعم وقانونالتعامل.. باللعب. ويواجهوناقترابالحساببالغفلة. وأمثالهؤلاءموجودونفيكلزمان. فحيثماخلتالروحمنالجدّوالاحتفالوالقداسةصارتإلىهذهالصورةالمريضةالشائهةالتييرسمهاالقر

(1)الماتريدي:تأويلاتأهلالسنة (7/ 325).

(2) الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد: لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1415 هـ، (3/ 220).

)[1].

5- مفهوم الإعراض في سياق المؤمنين:

لم يستثن كتاب الله تعالى المؤمنين به؛ من تحذيرهم من الوقوع في حال الإعراض بشكل جزئي -كما يبدو في الظاهر-، ذلك الإعراض الذي يعني جعل القرآن عضين؛ يجزئه المرء أجزاء، يأخذ منه ما يأخذ ويترك منه ما يترك؛ حسب مزاجه وهواه.. من قضية القيام بالعدل والقسط، وأداء الشهادة على وجهها، وهما من أعظم القيم والمبادئ التي يقوم عليها الدين الحنيف، ويدعو إليها الكتاب الكريم، فلا يمكن أن يتصف الفرد المجتمع بالإيمان الحقيقي في غياب أو ضعف هاتين القيمتين: الحكم بالعدل، والشهادة لله. (فإنّ العدل في الحكم وأداء الشّهادة بالحقّ هو قوام صلاح المجتمع الإسلاميّ، والانحراف عن ذلك ولو قليلاً يجرّ إلى فساد متسلسل)[2].

يقول المولى تعالى في هذا الشّأن: ﴿يا أيّها الذين ءامنوا كونوا قوّامين بالقسط ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًّا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتّبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء: جاء في تفسير ابن كثير:

(تلووا، أي: تحرّفوا الشّهادة وتغيّروها، واللّيّ هو التحريف وتعمّد الكذب، قال تعالى: ﴿وإنّ منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ [آل عمران: 78]، والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها، قال تعالى: ﴿ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه﴾ [283]..)[3].

ومقصد القرآن من التحذير من اتّباع الهوى عند الحكم، والإعراض عن الشهادة لله (إبطال التّأثّر بالمظاهر التي تستجلب النّفوس إلى مراعاتها... وتغضي بسببها عن تمييز الحقّ من الباطل. وتذهل عنه، فمن النّفوس من يتوهّم أنّ الغنى يربأ بصاحبه عن أخذ حقّ غيره، يقول في نفسه:

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (4/ 2367).

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (5/ 224).

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى: 1419 هـ، (2/ 384).

هذا فيه غنية عن أكل حق غيره، وقد أنعم الله عليه بعدم الحاجة.

ومن النّاس من يميل إلى الفقير لرقة له، فيحسبه مظلوما، أو يحسب أنّ القضاء له بمال الغني لا يضرّا ...

وهذا التردد صالح لكل من أصحاب هذين التوهمين، فالذي يعظم الغني يريد دحض لأجله حقّ الفقير فقير يريد دحض لأجله حقّ الغني، وكلا ذلك باطل، فإنّ الذي يراعي حال الغني والفقير، ويقدّر إصلاحهما هو الله تعالى)(1).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في معنى كون الشهادة لله، وأنّ الواجب عدم الإعراض عنها:

(ومعنى كون الشّهادة لله أن يتحرّى فيها الحقّ الذي يرضاه ويأمر به، من غير مراعاة ولا محاباة لأحد، لا أنفسكم أو الوالدين والأقربين أي:

ولو كانت الشّهادة على أنفسكم، بأن يثبت بها الحقّ عليكم.

ومن أقرّ على نفسه بحقّ، فقد شهد عليها؛ لأنّ الشّهادة إظهار الحقّ، أو على والديكم وأقـ مك أولادكم وإخوتكم، فإنّه ليس من برّ الوالدين ولا من صلة رحم الأقربين، أن يعانوا على ما ليس لـ لإعراض عن الشّهادة عليهم، أو ليّها والتّحريف فيها لأجلهم، وإنّما البرّ والصّلة في الحقّ والمعروف، والحقّ أحقّ أن يتّبع)(2).

ويفسر آية النساء -الآنفة الذكر- ما ورد في سورة المائدة من قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهدآء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ [المائدة:

في آية النساء الأولى دعوة إلى عدم تأثر النفس بهوى الأصدقاء والأقرباء في الشهادة والقيام بالعدل، وفي هذا السياق تحذير من التأثر ببغض الأعداء والغرباء في القيام لله، والشهادة بالقسط، وإنفاذ العدل بينهم، (والمؤمن مطالب بالقيام لله بإصلاح ذاته، ومطالب ثانيا أن يشهد بالقسط والعدل لإصلاح غيره)(3).

ومعنى قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا

---

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير (5/ 226).

(2) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (5/ 372)، ينظر أيضا: سيد قطب: في ظلال القرآن (2/ 776).

(3) الشعراوي: تفسير الشعراوي (5/ 2972).

تَـعْدلُوا﴾: (لايحملنّكمبغضقومعلىألاّتعدلوا، وإلاسيكونالبغضلصالحعدوّكم، وبغضالمؤمنإذا
هعلىاتّباعهواهسيكونلصالحالعدو؛ لأناللهسيعاقبالمؤمنلوأدخلالهوىوالبغضفيإقامةالميزانالعاد
، فتحكيمالبغضوالعداءوالهوىيكونلصالحالخصوم؛ لذلكلايحملنّكمأيهاالمؤمنونشنآن –
أيبغض –قوم؛ علىألاّتعدلوا.

ويضيفالحق: {اعدلواهوأَ قْ.ربللتقوى}

والعدالةحينتطلبمعالخصمهيتقريعلذلكالخصملأنهخالفالإيمان.

"إنعدالةهذاالمسلملمتمنعهمنأنيقوللاحق، ولابدّأنعقيدتهتجعلمنهإنساناًقوياً، وأندينهالذيأمرهب
كهونعمالدين")[1].

فلا تتحقّق قيمة العدل عند المؤمن في نفسه، وتنفيذًا لها في حقّ غيره؛ إلاّ بالعدولعنكلحظٍّونصيب[2]، من حظوظ النفس العاجلة وأهوائها ورغائبها، وطبعا لا يتحقق هذا إلاّ بتجنيبها مواطن الإعراض عن منهج ربها، وإلاّ بتزكيتها والجهاد بها في حقّ الجهاد، وذلك اختبارها وتكليفُها في هذه الحياة.

بعد قراءة وتتبُّع للآيات الواردة في موضوع بحثنا، وجدنا أن مفهوم الإعراض في القرآن الكريم على اختلاف السياقات التي ورد فيها باعتبار المعتقَد وعلاقة الإنسان بالخالق، تدور كلها في الأخير حول معنى واحد؛ اعتبرناه روح الإعراض وجوهره وهو:

" ضعف صلة العبد بخالقه أو غيابها،وانصراف قلبه عن آخرته، وصرف كل همتهفي دنياه، وعبادته لهواه".

لأن عدم اتّباع الإنسان لهدى ربه وإعراضه عنه –بشكل جزئي أو كامل– هو نتيجةٌ لانقطاعأو ضعفصلته بخالقه تعالى، وانصرافه عن الاشتغال بآخرته –بصفة دائمة أو مؤقتة– وجعل همِّه الأول حياته الدنيا، واتّباع هواه، وإرضاء حظوظ نفسه الأمارة بالسوء.

من هنا تكمن خطورة موضوع الإعراض عن الله وكتابه، وعن اليوم الآخر وحسابه، حيث أنه لا يعني فقط من كفر جهرةً بالله تعالى ورسله، وجحد صراحةً بالبعث بعد ومن ورائه الحساب ثم الجزاء، إنما هو يمس من قريب أو بعيد كل إنسان عاقل مكلّف،

---

(1) الشعراوي:تفسير الشعراوي (5/ 2976).

(2) القشيري: لطائف الإشارات (1/ 407).

إلى الدنيا، وأهمل روحه، ومحاسبةَ نفسه ومراقبتها، ومن ثَم تزكيتها، والجهاد بها من مصداقًا لقوله تعالى في سر فلاح النّفس -بعد أن أقسم بها-:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ دَسَّاهَا﴾[الشمس: 7-10]

المبحث الثاني: المصطلحات ذات العلاقة بالإعراض في كتاب الله

إذا تأملنا كتاب الله عز وجل... وجدناه بمقدار دعوته الإنسان إلى الانفتاح على الحقيقة حيثما كانت وأينما وجدت؛ يحذّره من الانغلاق وجموده وتعصبه للآراء والأهواء، ضدَّ الحقائق والبينات التي جاءت بها رسالة السماء إلى الأرض؛ وإنما الذي ينفتح على الحقيقة ويؤمن بها،أو ينغلق عنها ويكفر بها هو:القلـ . . ..ب.

والتعصب للرأي والميل للهوى ضدَّ الحقيقة التي جاء بها الوحي الإلهي؛ هو الإعراض الذي كنا نتقصى معناه في المبحث الأول، وقد وجدنا القرآن الكريم يستعمل مصطلحات عدّة لهذا المفهوم؛ تتعلق به مباشرةً أو بطريق غير مباشر، ومن هذه المصطلحات: الكفر – الشرك – النفاق – الفسوق – العصيان – البغي – الظلم – قسوة القلب... وهو ما نجد بحثه عند علماء الكلام والعقيدة في مصنفاتهم بعنوان: "الأسماء والأحكام"هذا المبحث أن نتقصى معاني أربع مصطلحات وجدناها ذات علاقة مباشرة[1] بمصطلح الإعراض،وهي:

الكفر – التكذيب – الاستكبار – والاستغناء.

وبقراءة متأنية للآيات والسياقات التي وردت فيها تلك المصطلحات نفهم أن الموضوع من الخطورة بمكان–كما أسلفنا في نهاية المبحث السابق– ذلك أنه لا يخص الكافرين أو المشركين أو أصحاب الملل الأخرى –حسبما يظن كثير من الناس– بل يشمل كل إنسان بغض النظر عن ديانته؛ فنحن المسلمين لسنا بمنأى عن حقائق تلك المصطلحات التي تعالج قضية جوهرية واحدة وهي: "رفض القلب للحق ونفوره منه؛ بوعي أو بغير وعي"؛ إلا أن هذا الرفض والنفور ليس صنفا واحدا، بل هو درجات متفاوتة من شخص لآخر، حسب قوة أو ضعف الحجاب الذي يحجبه عن الحقيقة، وحسب استعداده وقابليته للتغيير، فهناك إعراض دون إعراض، وتكذيب دون تكذيب؛ كما أن الكفر درجات.. كفر النعمة دون كفر الجحود، ولكلٍّ منهما أيضا مراتب متفاوتة.

(1) – مصطلح "التولّي" له علاقة مباشرة بالإعراض، وقد بحثنا معناه تحت عنوان: أصل كلمة "الإعراض" والفرق بينها وبين "التولي"، ينظر ص:51 من البحث.

وفي ما يلي نبحث معاني تلك المصطلحات الأربعة ؛ كلٌّ على حده، مع الاكتفاء بذكر بعض الشواهد لكل مصطلح، إذ أن المقام لا يسمح بتتبع كل الآيات الواردة في المفهوم الواحد.

المطلب الأول: مفهوم الكفر

قال ابن فارس في شرح لفظ الكُفر: "(كَفَر) الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ... والنَّهر الْعَظِيمُ كَافِرٌ، تَشْبِيهٌ بِالْبَحْرِ. للزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(الحديد:20). ورمادٌ مَكْفُورٌ: سفَتِ الرِّيحُ التُّرابَ عَلَيْه حتَّى غَطَّتْهُ. قَالَ: قَدْ غَيَّرَ رمادٍ مَكْفُورٍ.

وَالْكُفْرُ: ضدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: وسَتْرُها"(1).

والشكر من المعاني المضادة للكفر، "قَالَ أَبو عَلي: الْكُفْر – خلاف الشُكر، كَما أَن الذّم خلاف الْحمد؛ فالكفر – سَتْر النِّعمة وإخفاؤها، والشُّكْر – نشرها وإظهارها.

وَفِي التَّنزيل: ﴿واشكروا لي ولَا تكفرون﴾ (وفيه) ﴿لَئن شكرتُم لأزيدنّكم ولَئن كفرتمَ إنّ عذَابي لشديد﴾"(2).

"والشُّكْرُ: مُقابلَةُ النِّعمة بالقَول والفعل والنِّيَّة، فيُثني عَلَى المُنعم بلسانه، ويُذيب نَفْسه طاعته، و يَعتقد أَنَّهُ موليها، وهو منْ شَكرت الْإبلُ تشكَرُ: إذَا أَصابتْ مرعًى فسمنت

َحين يسقُطَ المؤمنَ القرآن علىَ نفسه َوينَسى َكل الناس منَ حوله، ويتلو الآيات َالتي تتحدث عن الكفر والكافرين والذين كفروا، فعليه أن يستحضر في ذهنه أن المعنيَّ من هؤلاء في تلك اللحظة: نفسه هو بالذات، فهي تحذّره من الاتصاف بصفاتهم والتلبس بأحوالهم، كلّها أو بعضٍ منها، فكم يحصل للواحد منا –مثلا– أن يرى الحقَّ بقلبه

---

(1)ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (191/5).

(2)ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: المخصَّص،تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ 1996م، (424/3).

(3)ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني: النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، 1200/2.

وضوح الشمس، ومع ذلك يحاول طمسه وتغطيته وستره، لأنه يخالف طبعه وهواه، أو معتقده وآراءه، أو حتى ما ألفى عليه مجتمعه من عادات وأعراف ما أنزل الله بها من سلطان.. وهو المعنى اللغوي والقرآني للكفر.

وكثيرا ما نجد القرآن يجعل مقابل الكفر: الإيمان أو الشكر والعمل الصالح، فالمرء إما أن يكون مؤمنا أو كافرا، ولا يجتمع الوصفان فيه في الوقت نفسه، كما لايمكن أن يجتمع فيه وصف الكفر والشكر في آن واحد، فلما كان الكفر هو تغطية النعم وجحدها وعدم الاعتراف بها؛ وبفضل المنعم بها، كان الشكر على الضدّ من ذلك: إبرازها وإظهارها، والثناء على واهبها.. ثم استعمالها فيما خلقت لأجله.

فالكفر من صاحبه هو ترجمةٌ لحال جحود القلب، وانغلاقه، ورفضه لنعمربه الظاهرة والباطنة، وأما الإيمان أو الشكر فهو ترجمة لحال انفتاح القلب، وتهيُّؤه واستعداده لتلقّي نعم ربه، ومن أكبر نعمه تعالى على عباده "نعمة الهدى".

ومنالأمثلة القرآنية على ذلك المعنى الآيات التالية:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران:106)

﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل:40)

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (الروم:44)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان:12)[1].

---

(1) ومن الأمثلة القرآنية أيضا على مفهوم الكفر:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر:39)

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:7)

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الزمر:7)

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل:72).

المطلب الثاني: مفهوم التكذيب

التكذيب : نسبة الكذب ومخالفة الحقيقة إلى القضية المخبر بها، أو المخبر بحدّ ذاته. وذلك كما وقع للأقوام السابقة التي كذّبت رسل الله، وما جاءوا به من الحق من عند ربهم، فكانت عاقبتها خسرا وهلاكًا.

والتكذيب هو أكبر من مجرد كونه باللسان، فهو يشمل لسان المقال، ولسان الفعل والحال..ويمكن تعريفهبالقول:أنه حال يعيشها المرء بنيته وسلوكاته وأقواله؛ تترجم عما في قلبه من الإيمان بالله أو بغيره، ومن منسوب ذلك الإيمان..فبمقدار إيمان المرء بربه –عز وجل– يكون انفتاحه على الحق، وتقبله له متناسبا معه، وبمقدار ضعف إيمانه يكون رفضه للحقّ وتكذيبه، بسبب التعصب والانغلاق على الهوى والموروث، فأنّى له أن تنمو روحه، ويرتقي قلبه في درجات الإيمان والعرفان؛ والقرب من الرحمان.

ومما ورد في القرآن في قضية التكذيب بالحق والحقيقة، مخاطبته تعالى للإنس أسلوب استفهامي تعجبي عما يدفعهم إلى التكذيب أو الجحود بنعم ربهم؟!، وذلك في سورة الرحمن التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ واحد وثلاثون

أي: (فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنسَ –التيَ أنعم عليكم؛ مَن صرفه إياكم في مصالحكم، وما هَو أعلم به منكم من تقليبه إياكم، فيما هو أنفع لكم– تكذّبان؟)[1].

يقول الإمام القرطبي في مفهوم الآية ودلالاتها:

(فَخاطَبَ هَذَينِ الثَّقَلَينِ الْجنَّ وَالإِنْسَ، حين رَأَوْا مَا خَرَجَ مِن الْقُدْرَةِ وَالْمُلْك الَتي رَحمَهُم بِهَا؛ مِنْ غَيرِ مَنْفعَةٍ ولَا حَاجة إِلَى ذَلك، فَأَشْرَكُوا به الْأَوْثَانَ وَكُلَّ معبودَ اتَّخَذُوهُ من دُونه، وَجحدوا الرَّحمَةَ الَتي خرَجَتْ هَذه الْأَشْيَاءِ بِهَا إِلَيْهِم، فَقَالَ سائلًا (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ) أَيْ بِأَيِّ قُدْرَةِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ، فَإِنَّما كَانَ تَكْذِيبُهُم أَنَّهُم لَهُ فِي هَذهِ الْأَشْيَاءِ...شَرِيكًا يملكَ معهويقدَر معه، فَذَلكَ تَكْذِيبُهُم)[2].

أما الإمام الألوسي فيقول في معنى "تكذيب الآلاَء":

(... ومعنى تكذيبهم بشيء من آلائه تعالى، كفرهم به: إما بإنكار كونه منه –عز وجل– مع عدم الاعتراف بكونه نعمة في نفسه؛ كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم

(1) الطبري:جامع البيان(23/ 40).

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (17/ 159).

الدينية، وإما بإنكار كونه منه تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم؛ بإسناده إلى غيره سبحانه استقلالا، أو اشتراكا صريحا أو دلالة، فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة؛ من دواعي إشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها.

والتعبير عن كفرهم المذكوربالتكذيب، لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر وشهادة منها بذلك، فكفرهم بها تكذيب لا محالة، أي فإذا كان الأمر كما فصل فَبِأَيِّ فرد من أفراد نعم مالككما ومربِّيكما بتلك النعم تُكَذِّبان، مع أن كلاً منها ناطق بالحق؛ شاهد بالصدق، ويندب أن يقول سامع هذه الآية: "لا بشيء من ربنا نكذّب، فلك الحمد")[1].

فقد أخرج البزار وابن جرير وابن المنذر والدارقطني في الإفراد، وابن مردويه في تاريخه، بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ سورة «الرحمن» على أصحابه فسكتوا فقال: ما لي أسمع الجن جوابا لربها منكم، ما أتيت على قول الله تعالى: "فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُما تُكَذِّبان" إلا قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذّب؛ فلك الحمد»[2].

ومن الأمثلة القرآنية الأخرى التي ورد فيها ذكر التكذيب؛ ويمكن أن نستنبط منها المعنى الذي أشرنا إليه آنفا وهو "رفض الحق، وقلة الاكتراث به" نذكر ما يلي:

﴿ومن اَظْلَمُ ممَّنِ ا فْ.تَ.رىَٰ علَى الله كَذبا اوكَذَّببئاياته إنَّهُ لاَ يُ.فْلحُ (الأنعام:21)

﴿قَدْ خسر الذين كَذَّبُواْ بلقآء اللهحتَّىٰٓ إذَا جآء تْ.هُم السَّاعَةُ بِ.غْتَةً قَالُواْ ياحسر تَ.نَاعلَىٰ ماَ فَ.رَّطْنا فيهاَ وهُم يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ علَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلاَ سآء ما يزرونَ﴾ (الأنعام:31)

﴿والذين كَذَّبُواْ بئَايَاتنَا صُمٌّ وبكْمٌ في الظُّلُمات من يَّشَإ اللهُ يضْلِلْهُ ومن يَّشَأْ يجعلْه علَىٰ صراط مُّسْتَقيم﴾ (الأنعام:39)

﴿أَرَآيت اَلذيَ يُكَذِّبُ بالدِّينِ فَذَالكَ الذي يدُعُّ الْيَتيم ولاَ يَحُضُّ علَىٰ طَعام

(1) الألوسي:روح المعاني (14/ 104).

(2)الترمذي: سنناالترمذيالجامعالصحيح كتاب الذبائح، أبوابتفسيرالقرآنعنرسولالله– باب: "ومنسورةالرحمن"، حديث:3294. الجامع للحديث النبوي.

الْمسْكين﴾ (الماعون: 1-3)(1).

يقول سيد قطب في تفسيره لآيات سورة الماعون:

(وقدتكونهذهمفاجأةبالقياسإلىتعريفالإيمانالتقليدي.. ولكنهذاهولبابالأمروحقيقته...

إنالذييكذّببالدينهوالذي... يهينااليتيمويؤذيه. والذيلايحضّعلطعامالمسكينولايوصيبرعايته.

إنحقيقةالتصديقبالدينليستكلمةًتقالباللسان،إنماهيتحوّلفيالقلبيدفعهإلىالخيروالبرّبإخوانهفيالبشرية

لمحتاجينإلىالرعايةوالحماية. واللهلايريدمنالناسكلمات.

إنمايريدمنهممعهاأعمالاًتصدّقها،وإلافهيهباء،لاوزنلهاعندهولااعتبار)(2).

المطلب الثالث: مفهوم الكِبر والاستكبار

الاستكبار من الكِبْر، وهو شعور المرء بأنه أكبر من الحق، وأعلى من أن يتقد ويقوّم، وأعزُّ من أنَ تجري عليه سنن التربية والتأديب؛ التي يجريها رب العباد على عباده: رحمةً بهم وحبًّا لهم، ورعايةً لمصالحهم في المعاش والمعاد.

ويمكن اعتباره أسوأ الأخلاق على الإطلاق؛ حيث لا يرجى لمن أصرَّ عليه –متعمِّدًا غير جاهل– خير ولا صلاح، وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبْر"(3).

وبسبب الكبر لُعن إبليس وطُرِد من الملإ الأعلى، وأُخرِج من الجنة، حين رفض السجود لآدم علوًّا واستكبارا من عند نفسه.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور في معني الاستكبار: (والاسْتكْبارُ شدَّةُ الْكبْرِ والسِّين والتّاء فيه للْعدِّ، أي عدَّ نفسه كبيرا مثْل استعظم واستعذب الشّراب، أو يكونُ

(1) ومن الأمثلة القرآنية في هذه المسألة أيضًا، قوله تعالى:

﴿إنَّا قدْ أُوحي إلَيْنآ أنَّ الْعذاب علىٰ من كذّب وتولّىٰ﴾ (طه:48)

﴿بل كذّبوا بالسَّاعة وأعتدْنا لمن كذّب بالسَّاعة سعيرا﴾ (الفرقان:11) =

= ﴿ومن أظْلم ممّن افترىٰ على الله كذبا أوْ كذّب بالْحقِّ لمَّا جآءهُ أليْس في جهنَّم مثْوى لّلْكافرين﴾ (العنكبوت:68)

﴿وكذّب الذين من قبْلهمْ وما بلغوا معشار مآ ءاتيْناهُمْ فكذّبوا رُسُلي فكيْف كان نكيري﴾ (سبأ:45)

(2) سيد قطب:فيظلالالقرآن (6/ 3985).

(3)مسلم: صحيحمسلم –كتابالإيمان، بابتحريمالكبروبيانه – حديث:156. الجامع للحديث النبوي.

والتَّاء للْمبالَغة مثْل: اسْتجاب واسْتقرَّ. فمعنى استكْبر اتَّصف بالْكبر)[1].

ويقول الغَزَالي عن حقيقة الكبر؛ وانقسامه إلى ظاهر وباطن: (واسم الكبر بالخلق أحقُّ، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخُلُق، وخُلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك على الجوارح يقال "تكبَّر"، وإذا لم يظهر يقال: "في نفسه كِبْر" فالأصل هو الخلق الذي النفس، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبَّر عليه)[2].

ومن الأمثلة القرآنية على هذا الخُلُق المشين؛ الذي يعبر عن شدّة الإعراض وتمكّنه من صاحبه:

﴿ وإذْ قُلْنا للْملآئكة اسْجُدُواْ لآدم فسجدُواْ إلاّ إبْليس أبى واسْتكْبر وكان الْكافرين﴾ (البقرة:34)

﴿... أفكُلّما جآءكُمْرسُولٌ بما لا تهْوى أنفُسكُم اسْتكْبرْتُم ففريقًا وفريقًا تقْتُلُون﴾ (البقرة:87)

﴿... فمن اتَّقى وأصْلح فلا خوْفٌ عليْهم ولا هُمْ يحْزنُون والذين كذَّبُوا بئاياتناواسْتكْبرُوا عنْهآ أُولئك أصْحاب النَّار هُم فيها خالدُون﴾ (الأعراف: 35-

﴿إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فالذين لا يُومنُون بالآخرة قُلُوبُهُم مُّنكرةٌ وهُم مُّسْتكْبرُون لا الله يعْلمُ ما يُسرُّون وما يُعْلنُون إنَّهُ لا يُحبُّ الْمُسْتكْبرين﴾ (النحل: 22-23)[3]

---

(1)ابن عاشور: التحريروالتنوير (1/ 424).

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (3/ 343-344).

(3) ينظر أيضا الأمثلة القرآنية التالية:

﴿وقال الذين لا يرْجُون لقآءنا لوْلآ أُنزل عليْنا الْملآئكةُ أوْ نرى ربَّنا لقد اسْتكْبرُواْ في أنفُسهمْ وعتوْا عُتُوًّا كبيرا﴾ (الفرقان:21)

﴿وإذا تُتْلى عليْه ءاياتُنا ولّى مُسْتكْبرًا كأن لّمْ يسْمعْها كأنَّ في أُذُنيْه وقْرًا فبشِّرْهُ بعذاب أليمٍ﴾ (لقمان:7)

﴿فأمَّا عادٌ فاسْتكْبرُوافي الأرْض بغيْر الْحقِّ وقالُوا منْ أشدُّ منَّا قُوَّةً أولمْ يروْا أنَّ الله الذي خلقهُمْ هُو أشدُّ منْهُمْ قُوَّةً وكانُوا بئاياتنا يجْحدُون﴾ (فصلت:15)

﴿ويْلٌ لّكُلّ أفَّاك أثيم يسْمعُ ءايات الله تُتْلى عليْه ثُمَّ يُصرُّ مُسْتكْبرًا كأن لَّمْ يسْمعْها فبشِّرْهُ بعذاب أليم وإذا علم منْ ءاياتنا شيْئًا اتَّخذها هُزُوًا أُولئك لهُمْ عذابٌ مُّهينٌ﴾ (الجاثية: 7-9)

﴿وإنِّي كُلّما دعوْتُهُمْ لتغْفر لهُمْ جعلُوا أصابعهُمْ في ءاذانهمْ واسْتغْشوْا ثيابهُمْ وأصرُّوا واسْتكْبرُوا اسْتكْبارًا﴾ (نوح:7)

بتتبُّع وتدبر تلك الطائفة من الآيات –ونظائرها الأخرى في القرآن– نجدها تتحدث عن ظاهرة رفض الحق؛ بل والاستكبار عليه –هذه المرة– تحت ضغط وسيطرة هوى النفس وطباعها وآرائها، التي تقف حجابا دون الفهم والوعي لوجه الحقيقة وتلمس نورها، فيبقى صاحب تلك النفس على حاله من الضلال والشقاء، أو من الغفلة والرضا بالحياة الدنيا. وهذه الحال لا ينجو منها أي امرئ –مهما كان دينه– ما لم يجدّد إيمانه وصلته بالله العليِّ العظيم، وما لم يزكّ نفسه ويطهرها من رجسها.

المطلب الرابع: مفهوم الاستغناء

الاستغناء كذلك من المصطلحات القرآنية الواردة في التعبير عن حال جمود القلب ورفضه للحق، وهو مشتق من مصدر "الغنى": أي شعور المرء بعدم الاحتياج إلى غيره مطلقا، وهو في موارده الثلاثة التي ورد فيها بمعنى "استغناء الإنسان عن ربه؛ حالاً وشعورا وسلوكًا".

المورد الأول/ يقول تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ (سورة عبس: 5–7)

يقول الطبري في سبب نزول الآيات الأولى من سورة عبس (تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال، ورجا أن يؤمن، وجاء رجل من الأنصار أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم، فجعل يسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكرهه نبي الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه، وأقبل على الغني، فوعظ الله نبيه، فأكرمه نبي الله صلى الله عليه وسلم، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما)(1).

فالذي "استغنى" في سياق الآيات؛ هو إنسان يعيش حالاً من الانغلاق والانكفاء على أهوائه وطباعه؛ وعلى عاداته وموروثاته التي لا يتهيأ ولا يستعد للتنازل عنها أبدًا.. مثل هذا الشخص لا يجوز في حقّه الاشتغالبهدايته؛ عمَّن هو في حال من التهيؤ والاستعداد لقبول الحق والتّرقي فيه، وقلبه منفتح لأن يتزكّى بوحي الله تعالى، مثلما هو حال عبد الله بن أم مكتوم –حسب رواية سبب النزول–.

يقول سيد قطب مفسرا للآيات: (.. أمامنأظهرالاستغناءعنكوعندينك،وعماعندكمنالهدىوالخيروالنوروالطهارة..

(1)الطبري:جامعالبيان(24 / 219).

أماهذافأنتتتصدّىلهوتحفلأمره،وتجهدلهدايته،وتتعرضلهوهوعنكمعرض!

«وماعليكألاّ يزّكّى؟».. ومايضيركأنيظلفيرجسهودنسه؟وأنتلاتسألعنذنبه)(1).

المورد الثاني/ يقول تعالى: ﴿ إنَّ سعيكُم لَشتَّى فأمَّا من اعطى واتّقى وصدَّق بالْحسنى فسنيسّره لليسرى وأمَّا من بخل واستغنى وكذّب بالْحسنى فسنيسّره للْعسرى﴾ (سورة الليل: 4-10).

تتحدث الآيات هنا عن فئتين من الناس يعرض لهما المولى تعالى باستمرار في كتابه الكريم، يحدّد بعض الأوصاف لهما حتى نقتدي أثر الفئة الأولى، ونحاذر ونتجنب ما وقعت فيه الفئة الثانية، التي من بين صفاتها: الاستغناء عن الحق؛ والتكذيب باليوم الآخر، (وأمَّا من بخل واستغنى وكذّب بالْحسنى).

يقول الإمام ابن عربي في تفسيرها: "(وأمَّا من بخل واستغنى) آثر محبة المال وجمعه واستغنى به عن كسب الفضيلة، لاحتجابه عن الحق (وكذّب بالْحسنى) [أي كذّب] بوجود مرتبة الكمال والفضيلة؛ لاستغنائه بالحياة الدنيا، واحتجابه بها عن عالم النور والآخرة"(2).

المورد الثالث/ يقول المولى تعالى: ﴿إنَّ الانسان لَيطْغى أن رَّآه استغنى﴾ (العلق: 6-7) هذه الآية كذلك تحذّر من طبع جبل عليه الإنسان -إلا أن يعصمه الإيمان- وهو الشعور بحال من الاستغناء حين تتوالى عليه النّعم، فيطغى بها مستعملاً لها فيما يسخط ربه.

وسبب استغنائه هذا هو عُجبه بنفسه، وعماه عن مشاهدة مواضع افتقاره إلى خالقه عز وجلّ(3).

يقول ابن عربي في تفسير قوله تعالى: ﴿أرأيتَ الذي ينْهى عبْدًا اذا صلّى﴾ (العلق: 9-10) من سياق الآيات السابقة: (أي المحجوب الجاهل؛ المستغني بحاله وماله وقومه عن الحق)(4).

---

(1)سيد قطب: في ظلال القرآن (6/ 3825).

(2)ابن عربي، محيي الدين: تفسير بن عربي، دار صادر-بيروت، ط2: 1429هـ/2008م، 2 / 687.

(3) القشيري: لطائفالإشارات (3/ 748)

(4)ابن عربي: تفسير بن عربي، 2 / 692.

الفصل الثالث
الأسباب الرئيسة لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن

المبحث الأول: ضعف الرؤية الكونية التوحيدية

ينطلق كل واحد من الأديان والفلسفات والمذاهب الاجتماعية في العالم من لون خاص من التفكير والتقييم والتصور للوجود والحياة، كل هذا يشكّل القاعدة للأهداف والتشريعات والمسؤوليات التي يوجدها ذلك الدّين، ويدعو الناس إلى والالتزام بها، هذه القاعدة أو الخلفية الفكرية هو ما يصطلح عليه بالرؤية الكونية[(1)].

ونظرا لاختلاف وتنوع الفلسفات والعقائد والملل، فإنّ لكل توجه رؤيته الكونية، ويمكن اعتبار معيار الرؤية الراقية التي تتناسب مع قيمة الإنسان أمور خمسة:

1- إمكان إثباتها بالاستدلال.

2- تعطي للحياة معنى وتلغي فكرة العبثية.

3- أن تكون قادرة على إحياء الآمال وتفجير الطموحات.

4- أن تكون قادرة على منح الأهداف الإنسانية قداسةً.

5- أن تحقّق الالتزام والشّعور بالمسؤولية[(2)] في ضمائر الأفراد.

فمنطقية الرؤية الكونية توفّر لها فرصة الموافقة العقلية، وأما قدرتها على إحياء تمنحها الجاذبية واستقطاب الناس إليها، أما سريان القداسة من الرؤية الكونية إلى الأهداف الكبرى فيدفع الأفراد إلى تجاوز ذواتهم والتضحية في سبيل تلك الأهداف، تحقيق الالتزام فإنه يغرس الشعور بالمسؤولية تجاه الذات والمجتمع في أعماق

إن كل هذه الميزات الجيدة للرؤية الكونية لا تتوفّر ولا تجتمع إلا في الرؤية

---

(1)مرتضى المطهري: الرؤية الكونية التوحيدية، [بلا معلومات نشر] ص 8.

(2) المرجع السابق: ص 19-20.

(3)مرتضى المطهري: الرؤية الكونية التوحيدية، ص 20.

على التّوحيد، وتنطلق وتصدر عن الوحي الخاتم: القرآن الكريم، (هذه الرؤية تعني إدراك أن الكون قد أُبدع بإرادة حكيمة واحدة، وأنّ نظام الوجود مشيَّد على أساس الخير والجود، والرحمة وإيصال الموجودات إلى كمالاتها اللائقة بها، وتعني أن للكون. .. "محورا واحدًا"، وتعني أنّ ماهية الكون "هي منه" (إنّا لله)، وأنها "إليه تتّجه" (إنّا إليه راجعون).

وكل موجودات الكون تتكامل بنظام وانسجام في اتجاه واحد، ولم يخلق أي موجود عبثا بلا فائدة ولا هدف، والكون يدار بواسطة سلسلة من الأنظمة القطعية، التي تُسمى بالسُّنن الإلهية، والإنسان يتمتّع من بين الموجودات بالشّرف والكرامة، وله رسالة خاصة وواجب معين، وهو مسؤول عن تكميل وتربية ذاته، وإصلاح مجتمعه، فالكون مدرسة للإنسان، والله يجازي الإنسان حسب نيته ومحاولاته.

وهذه الرؤية التوحيدية مسلّحة بقوة المنطق والعلم والاستدلال، وفي كل ذرة من ذرات الكون توجد دلائل على وجود الله الحكيم العليم، وفي كل ورقة من شجرة يوجد كتاب من معرفة الله. وتعطي هذه الرؤية للحياة معنى وهدفا وروحا، لأنها تضع الإنسان في طريق الكمال، فهو دائما يتقدّم ولا يقف أبدًا عند أي حدٍّ معين.

ولهذه الرؤية التوحيدية جاذبية، وهي تبعث في أوصال الإنسان النشاط والحماس، وتعرض أمامه أهدافًا رفِيعةً ومُقدّسة فتكوّن منه إنسانًا باذلاً مُضحّياً. وهي الرؤية الكونية الوحيدة التي تعطي معنى لالتزام ومسؤولية الأفراد، كلٌّ منَهم إزاء الآخر، كما أنّها تحفظ الإنسان من السقوط في الهاوية ا لـمخيفة للعبثيين، وا لـمنادين بالضّياع واللافائدة[1].

فالله تعالى الخالق الرازق في ظل العقيدة الإسلامية هو من تولّى عن الإنسان، تقرير التصور الأساسي للوجود، الذي يتعامل به المؤمن مع ربه، ومع الكون من حوله: بما يضمه هذا الكون من عالمي الغيب والشّهادة، وبما يحويه من الأحياء والأشياء، وتأتي وظيفة العقل هنا لتلقّي واستيعاب هذا التصور من المصدر الإلهي؛ لا من أي مصدر آخر، وما يترتّب عن هذا التّصور من مبادئ أساسية كذلك.

ومهمة العقل أيضا –بعد هذا التلقي– تطبيق تلك المبادئ وتنزيلها على الحالات

---

(1)مرتضى المطهري: الرؤية الكونية التوحيدية، ص 20-21.

المتجددة والمتنوعة، التي لا تنحصر ولا تنتهي إلا بانتهاء الحياة[1]، ويمكن القول أن وظيفة للعقل -بعد وعيه لمقومات التصور والرؤية التوحيدية- هي تقريب المسافة والهوة بين المبادئ كما جاء بها الوحي الأعلى، وبين الوجود البشري على أرض

بعد توضيحنا لمفهوم الرؤية الكونية التوحيدية وأهميتها، نعود إلى واقعنا المعاصر فنجد ضعفًا كبيرا في هذه الرؤية، عند المسلم وعند غير المسلم -إلا من رحم الله- يظهر ذلك جليًّا في الفصل ا لمصطنع بين الإنسان وكتاب ربه من جهة، وبينه وبين عالم الخلق أو الأكوان من جهة أخرى، والأصل أن هذه كلها مخلوقات لله بينها وحدة وتكامل، خلق الله الأكوان مسخّرةً للإنسان، وأنزل القرآن هاديا له، والإنسان هو المحور في المعادلة لأنه هو من يحمل أمانة الخلافة في الأرض.. ضعف تلك الرؤية وقلّة وضوحها عند الفرد؛ نراها سببا جوهريا في إعراض الإنسان عن كتاب ربهوشذوذه عن منهجه تعالى... الذي خضعت له السماوات والأرض ومن فيهن. فكل شيء في الكون يسبح بحمد ربه، الأشجار والأنهار والطيور والجبال... وما تسبيحها إلا خضوعها لنواميس بارئها كما أخبرنا تعالى عن ذلك في كتابه:

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (الرعد:13)

﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (الإسراء:44)

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:79)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَآفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور:41)

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر:24)

ذلك الفصل الواقع في الحياة المعاصرةيمثّل أيضا غربة الإنسان المركّبة: تجاه

(1)سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1997، ص 376-377.

وتجاه الكون من حوله، وبالتّبع لذلك غربته عن كتاب ربه وضعف صلته بخالقه... وبالمقابل يذكر القرآن أن الله تعالى خلق الكون وما فيه يسير وفق نواميس واحدة مطّردة بحيث ينسجم بعضه مع بعض، في اتساق وتكامل وتناغم، وجعل الإنسان هو المحور وهو الخليفة الذي يفترض فيه أن يحملها كما أراد لها ربه. وسخر له ما في السماوات والأرض من طاقات وإمكانات ينتفع بها لتعينه وتقوّيه، على تحمل الأمانة ونشر رسالتها في الوجود.

وباختصار: صار الإنسان المعاصر –بمفهوم الإعراض– منفصلا ومغتربا عن هذين المعلّمين العظيمين في حياته: القرآن والكون.

فمن جهة القرآن يظهر ذلك من اتخاذ المسلم للقرآن مجرد كتاب للقراءة التعبدية التي يبتغي بها الأجر –من غير إنقاص لقيمة ذلك– وليس منهاجاأودستورا للحياة يسير وفقه في كل تصرفاته ومناشطه، وفي كل حركاته وسكناته.. ومن جهة الكون يرى المسلم إليه على أنه آلة صماء مسخّرة لخدمته وكفى، ينتفع به كيف يشاء، يأكل من ثماره ويبني بناياته من مواده ومعادنه، وأثناء فراغه من شغله يقضي بعض الوقت في مساحاته الجميلة، البعيدة عن ضوضاء المدينة وهرجها.

وإصلاح هذا العوج يبدأ من فهم الإنسان لماذا خلق؟ وما دوره في الحياة؟ وما علاقته بسائر المخلوقات؟ إجابته عن هذه الأسئلة باقتناع ووعي سيحفّزه لليقظة من غفلته، واستعداده بجدٍّ لحمل الرسالة، وسيكون عليه أن يتواصل مع الكتاب ومع الكون ليدرك تلك الرسالة... شروط تحمُّلها، والعقبات التي تعترضه في الطريق.

يقول سيد قطب عن تسبيح الكائنات وعلاقة الإنسان به–وهو يفسر الآية الكريمة–: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ والأَرْضُ ومن فيهنَّ، وإنْ من شيء إلا يُسبِّح بحمده، ولكن لا تفقهونَ تسبيحهم، إنَّه كانَ حليماً غفوراً﴾ (الإسراء:44).

(...تعبيرَ تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتنفض روحا حيةً تسبِّح الله. فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجيَّة رخيَّة، ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال.

وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور القلب. كل حصاة وكل حجر. كل حبة وكل ورقة. كل زهرة وكل ثمرة. كل نبتة وكل شجرة. كل حشرة وكل زاحفة.

حيوان وكل إنسان. كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء... ومعها السماء... كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه.

وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدبُّ في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه، وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا... سمعه يسبح لله، وينبض بالحياة.

«وَإِنْ من شَيء إِلاّ يُسَبِّح بحَمْده» يسبح بطريقته ولغته «وَلكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحهُمْ» لا تفقهونه لأنكم محجوبون بصفاقة الطين، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم، ولمَ توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة هذا الكون الكبير، وتتوجه بها إلى خالق النواميس، ومدبر هذا الكون الكبير)[1].

أماالإمام محيي الدين بن عربي فيقول عن تسبيح الكائنات وعلاقة الإنسان به: لكل شيء خاصية.. فهو بإظهار خاصيته ينزه الله عن الشّريك، وإلاّ لم يكن متوحدا فيها [أي في خاصيته]، فكأنه يقول بلسان الحال: "أُوحِّده على ما وحدني"، وبطلب كماله ينزهه عن صفات النّقص، كأنه يقول: "يا كامل كمِّلْني"، وبإظهار كماله يقول: "كمَّلَني الكامل المكَمِّل".

وعلى هذا القياس؛ حتى إن اللبؤة –مثلاً– بإشفاقها على ولدها تقول: "أرأفني الرؤوف وأرحمني الرحيم"، وبطلب الرزق: "يا رزّاق"، فالسماوات السبع تُسبحه بالدّيمومة والكمال والعلو والتّأثير والإيجاد والربوبية، وبأنه كل يوم هو في شأن، والأرض بالدوام والثّبات والخلاقية والرزّاقية والتربية والإشفاق والرحمة... فهم مع كونهم مسبِّحين إياه؛ مقدّسون له)[2].

إذا قيَّمنا في هذا العصر –عموما– وعي الإنسان بنفسه وبالكون الذي يعيش فيه، وبمنهج ربه ا لـمفصل في كتابه المبين، لوجدناه يعاني انفصالا عن هذه الركائز الثلاث التي يرتبط بها برابطة أصيلة؛ لا يمكنه الفكاك عنها إلا إذا أراد الانحراف عن جادة الصواب، وسنتطرق بإيجاز لذلك الانفصال في مطالب ثلاث.

---

(1)سيد قطب: في ظلال القرآن (4/ 2230).

(2) محيي الدين بن عربي: تفسير بن عربي،317/1.

المطلب الأول: ضُعف وعي الإنسان بنفسه

يعاني الإنسان في هذا العصر ضعفًا في وعيه بنفسه وبطبيعته البشرية، وانقطاعا لصلته بالفطرة التي فُطر عليها... يعيش مغتربا عن نفسه التي بين جنبيه، جاهلاً بحقيقتها.. لا يعرف كينونته ما هي؟ ولماذا خلق في هذه الحياة؟ وهل عليه مهمة ومسؤولية تنتظره؟، ولعل من أهم العوامل التي أنشأت ورسخت هذه الحال: السياق الثقافي والاجتماعي؛ على المستوى المحلّي والعالمي، الذي حول الإنسان إلى آلة منتجة ومستهلكة في أحسن الأحوال، وفي أسوإها إلى آلة مستهلكة (1)فقط.

فثقافة الاستهلاك المادي والمعنوي هي الثقافة التي غدت سائدة ومسيطرة عبر منظومتي الإعلام والتعليم، والغرض الخفي من وراء هذه الثقافة أن ينحط الإنسان عن مكانته الحقيقية.. إنسانا مُكرّما ومُكلّفًا، إلى ما دون البهيمية كما أخبر عن ذلك تعالى في كتابه الكريم:﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:44].

فأصبحنا نعيش ما سماه الشيخ محمد الغزالي: "الكفر بالإنسان" الذي يعني بخس قيمته، وتشويه حقيقته، وقد كان التدين المنحرف من بين العوامل التي ساهمت في الحال؛ بإساءته النظر وازدرائه من الجانب المادي للإنسان، ممثلاً في بنيته الجسمانية وما غُرز فيها من غرائز وشهوات وميول، لكن الإنسان ليس شهوات فقط، فبنفخ الروح فيه أنشأه الله خلقًا آخر، مكرما مكلّفًا بحمل الرسالة، إذا بلغ نماءهالصحيح – كما تنمو الشجرة المزدهرة من بذرتها السوية– فاق الملائكة، وحلّق في الملإ

وربما كانت الحملة على الإنسان بدافع كسر الغرور والكبر –الذي يفسد الأخلاق– وتهيئة عوامل تهذيبه، بإزالة عيوبه وتنمية فضائله، كانت السبب رغم ذلك الدافع ونبله، إلا أن الأمر انقلب إلى الضّد عند بعض المربين، فإنهم لم يفلحوا إزالة الزوائد الضّارة فحسب، بل اجتاحوا الأصل نفسه، عندما حاولوا قتل الغرور في إنسان مغرور.. جعله أسلوبهم الجائر بفقد الثّقة في نفسه وبما عنده، فذهب الكبر، وذهبت معه عزة النّفس المحمودة، وفُقدت الشخصية الحرة المستقلّة أيضا(2).

---

(1) محمد الغزالي: الإسلام والطّاقات المعطّلة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط: 1998، ص 27.

(2)محمد الغزالي: الإسلام والطّاقات المعطّلة، ص 27–28.

فالروح والجسد في القرآن ملاك الذّات الإنسانية تتم بهما الحياة معا، فلا يجوز التّنكّر لأحدهما على حساب الآخر، كما لا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا، ولا مرضاة ذاك[1]، (فالإنسان يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، فيتّصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية، ودوافع الحياة الجسدية، ويتّصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدّائم وعلمه عند الله، وحقُّ العقل أن يدرك ما وسعه من جانبها المحدود، ولكنّه لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق، إلاّ بإيمان وإلهام)[2].

يقول الشيخ محمد الغزالي في هذا الشأن: (لا بد –لكي تتم رسالة الإنسان في الحياة– من احترام ملكاته، وإقرار شهواته، لا بدّ من إنماء مواهبه العالية، وترك الطبيعية تنساب وفق مقتضيات الفطرة السليمة. لا بد من تهيئة الجو الخاص والعام، كي يسلم الكيان البشري كله من العاهات العارضة والسدود العائقة)[3].

وقد جاء في هذا العامل من عوامل الإعراض وهو "ضعف الوعي بالذات" قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 22-23].

يقول الإمام الزمخشري تفسيرا للآيتين: (...إنّ شرّ من يدبّ على وجه الأرض. أو إنّ شر البهائم: الذين هم صمّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها، ولو علم الله فيهم خيراً، أي انتفاعا باللطف، لأسمعهم [أي] للطف بهم؛ حتى يسمعوا سماع المصدّقين، ثم قال "ولو أسمعهم لتولّوا عنه"، يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف، فلذلك منعهم ألطافه.

أو: ولو لطف بهم فصدّقوا، لارتدّوا بعد ذلك، وكذّبوا ولم يستقيموا)[4].

فسبب إعراض هؤلاء النّفر من الناس الموجودين في كل بيئة، أنهم أفسدوا الاستعدادات الفطرية –التي ركّبها المولى فيهم– للتلقي والاستجابة والهداية،

---

(1)عباس محمود العقّاد: الإنسان في القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 6: 2007، ص 23.

(2)العقّاد: المرجع السابق، ص 31.

(3)الغزالي، محمد: الإسلام والطّاقات المعطّلة، ص 28.

(4)الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1407 هـ، (2/ 209).

فلميفتحاللهعليهمماأغلقواهممنقلوبهمومنفطرتهم.
ولوجعلهماللهيدركونبعقولهمحقيقةمايدعونإليه،مافتحواقلوبهمله،ولااستجابوا ولا امتثلوالمافهموا..[1] «ولَوْأَسمعهملَتَوَلَّواوهممعرِضُونَ»، هم ببساطة لم يعوا وأرادوا العيش بمنطق البهائم.

ولعودة الإنسان إلى إنسانيته،فلا مفر له من أن يجيب عمليا عن الأسئلة التي يحار فيها بخصوص ذاته، وسبيله لذلك ثلاث أمور أساسية:

1- أن يفهم طبيعته وتركيبته البشرية وحاجاته النفسية، وأشواقه الرُّوحية.

2- أن يفهم ذاته المتفردة، ويتواصل معها ليدرك موهبته، والمهمة التي هو ميسر لها في الحياة.

3- أن يعيد شؤون حياته إلى نصابها، بأن يفيء إلى المصدر الذي يستقي منه منهاج حياته وهو القرآن أو الوحي الأعلى.

المطلب الثاني: ضُعف وعي الإنسان بالكون

يعاني الإنسان اليوم كذلك من ضعف للوعي والتواصل مع الكون المحيط به؛ مما أبعده عن الاستفادة الفعالة من طاقاته المسخرة له... ومن نتيجة عدم معرفته بنفسه وبربه، قلة فهمه لأسرار الكون وتسبيح الكائنات لخالقها، بل لنقُل ضعف إحساسه وشعوره بالمخلوقات والكائنات من حوله، وهي تؤدي وظائفها ساجدةً مسبحةً لله تعالى.وربما من عوامل ذلك ما رسخ في ذهنه من رواسب الإيديولوجية الغربية من أن الإنسان عدوٌّللطبيعة؛ فهو يدرسها ويبحث في قوانينها؛ لا ليفهمها وينسجم معها في التسبيح الكوني والسجود للواحد القهار، بل ليتحكّم فيها ويقهرها لإرادته.

لذلك وجدنا ما يسمى "تلوُّث البيئة" برها وبحرها وجوها، ووجدنا فساد النظام الغذائي للبشرية وتبديل الطعام الصحي إلى غذاء هجين سربت إليه المضافات المدمرة لصحة الإنسان، لا لشيء إلا من أجل إغراق أسواق الاستهلاك بما تشتهيه الأنفس من ألوان الأطعمة التي تدر بالأرباح السريعة لأرباب الشركات التجارية الكبرى؛وحلفائهم من ذوي النفوذ والسلطة، على حساب حياة البشرية وقوتها النفسية

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (3/ 1494).

والبدنية.

كما نرى الآن التنافس المحموم بين الدول الكبرى المصنّعة للأسلحة؛ في اكتشاف وتطوير تكنولوجيات الأسلحة الفتاكة من أجل التحكم في مصائر تلك الشعوب المستضعفة في الأرض.. هذه الصورة القاتمة للتعامل مع الكون –للأسف الشديد– انتقلت عدْواها من التفكير الإيديولوجي العلمي لدى الهيآت والحكومات المسيطرة على تلك العلوم، إلى نفسيات وذهنيات الأفراد والمجتمعات المغلوبة على أمرها عبر قوى الإعلام والاقتصاد العالمي.

يقول المولى تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن ءايَة فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: 105)

(فالآياتظاهرة،والبراهينباهرة،وكلُّجزء منالمخلوقاتشاهدعلىأنّهواحد،ولكنكماأنّمنأغمضعينهلميستمتعبضوءنهاره،فكذلكمنقصرفينظرهواعتباره،لميحظَبعرفانهواستبصاره)[1].

يقول سيد قطب في هذا الموضوع:

(والآياتالدّالةعلىاللهووحدانيتهوقدرته؛كثيرةمبثوثةفيتضاعيفالكون،معروضةللأبصاروالبصائر، فيالسماواتوفيالأرض. يمرُّونعليهاصباحمساء،آناءالليلوأطرافالنهار. وهيناطقةتكادتدعوالناسإليها. بارزةتواجهالعيونوالمشاعر. موحيةتخايللقلوبوالعقول. ولكنهملايرونها،ولايسمعوندعاءها،ولايحسّونإيقاعهاالعميق)[2].

ويقول الشيخ محمد الغزالي في هذهَ القضية:

(إنّ هذا الكون هو المسرح الأول لفكرنا، وهو الينبوع الأول لإيماننا. والذّهول عن الكون سقوط إنساني ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا أجلها، وعجز عن التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السُّور)[3].

فالإسلام يبني المعرفة على التبصر العميق بالكون والبحث الدّؤوب في شتى وانطلاق علوم الدين بعيدا عن هذا المجرى ليس منهجا قرآنيًّا، أقصد التّمسك بالفلسفة اليونانية بحرفيتها، وعدم المسايرة لتطور العلوم في هذا العصر كما أمر القرآن، والذين

---

(1) القشيري:لطائف الإشارات (2/ 212).

(2) سيد قطب: فيظلالالقرآن (4/ 2032).

(3) الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط3: 2000م، ص 56.

مع هذا الانحراف أضروا الإسلام ورسالته العالمية الخاتمة، من حيث أرادوا له الخير والانتشار[1].

و من بين المقاطع العديدة في القرآن التي تحثّ وتحفّز الإنسان المؤمن إلى النظر بمظاهر الكون، وتجلّيات العظمة الإلهية فيه، نجد هذه الآيات من مطلع سورة الجاثية: في السَّماوات والأرضِ لآيات للْمؤمنين .وفي خلْقكُم وما يبثُّ من دآبَّة . ايات لقَوم يوقنون .واختلاف الليل والنهار ومآ أنزلَ الله من السَّمآء من رِّزق فأَحيا به الأرضَ موتها وتصريف الرِّياح ءاياتٌ لقوم يعقلون. تلكَ ءايات الله نتلوها عليكَ بالْحقِّ حديث بعد الله وءاياته يومنون﴾ [الجاثية: 3-6].

(فهذهبعضآياتاللهالكونية،يشيرإليهاهذهالإشاراتالموحيةللمؤمنين.

الذينيوقنونوالذينيعقلون. يشيرإليهابآياتاللهالقرآنية،فتلمسالقلوب،وتوقظالعقول،وتخاطبالفطر بلغتهاالمباشرة،بمابينهاوبينهذاالكونمنصلةعميقةباطنة،لايحتاجإيقاظهاإلاإلىكلماتموحيةكآيا تهذاالقرآن.

فمنلميؤمنبهذهالآياتفلارجاءفيأنيؤمنبسواها،ومنلمتوقظههذهالإشاراتالموحية،فلنتوقظهالصر خاتمنغيرهذاالصوتالمستجاب:

«تلكآياتاللهنتلوهاعليكبالحقفبأيحديثبعداللهوآياتهيؤمنون؟»..)[2].

و من بين نعم الله تعالى في هذا العصر تطور العلوم التجريبية والكونية، وبلوغها شأوا بعيدا في خدمة الإنسان، وظهور ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، وعلوم الإعجاز الكوني في الكتاب والسنة، الذي يعني توافق نص الوحي مع مقتضيات العلم الحديث، أو وجود إلماحات وتصريحات ضمنه تؤكّد حقائق علمية عُرفت لاحقًا، مما يدل على أن خالق الكون هو منزل هذا الكتاب.

(والمؤمن الصادق الأمين يدرك بفطرته السليمة أنّ الدين الصحيح والعلم الصحيح أخوان متعاونان، بل يدرك أن الإسلام في مفهومه الأعلى علم ومعرفة بالله لن يصل الإنسان إليها إلا بالإلمام بآياته في خلقه، وكلما ازداد علمه بذلك بهرته عظمة الله،

---

(1) المرجع السابق نفسه: ص 57.

(2)فيظلالالقرآن (5/ 3224).

واستولت على مشاعره...)(1).

ورغم ما حققه الإعجاز العلمي للقرآن وللسنة النبوية كذلك، من حقائق ومكتشفات وفتوحات في المجالات المختلفة من حياة الإنسان المعاصر (صحية، نفسية، تشريعية، فلكية، فيزيائية...) إلاّ أنّ هذا لم يكن كافيا في تحقيق المقصد الهدائي للقرآن، وبعبارة أخرى تكاثُر المعلومات وحشو العقول بها؛ حول الإشارات العلمية المبثوثة في الوحي، ومطابقتها للعلم الحديث، أصبح في كثير من الأحيان لا يؤدّي الغرض من تأسيس علوم الإعجاز تلك، وهو ترسيخ المعرفة والإيمان بالخالق تعالى، والاستمساك بكتابه المبين، تفهما وتطبيقًا.

ذلك أن قضية الإيمان والاهتداء، والإنابة والاستقامة، مرتبطة بصلاح القلوب وطهارتها، وصحة توجهها إلى بارئها، وصدق طلبها للحقّ، قبل مسألة الاستكثار من المعلومات وتحصيلها؛ في أي مجال من مجالات العلوم والفنون، والدليل على ذلك يستشهد بها كثيرا في ربط خشية الله بالعلماء، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، يسبق هذه الآية في السياق بيانه تعالى لخَطر عمى القلوبَ، وَموتَ القلوب التي هي محل الإيمان والتقوى، وأنه لا تنفع الآيات البينات ولا الكتاب المنير مع كفر القلب وعدم استعداده لتقبل الحق.

يقول المولى تعالى في ذلك السياق: ﴿... وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (22)... وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (26)﴾ [فاطر: 18-26]

المطلب الثالث: ضعف وعي الإنسان بكتاب ربه

حلقة الوعي الأخرى التي فقدها الإنسان في هذا العصر -وأخص بالذكر الإنسان

(1)محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط1: 2008، ص 444.

المسلم– وعيه الحقيقي بقرآن ربه... هذا الكتاب الذي حصر التعامل معه في تلاوته وحفظه، وكذا قراءته أثناء صلواته وخلواته، بينما كثير من تعليماته معطّل في حياته اليومية.. في علاقته بنفسه، مع أهله؛ جيرانه؛ أقربائه؛ في وظيفته ومعاملاته، في تربيته لأبنائه وفي قيامه بكل مسؤولياته الاجتماعية، في حله وفي ترحاله...

نقول بألسنتنا بأن القرآن فيه تبيان لكل شيء، و﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾ (الأنعام: 38)، لكنه صار قولاً مبتذلا إذ واقعنا الميداني معه على خلاف ما نردد، وحقيقة الأمر أن في الكتاب مفاتيح عملية فعالة تحتاج إلى من يستنبطها الفهم ونفاذ البصيرة، كفيلة بحل جميع مشاكلنا بدون استثناء، إن نحن أردنا وصدقنا عزمنا وإرادتنا.

وقد أخبرنا المولى تعالى في كتابه الكريم في أكثر من موضع عن سوء تعامل الأمم التي سبقتنا –وخصوصا بني إسرائيل– مع كتاب ربهم، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (البقرة: ﴿إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾

أي (إلا ما هم عليه من أمانيهم، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم، ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة. وقيل: إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد)[1].

وإلى ذات المعنى تقريبا ذهب صاحب تفسير المنار إذ يقول في علاقة بني إسرائيل بكتابهم: (لا حظ لهم من الكتاب إلا قراءة ألفاظه؛ من غير فهم ولا اعتبار يظهر أثرهما في العمل، فهم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: 5)... وهذا النوع من التمني قد برز فيه المسلمون حتى سبقوا من قبلهم، فقد أمسوا أكثر الأمم تلاوة لكتابهم، وأقلهم فهما له واهتداء به)[2].

وسواء كان معنى "أماني" في الآية السابقة قراءات حرفية مجردة من الفهم والاهتداء بها، أم كان معناها ما يتمناه القلب وتهواه النفس من أماني واهمة، فالمهم

---

(1) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 157)، ينظر أيضا في هذا المعنى: الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (3/ 564)، وكذا: (23/ 238).

(2) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (1/ 298).

مؤاخذة القرآن لهذا التعامل السقيم مع هداياته التي أُنزلت بالحقّ.

ومنتلكالأمانيالتيلاتستقيممععدلالله وسنته في خلقه،ولاتتماشىمعالتصورالصحيحللعملوالجزاء.. أيحسب أحدٌأنهناجمنالعذابمهمافعل،وأنالنارلنتمسهإلاأيامامعدوداتيخرجبعدهاإلىالنعيم.. علاميعتمدَفيهذهالأمنية؟علاميحددّالوقتكأنّماهو مستوثقمنمعاهدةمحدودةالأجل؟.. لاشيءإلاأمانيالأميينالجهال!

الأمانيالتييلجأإليهاالمنحرفونعنالعقيدةالصحيحة،حينيطولبهمالأمد،وينقطعمابينهموبينحقيقة دينهم،فلايبقىلهممنهاإلااسمهوشكله،دونموضوعهوحقيقته[1].

ويقول المولى تعالى في هذه القضية أيضا:

﴿تنزيلٌ مِّنَ الرَّحمنِ الرَّحيم(2) كتابٌ فُصِّلَت آياتُهُ قُرءانًا عربيًّا لِّقوم يعلمونَ(3) بشيرا ونذيرا فأَعرَضَ أكثرهم فهم لا يسمعون(4) وقالُوا قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ مِّمَّا تدعونآ إليه وفي ءاذاننا وقْرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ فاعمل إنَّنا عاملُون(5)﴾[فصلت: 2-5]

يقول الإمام الرازي في معنى قوله تعالى: ﴿فأَعرَضَ أكثرهم فهم لا يسمعون﴾: كونهنازلامنعندالإلهالرحمنالرحيميدلعلىاشتمالهعلىأفضلالمنافعوأجلالمطالب،وكونهقرآناعربيامفصلايدلعلىأنهفيغايةالكشفوالبيان،وكونهبشيراونذيرايدلعلىأنالاحتياجإلىفهممافيهمنأهمالمهمات،لأنالسعيفيمعرفةمايوصلهإلىالثوابأوإلىالعقابمنأهمالمهمات،وقدحصلتهذهالموجباتالثلاثةفيتأكيدالرغبةفيفهمالقرآنوفيشدةالميلإلىالإحاطةبه،ثممعذلكفقدأعرضواعنهولميلتفتواإليهونبذوهوراءظهورهم[2].

كنا نعتبر -كما يرى الغزالي رحمه الله- الخطأ الكبير فقط ألاّ يمدّ القارئ المدّ خمس أو ستَّ حركات، أو لا يغن الغنّة، أو لا يخفي الإخفاء، وكل ذلك يمكن أن وسائل لحماية الأداء القرآني ليكون محلاً للنّظر والاعتبار.. أما وعي المعاني وإدراك الأحكام والمقاصد، والتحقّق بالعاطفة المناسبة، من خلال تشرب معاني القرآن فقد

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (1/ 85).

(2) الرازي: مفاتيحالغيب (27/ 540).

من نفوسنا.

والأصل في القرآن أنّه نزل ليحيي النّفوس ويصنع الأمم ذات الحضارة الراقية، هذه قدرته وهذا ما أنزل من أجله.. أما أن يشغَّل المصباح فلا يرى الناس النور، فهذا عيب الأبصار التي أبت أن تنتفع بالنور، والله يقول في حقّ كتابه: ﴿... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ(15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(16)﴾ [المائدة: 15-16][1].

والثقافة الإسلامية قد حدث فيها شيء من العوج، فكثير من عقلاء القوم حين رأوا فساد المجتمع انسحبوا منه بدل أن يساهموا في التغيير، وفي جانب فقه العبادات والمعاملات، لا توجد أمة أطالت في الفروع الفقهية كأمتنا، فالوضوء مثلا: ما الذي فيه مئات الكتب والمجلدات؟ والمساحة التي شغلها البحث في تلك الجزئيات كان حساب القضايا الكبرى للأمة[2].

عندما تحدّث القرآن عن الأمة، تحدث عن فسادها وانهيارها بشيوع أخلاق معينة، وبانقسامها إلى طبقات تابعة ومتبوعة، وبإصابتها بالتبلّد العقلي الذي يجعل التقليد أساس الفكر.. غابت الأولويات في تعاملنا مع القرآن، فبدل أن يدرس فقه الطهارة خلال بضعة أشهر، كان يمكن أن يدرَّس لماذا هلكت عاد؟ ولماذا هلكت ثمود؟.. ما الفساد الذي حدث في بني إسرائيل؟ كيف تحولت الحقيقة إلى شكليات ومظاهر؟ كيف تحول انتماء عنصري، بدل أن يكون انتماء ربانيًّا وزكاةً نفسيةً؟ كل هذا كان ممكنا من خلال دراسة القصص القرآني، لكننا أهملناه إهمالا كبيرا، كما أهملنا دراسة آيات النّظر إلى الكون، وكان آخر شيء يلتفت إليه النّظر في الكون[3].

ومن أوجه سوء الفهم وضعف الوعي برسالة القرآن النظر إليه والتعامل معه تعاملا تجزيئيا، يجزئ موضوعاته وقضاياه إلى أجزاء غير مترابطة تشوه حقيقة الدين، وقد وقع هذا المحذور من سبقنا من الأمم، قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ

---

(1) محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن (في مدارسة أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط3: 1992، ص 31.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 155.

(3)الغزالي، محمد: كيف نتعامل مع القرآن، ص 156.

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85].

وقال أيضا: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر: 90-91]

نزلت الآيات فياليهودالذين استقبلواالقرآناستقبالمن يصدقبعضهممالايتبعه،ويكذب بعضهممايتبعه،فقدكذبوامثلاأنكتابهمقدبشرهمبمحمدعليهالصلاةوالسلام، وهكذاحاولواأنيجعلواالقرآنعضين،أي: قطعامفصولةعنبعضهاالبعض(1).

يقول الشيخ الغزالي في هذه القضية: (كنت أنظر أحيانا إلى طريقتنا في فهم القرآن، فكنت أجد أنها طريقة تستحق التأمل، بمعنى أنه لكي نقول: إن العمل الذي نؤديه هو صنع الله، استدللنا بالقرآن: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[الصافات: 96].

انتزعنا هذه الآية من السياق كلّه لكي تدلّ على مذهب أهل السنة، إنّ العمل مخلوق ونسينا أنّ هذا الكلام لو صح، ما كان عبدة الأصنام مسؤولين، لأنهم إذا كانوا مخلوقين لله، وشركهم ووثنيتهم مخلوقة لله، فما عليهم من ذنب، لكن نحن أخذنا ظاهر الآية وقطعناها سياقها، من قبل ومن بعد، وجعلناها هكذا دليلا لرأي باطل... إنها آفة التجزيء)(2).

وضعف وعي المسلم اليوم بالقرآن ساهمت فيه الثقافة السائدة؛ والنابعة من بعض موروثنا الفكري والديني الذي يبالغ إلى حدّ الشّطط في تقديس النص القرآني، الذي ينبغي –حسب هذا الموروث– ألاّ ينبري لفهمه إلا الراسخون في العلم، والمتضلّعون في اللغة العربية وآدابها، وأن فهم المسلم لخطاب ربه يمر حتما عبر قناة التفسير لكلام رب العالمين المبثوث في المصنفات.. المطولة أو المختصرة، في القديم والحديث.

فرغم القيمة العلمية لتلك التفاسير، وأهميتها الكبيرة في نشر الثقافة القرآنية في أوساط عموم المسلمين منذ ظهور أولى مؤلفاتها إلى اليوم، إلا أنها لا تُعفي أبدا الفرد المسلم من هجر كتاب ربه تدبّرا ومدارسةً ذاتية، تصله بخالقه دون وسائط، فالعمل بالقرآن والتزام رسالاته وهداياته لا بد وأن تمر عبر طريق التدبر والتفكّر والتعقّل والتذكّر، كما ورد الأمر بذلك في عشرات الآيات.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد: 24]

وقال أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

(1)الشعراوي:تفسيرالشعراوي (13/ 7777-7778).

(2) الغزالي، محمد: كيف نتعامل مع القرآن، ص 73.

كثيرا﴾ (النساء: 82)

(والتدبر مشتق من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلا، فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته...

فمعنى يتدبرون القرآن يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق)[1].

المبحث الثاني: قلة تميز الإنسان بين ذاته الحقيقية وذاته المزيّفة

يعيش أغلب الناسوهم غير واعين أن بداخلهم ذاتان –إن صح التعبير–ذات حقيقية، وذات مزيفة. الذات المزيفة يقصد بها ذلك الإطار الخارجي والظاهري؛ المتحيز في المكان والزمان..والذي يشكّل هوية الإنسان، من اسمه ولقبه، جسمه قوامه هندامه، مسكنه مركبته، أمواله ممتلكاته، معلوماته خبراته، والمحيطين به في حياته: من أسرته، عشيرته، أقربائه، أصدقائه، ومعارفه عموما..وهو كل ما يربطه بهذه الحياة الدنيا الزائلة بعد أجل مسمًّى. ذاته الحقيقيةفشيء آخر تماما؛ إنهاتلك الروح السامية الخالدة التي خلقها البارئ تعالى في الإنسان، الممثلةلحقيقته وجوهره، لأنها هي المحور الذي يدور حوله عمله واستثماره لكل إمكانياته المسخّرة له؛ فقط من أجل أن ينمي تلك الروح ويرقّيها، فيسعد بغراسه في الآخرة والأولى. وبهذه الذّات (أي الحقيقية) استحقّ خلافة الله في الأرض.

فمن الأسباب الرئيسة لإعراض الإنسان عن منهج ربه، في أي ركن أو جزء من أجزائه، نجد عاملاً مهمًّا لعلّه يهمل كثيرا عند الحديث عن أسباب الفساد أو الانحراف أو هجر القرآن الكريم، وهو عدم تمييز المرء بين ذاته الحقيقية التي ينبغي أن يحيا بها، وبين ذاته الموهومة المزيَّفة التي يستمسك بها ويدافع عنها.

وهذه الظّاهرة هي ما يسمى في علم النّفس الحديث بـ "التّماهي"، الذي يؤدي إلى هدر وتجاهل الذات الحقيقية، بسبب المبالغة في الاهتمام والتركيز على حاجات الآخرين، أو تصرفاتهم، أو على قضايا خارجة عن المرء، إلى حدّ نسيانه لذاته الحقيقية.

(1)التحريروالتنوير (5/ 137).

وهي –حسب تشارلز ويتفيلد– الذوبان في الآخرين أو في الظروف أو في الأشياء الخارجة عن الذّات، بحيث يترافق مع تجاهل الذات الحقيقية، إلى حدّ ألاّ يمتلك هذا الشّخص إلا القليل من الهوية الشّخصية[1].

وينشأ التّماهي ويتطور نتيجةً للتّعرض الطّويل لقواعد ظالمة من العادات والأنماط الفكرية والاجتماعية، تمنع الفرد من التّعبير الحر عن مشاعره وأفكاره، ومناقشة انشغالاته الشّخصية والاجتماعية مع غيره[2]، بل قمع كل هذا باسم الاهتمام بالآخرين والغيرة على المجتمع، على حساب الحاجات الخاصة للذّات الحقيقية.

ولذلك نجد التركيز الواضح في القرآن الكريم –في عشرات المواضع– على تشغيل العقل وقواه الإدراكية، والوسائل المؤدية إلى هذا الإدراك في الإنسان وهي السمع والبصر، وعدم الاكتفاء بترديد مقولات الناس والمجتمع، أو الانكفاء على تقليد الآباء والأجداد بغير علم ولا هدى، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى:

﴿وكَذَٰلك مَآ أَرْسَلْنَا من قَبْلك في قَرْية مِّن نَّذير الاَّ قَالَ مُتْرفُوهَآ إنَّا وَجدْنَآ عَلَىٰٓ أُمَّة وإنَّا عَلَىٰٓ ءاثَارهم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزُّخرف: 23).

قال الإمام الرّازي في تفسير الآية السابقة: (بيّن [في الآية] أَنَّ الدَّاعيَ إلى القول بالتّقليد والحامل عليه، إنَّما هو حبُّ التنعم في طيّبات الدُّنيا، وحبُّ الكسل والبطالة وبغض تحمّل مشاق النَّظر والاستدلال، لقوله: ﴿إلاَّ قال مُترفوها إنَّا وجدنا آباءنا على أُمَّة﴾ والمترفون أرباب الثروة والنِّعمة، أي أبطرتهم النعمة فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويبغضون تحمّل المشاق)[3].

وقد وضع "تشارلز ويتفيلد" مقارنة لطيفَة بين الذّاتين الحَقيقية والمزيفة، ليبيِّن الفرق بينهما، هذه أهم معالمها في الجدول الآتي[4]:

الذات الحقيقية	الذات المزيفة
ذات أصلية	ذات غير أصلية (تتقنع بأقنعة عدّة ومتنوعة)

(1) سلمان عماد سامي: حرِّر ذاتكَ منكَ، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط1: 2011، ص 116–117.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) الرازي: مفاتيح الغيب (27/ 628).

(4) تشارلز ويتفيلد: أنقذوا الطفل في داخلكم، ترجمة وتحقيق: آمال الآتات، نشر: مكتبة دار الفراشة، بيروت–لبنان، ط1: 2009 م، ص 112–113.

تلقائية، عفوية	غير تلقائية، تخطّط لكل شيء
منفتحة، قادرة على الحب	منقبضة وخائفة
حنونة ورحيمة، تتقبل الآخرين بسهولة	تحقد وتنتقد وترغب في الكمال
تتقبل النفس بكل عيوبها، وتلتمس لها العذر	متجهة للغير على حساب النفس... تؤنّب نفسها بشدّة
تحب بلا شروط	تحب بشروط وقيود
تشعر بكل مشاعرها بتلقائية	تنكر وتخفي مشاعرها، وأحيانا تجهلها
قادرة على توكيد حقوقها بلطف	سلبية وعنيفة
تتفهم احتياجها للّعب والاستمتاع	لا تعرف كيف تستمتع
لا تمانع في إظهار ضعفها وهشاشتها	تتظاهر بالقوة دائما
لديها قوة حقيقية	قوتها مزيفة
تستطيع الثقة بنفسها وبالآخرين	تشك بسرعة
تستمتع بالحصول على الرعاية	تشعر بالحرج عندما تحصل على شيء
منفتحة على عالمها الداخلي	لا تتقبل حقيقة وجود أشياء عميقة، غير واعية بداخلها
حرة في أن تنمو وتتغير	تتحرك دائما وفق سيناريوهات معدّة مسبقًا

فالذات المزيفة هي التي يعيش الإنسان –عموما– انطلاقًا منها، في أغلب أوقاته، وهذا يضر علاقته بنفسه وبخالقه تعالى، وبالنّاس وبكل العالم من حوله.

كما يضر بصحته البدنية والنّفسية والروحية والاجتماعية، فهي ذات واهمة، وليست هي الذّات الحقيقية الواقعية، التي خلقنا لكي نكونها ونعيشها.

فالتّعافي والتّشافي من هذه الحال يكمن في أن نغامر لندرك ونعترف بهذه الحقيقة، "حقيقة أننا نعيش انطلاقًا من الذّات ا ل.مزيفة"، ثم نبدأ في مغامرة الاقتراب والمقاربة من ذواتنا الحقيقية؛ وعيا وإدراكًا وممارسةً، مستعينين بالله عز وجل.

والمقصود بتحرر الإنسان من ذاته المزيفة ليس هو رفضه وتخلّيه وعزوفه عن كل

مقوّماته وروابطه التي تربطه بالدّنيا، إنما القصد هو تحرّره من تعلّق قلبه وهَمّه وهمّته وتحول وجهته الحقيقية إلى المعنى الأسمى لوجوده هنا في الدنيا، وهو أن يمثل صفَات تعالىفي نفَسه؛ ويجسد منهجه(المسطّر في كتابه) واقعا تزدهر به الحياة؛ويصلُح به كل من وما فيها من كائنات ومخلوقات.

ونجد القرآن العظيم يشير إلى الذات المزيفة في أغلب المواضع الذي ذكر فيها "الإنسان" مجردا عن وصف الإيمان..من ذلك مثلا:

﴿وإِذَا مسَّ الانسانَ الضُّرُّ دعَانَا لجنبه أَوْ قَاعدًا او قَآئِمًا فَلَمَّا كَشفْنَا عنْهُ ضُرَّهُ مرَّ كَأَن لَّمْ يدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ، كَذَٰلكَ زُيِّنَ للْمُسرفينَ ما كَانُوا يَعْملُونَ﴾ (يونس:12)

فالذات المزيفة هنا لتعلقها بالدنيا تنسى فضل الله عليها بعد كشفه الضُّر عنها مباشرة؛ مع أنها كانت قبل ذلك ملازمة باب الدعاء والضّراعة.

﴿ولَئِن اذَقْنا الانسانَ منَّا رحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاها منْهُ إِنَّهُ، لَيئوس كَفُور(9) ولَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعماءَ بَعد ضرَّآء مسَّتْهُ لَيقُولَنَّ ذَهب السَّيِّئَاتُ عنِّي إِنَّهُ، لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود:9-10)

تصور الآية حال اليأس والكفر التي يكون عليها الإنسان حين ينزع الله شيئا من رحمته عليه، ثم انقلابه إلى الفخر والغرور بنفسه بعد عودة نعمة افتقدها من قبل.. وكلها ظلال توحي بأحوال تلك الذات الموهومة المتعلقة بالمادة وبريقها، وباللّذة العاجلة﴿وإِذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ في الْبَحْر ضَلَّ من تَدْعُونَ إِلآَ إِيَّاه فَلَمَّا نجَّاكُم، إِلَى البر أَعرضتم وكَانَ الانسانُ كفُورا﴾ (الإسراء:67)

﴿قُل لَّو اَنتمْ تَملكُونَ خزآئنَ رحْمة ربِّي إِذًا لأَمْسكْتُم خَشْيَةَ الانفَاق وكَانَ الانسانُ قَتورا﴾ (الإسراء:100)

﴿ويَقُولُ الانسانُ أَذَا ما متُّ لَسوفَ أُخْرجُ حَيًّا(66) اولاَ يذْكُر الانسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من قَبل ولَم يكُ شيئا(67)﴾ (مريم: 66-67).

وفيَ مقابل وصف "الإنسان" هكذا مجردا عن الإيمان.. تعبيرا عن ذاته المزيفة التي تمثل "الأنا" أو النفس الأمارة بالسوء، نجد القرآن يعبر عن الذات الحقيقية

في كل المواضع التي يتحدّث فيها عن أثر الإيمان وثماره الفعلية في الحياة، سواء كانت صفات وأعمالاً أو موصوفون بها في حدّ ذاتهم وهم "المؤمنون".. من ذلك مثلا:

﴿إنَّما الْمومنُونَ الذين إذَا ذُكر اللهُ وجلَتْ قُـلُو بـُهم وإذَا تُلِيتْ عليْهِمْ ءاياته زادَ تـْهم، إيمانًا وعلَىٰ ر بـِّهِم يـ. تـ. وكّلونَ(2)...أُولَئك هُم الْمومنُونَ حقًّا لَهُم عند ر بـِّهِم ومغفرةٌ ورزقٌ كَرِيم(4﴾ (الأنفال:2-4)

﴿قَد ا فـْلَح الْمومنونَ(1) الذين هُم في صَلاتهم خَاشعُونَ(2) والذين هُم عن معْرِضُونَ(3) والذين هُم للزَّكَاة فَاعلُونَ(4...﴾ (المَومنون:2-4)

﴿ولَمَّا رأَى الْمومنُونَ الاحْزاب قَالُوا هذَا ما وعدنَا اللهُ ورسُولُه وصدَقَ اللهُ ورسولُه وما زادهم، إلآ إيمانًا وتَسليماً﴾ (الأحزاب:22).

ونجد واحدًا منَ علَماء الغربَ الذين كتبوا بتميز عن الإنسان والتغيير الذاتي، واين داير"[1]، يقول عن الذات الحقيقية والمزيفة للإنسان:

(يجب أن نخلُص إلى أن الحياة؛ في إطار الجسم وكل الإنجازات والممتلكات، والتي بكل تأكيد تبدأ من التراب وتنتهي إلى التراب، ليست هي الحياة ذاتها. إن تعرُّفك على الجوهر الحقيقي للحياة يمكن أن يغيِّر حياتك بشكل جذري نحو الأفضل. هذا تحوُّل داخلي هائل سوف يقتلع من داخل نفسك الخوف من الموت (كيف يمكن أن تخشى شيئا ليس موجودا؟)، ويصلك بشكل دائم بمصدر الخلْق اللانهائيّ الذي يأتي بكل شيء من عالم الروح اللانهائية، إلى هذا العالم المحدود. تعلّم كيف تتقبل مفهوم اللانهائية وانظر إلى نفسك على أنك كائن لانهائي.

بينما نعيش في العالم المحدود، الذي يعرف البدايات والنهايات، تحتفظ قوة العزيمة بطبيعتها اللانهائية لأنها أبدية. إن أي شيء تعيشه ليس أبديًّا فهو ببساطة لا يمثل الحياة. وهّم صنعته الأنا، التي تناضل لكي يكون لها عنوان وهويَّة منفصلة عن المصدر هذا التحول الذي يملي عليك أن تنظر إلى نفسك بصفتك كائنا لانهائيًّا يعيش تجربة

---

(1)واين ولتر داير: كاتب ومحاضر أمريكي من مواليد مدينة دترويت سنة 1940، مهتم بتطوير الذات وقضايا التنمية البشرية، من أشهر كتبه "قوة العزيمة"، "سوف تراه عندما تؤمن به"، "أوقفْ الأعذار" توفي في أوت 2015.ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. **Wikipedia.org**

التحول؛ يحمل الكثير من المخاوف لمعظم الناس.

إنني أحثك على مواجهة هذه المخاوف والنظر إليها مباشرة الآن، والنتيجة هي أنك سوف تحظى بصلة دائمة بالوفرة الفياضة، والاستقبال لهذا المصدر الكوني)(1).

ويعالج د. داير مشكل خوف أكثر الناس من الموت، والسبب الكامن من ورائه فيقول: (هناك في الأساس وجهتا نظر بشأن معضلة موتك هذه، وجهة النظر الأولى: تقول إننا أجسام مادية؛ ولدت وسوف تواصل الحياة لفترة ثم تتدهور في النهاية، جلدها ثم تموت وتبقى ميتة إلى الأبد)(2).

نتساءل قبل أن نواصل فكرة د. داير: أليست وجهة النظر هذه سائدة لدى الكثير منا نحن المسلمين؟ مع فارق أننا نؤمن بالبعث والحساب ثم الجزاء بعد الموت؟ وهو الإيمان الذي يفترض أن يحدث في صاحبه توازنا واستقرارا روحيًّا، لكن ما نعيشه ونراه هو العكس في الغالب، ففكرة الموت تثير الخوف في الأوساط ويتجنّب ذكرها إلا في الخُطب والمواعظ وبعض المناسبات.

يواصل د. داير فكرته قائلا: (إن هذه الرؤية الأولى سوف تصيبك بالذعر من وجهة نظرك ككائن حيٍّ، وذلك سواء أدركتها أم لم تدركها، ما لم تعتنق الفكرة الثانية فإن خوفك من الموت يكون م ...ررا ومفهوما.

إن وجهة النظر الثانية... تقول ببساطة "إنك كائن أبدي"، و"أنك روح لانهائية" حبيسة ذلك الإطار المكوَّن من لحم ودم لفترة محدودة، ووجهةالنظر الثانية هذه ترى الجسم المادي يموت بالفعل وبأنك كنت كاملاً ومثاليًّا عندما خَلقتَ، ولكن هذا المادي البدني هو ما خلقه العقل الكوني للعزيمة. هذا العقل الكوني كان وما زال بلا شكل؛ إنه الطاقة الخالصة للحب والجمال والطّيبة والخلْق والإبداع وهي أشياء لا يمكن تموت؛ لأنها لا تملك شكلاً، إنها بلا شكل؛ بلا موت؛ بلا حدود؛ بلا تدهور؛ بلا بلا أي إمكانية أو احتمال للزوال)(3).

---

(1) واين دابليو داير: قوة العزيمة (تعلْم كيف تُحقّق رغباتك بطريقة خاصة)، مكتبة جرير، الرياض–السعودية، ط2: 2008، ص 133.

(2)المرجع السابق، ص 134.

(3)واين داير: قوة العزيمة، ص 135.

بعد هذا يتساءل داير عن أثر كلٍّ من الرُّؤيتين في ذات الإنسان؛ ويجيب مباشرة: (والآن أيٌّ من وجهتي النظر هاتين تشعرك بالراحة والسكينة؟ ما هي وجهة النظر التي تنمُّ عن السّلام والحُبّ؟ وما هي وجهة النظر التي تُوَلّد الخوف والقلق؟ من الواضح أنَ فكرة الذات اللانهائية هي التي تخلق علاقة وثيقة بينك وبين اللانهائية. إن معرفتك بأنك في الأصل والأساس كائن لانهائي سوف تصلك بالمصدر الذي هو دائم الوجود وأبدي، إنه الفكرة الباعثة على الراحة والسكينة.

ونظرا لهذه الطبيعة اللانهائية؛ فإنها في كل مكان؛ وهذا يعني بالتالي أن الروح يجب أن تكون حاضرة في كل مكان وزمان... وهنا يأتي السؤال؛ عن أي جانب من اللانهائية تريد أن تحيا، أمامك اختياران؛ إما أن تعيش على الجانب الخامل أو على النشط للأبدية، وفي كلتا الحالتين؛ فإن لك موعد مع الأبدية، وهو موعد لا مفر منه)[1].

خلاصة القول عن الذاتين الحقيقية والمزيفة، اللتين يعيشهما كل إنسان، أنه لا يعني وجوب تحرره من الجانب المزيف فيه وهو "الأنا"..أن يرفض شيئا من قَدَر الله وسنته النّافذة في عباده، أو يقيم صراعا وعداوةً مع شيء خُلق فيه ابتلاءً واختبارا، بل غاية الأمر هو اجتهاد المرء في التعرف على نفسه –إذ هي أقرب طريق لمعرفة ربه، ومن ثَم الاجتهاد في تزكيتها وتنميتها، وتسخير كل طاقاتها وإمكاناتها –المادية والمعنوية– لبلوغ جوهرها أو ذاتها الحقيقية، وذلك بمصاحبة منهج ربها في كتابه الكريم الذي تَضمن كل معالم الطريق الذي تسلكه من أجل تلك الغاية النبيلة.. التي بها سعادتها دنيا وأخرى.

المبحث الثالث: غياب حِسّ الغاية والرسالة في حياة الإنسان

إن تحديد الغاية هو أعلى مستوى لتحقيق الذات يمكن أن يصل إليه الإنسان وينجزه في رحلة حياته، ومع ذلك فهناك الكثير من البشر على اختلاف أجناسهم وأديانهم ممن يفتقدون حس الغاية والهدف الأسمى من الحياة، بل هناك حتى من يساورهم الشّك في امتلاك حسٍّ للهدف والغاية، أم لا[2].

بعدَ الحرب العالمية الثانية وما خلّفته من دمار في نفوس الناس، ومن حرب داخلية بين

---

(1) واين داير: قوة العزيمة، ص 135–136.

(2)واين دبليو داير: قوة العزيمة، ص 169–170.

الإنسان ونفسه، ظهرت جملة من التيارات الفكرية والفلسفية من بينها "العدمية" التي تقول إن وجود الإنسان عديم القيمة خال من أيّ مضمون حقيقي، لمحدودية إمكاناته، وعليه يثبت وجود عليه أن يعيش في حدودٍ هذه الإمكانات، وتتّسم بالتّشاؤم واليأس.

ثم انبثق الفكر الجديد لمفهوم "العبثية" من فكرة الوجودية الإلحادية، وتأثّر بالعدمية، على يد الفرنسي "ألبير كامو" ويدور مفهوم العبثية حول البحث غير المجدي للإنسان معنى للحياة، خصوصا أنها لا تؤمن بوجود إله، فكتب "أسطورة سيزيف".

و"سيزيف" أحد الشخصيات في الأساطير الإغريقية، تعاقبه الآلهة بأن يحمل صخرة أسفل جبل، وعندما يصل إلى قمته تتدحرج عائدة القهقرى إلى الوادي، فيعود لرفعها أخرى، وهكذا دواليك لا ينفكّ يفعل ذلك أبدا، في صورة تجسد للعذاب الأبدي(1).

لقد ظهرت العبثية نتاجا لانعدام قيمة الحياة في نفوس الناس، ولعدم فهم علّة الوجود والهدف منه، فالفناء كان هو القيمة المسيطرة على الفكر الإنساني على أعقاب الحرب العالمية الثانية، واليوم تعيش البشرية "عبثية" بصورة جديدة، سببها أمران متضادان الأول: سيادة حرب عالمية –لكنها افتراضية– عن طريق فضاءات الإعلام وشبكات التواصل اليومية التي تنشر أخبار الدّمار والقتل والإجرام، واهتمام الوعي العام بهذه الأخبار.. فيسكَب عليه قدر هائل من العدمية والشعور بالفناء، أقوى من الرغبة في الحياة.

أما السبب الثاني للعبثية الجديدةفيعود إلى التّعلّق بالحياة بشغف، كردّة فعل للصراع فكرة الموت والفناء، فصار الإنسان يعانق المزيد من الملذّات والرغبات من خلال الآلة التّكنلوجية على كل مناحي الحياة، ويسعى جاهدا وراء التّسلية والبذخ والتّرف العام، الذي لم تشهد البشرية له مثيلاً في تاريخها(2).

ويقول الكاتب الإعلامي ياسر حارب في الموضوع ذاته: (العالم يعيش اليوم عبثيةً، فقط أخلاقية وقيمية، بل إيمانية وإنسانية، لقد تماهت المفاهيم المتناقضة، وتقاربت الأضداد حتى رأينا مثقفين يصفقون للقاتل، وهو يقصف مدارس الأطفال، ويدكّ المنازل على الأرياء بحجة الدّفاع عن النفس، وصارت العدمية مذهبا إنسانيًّا بمواصفات جديدة، أبرزها –إلى

---

(1) ياسر حارب: عبثية القرن الحادي والعشرين، مقال منشور في مجلة البيان الإلكترونية، بتاريخ 02 أوت 2014، www.albayan.ae

(2) ياسر حارب: عبثية القرن الحادي والعشرين. www.albayan.ae

جانب اللاإكتراث ا لمطلَق- تبلُّد المشاعر، وتجمُّد القيَم، وتكسُّر مرايا الضّمير.

لقد أصبحنا نعيش حقًّا في عالَم بلا معنى، منزوع القيم، قليل الرِّضا... وهذا ما الناس منافقين قلقين، إنه "الطّلاق بين الإنسان وحياته، الممثل ومشهده، هو بالضّبط الشّعور باللاّجدوى" كما يقول ألبير كامو في أسطورة سيزيف)(1).

ويمكن القول إن العامل الأول في إعراض الإنسان عن كتاب ربه ومنهجه هو افتقاده لمعنى العيش في الحياة، والآيات التي جاء فيها مصطلح الإعراض مقترنا بالذّكر؛ يوحي مما يوحي مقصدها: الإعراض عن ذكر وتذكّر الغاية أو الرسالة أو المهمة التي خلق الإنسان من أجلها، ونتيجةً لذلك إخلاده إلى الأرض واختياره للعيش بمنطق البهيمية أو الحيوانية. ونجد مثلا الآيات التالية في ما نحن بصدده:

﴿ومن اعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه: 124)

﴿اقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلة مّعرضون(1) ما يأتيهم مّن ذكر مّن مّحدث الاّ استمعوه وهم يلعبون(2) لاهيةً قلوبهم﴾ (الأنبياء: 1-3)

﴿وما يأتيهم مّن ذكر مّن الرّحمن محدث الاّ كانوا عنه معرضين(5) فقد كذّبوا فسيأتيهم أنبآء ما كانوا به يستهزءون(6)﴾ (الشّعراء: 5-6)

﴿ما خلقنا السّماوات والارض وما بينهمآ إلاّ بالحقّ وأجلٍ مّسمًّى والذين عمّآ أنذروا معرضون﴾(الأحقاف: 3)

ففي قوله تعالى:

﴿ومن اعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه: 124)، يقول سيد قطب:

(والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع.

إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق والشك.

ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد، والحذر من الفوت.

ضنك الجري وراء بارق المطامع، والحسرة على كل ما يفوت)(2).

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2)سيد قطب: في ظلال القرآن (4/ 2355).

وفي قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ(1) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ(2) لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ...﴾ (الأنبياء: المعنى المراد من الآيات:

(غَافِلُونَ عَنْ حِسَابِهِمْ سَاهُونَ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي عَاقِبَتِهِمْ مَعَ اقْتِضَاءِ عُقُولِهِمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ جَزَاءِ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، ثُمَّ إِذَا انْتَبَهُوا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَرَقْدَةِ الْجَهَالَةِ مِمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ أَعْرَضُوا وَسَدُّوا أَسْمَاعَهُمْ)[1].

كما تبين الآيات تمكن الْغَفْلَة والإعراض في هذا الصنف من الناس، بأنَّهُم إذا سمعوا في الْقُرآن تذكيراً لَهُم بالنَّظَر والاستدلال لاشتغَلوا عنْهُ باللعب واللهو، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِ، وكان حظُّهم منه سماع أَلْفَاظه[2]، كقولِهِ تعالَى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 171].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾(الأحقاف: 3)، يقول الإمام الزمخشري:

(إلا خلقًا ملتبسًا بالحكمة والغرض الصحيح، وبتقدير أجل مسمّى ينتهي إليه، وهو يوم القيامة، والذين كفروا عمّا أُنذروا منه من هول ذلك اليوم الذي لابد لكل خلق من انتهائه إليه؛ معرضون... لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له)[3].

يقول الشيخ محمد الغزالي، في بيان مادّية الحضارة المعاصرة، وتأثيرها في فقدان الإنسان لغايته ووجهته في الحياة:

(إن الحضارة الحديثة حضارة أرضية بشرية، ترى أنه لم ينزل من السماء شيء، وأن الإنسان وحده سيد الكون، وأنّ الساعة الحاضرة هي الجديرة بالعناية، وأنّ الموت شيء مؤسف للناس محبوسون في مآربهم القريبة وحدها، ولا يحبون أن تنفتح فرجة يطلّون منها على الحياة الآتية، ويرفضون مواساة تجيء منها؛ لتخفّف من معاناتهم هنا.

ولا بأس أن يمدّ الموظّف يده؛ لقبض رشوة يُشبع بها لذّة سريعة، أما الاستعفاف

---

(1) الرازي: مفاتيح الغيب (22/ 119).

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (17/ 11).

(3) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 294).

ابتغاء ما عند الله وأداء الواجب بشرف، فلون من الغباء.. ويطّرد هذا القياس بإزاء أموال النّاس وأعراضهم ودمائهم، من قدر على شيء لم يحجزه عنه ذكر جنّة أو نار، إنّ الجنّة والنار كلمات رجعية يتعلّق بها نَاس متخلّفون، وهكذا انتصرَ عالم الشهادة على عالم الغيب، أو عالم الحسّ على عالم الروح)[1].

المبحث الرابع: سوء الفهم للقَدَر وعدم رسوخ الإيمان بحقيقته في القلوب

لقد شاء الله تعالى بحكمته أن يخلُقَنا ويكلّفنا... فقال في وضوح:

﴿خَلَقَ الْموتَ والْحياةَ لِيَبْلُوكُم أَيُّكُم أَحْسن عَملاً وهو الْعزيز الْغفُور﴾ (الملك:

فجاء بعض ممّن لم يفْقَهحَقيقة الدّين، فزعم أن الحياة رواية تمثيلية خادعة ! وأن فيها أكذوبة !، وأنهم مسوقُون إلى مصائرهم المعروفة أزلاً طوعًا أو كرهًا !، وأن لم يبعثوا لقطع أعذار الجهل، ومنع الاحتجاج المعروف، بل المرسلون خدعة، تتم بها فصول الرواية، أو فصول المأساة.

والغريب أن جمهورا كبيرا من المسلمين يجنح إلى هذه الفرية، بل إنّ عامة يطوون أ نفسهم على ما يشبه عقيدة الجبر، ولكنهم حياء من الله يسترون الجبر باختيار خافت موهوم[2].

إن العلم الإلهي وصافٌ كشّافٌ، يصف ما كان ويكشف ما يكون، والكتاب الدّالّ عليه يسجل للواقع وحسب، لا يجعل السماء أرضًا ولا الجماد حيوانًا، إنه صورة تُطابق الأصل بلا زيادة ولا نقص، ولا أثر لها في سلب أو إيجاب، وعندما يذكّرنا ربّنا بهذا كله، فلكي يكشف لنا جانبا من عظمته، حتى نقْدُره حقّ قدره، وعندما نتعلّم منه أنّ ما نجهل من مستقبل مكشوفٌ لديه، فليس معنى هذا أن الامتحان الذي نتعرض له صوري، وأنّنا مسوقون إلى هذا المستقبل برغم أنوفنا.

إن هذه الأوهام تكذيب للقرآن والسُّنّة، فنحن بجهدنا وكدحنا ننجو أو نهلك، والقول بأنّ كتابا سبق علينا بذلك، وأنّه لا حيلة لنا بإزاء ما كُتب أزلاً.. هذا كله تضليل وإفكٌ ما أنزل الله به من سلطان، والله يقول في محكم التّنزيل:

---

(1) الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 84.

(2)الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 31-33.

﴿قَدْ جاءكُم بصَائرُ من رَّبِّكُمْ فَمن ابْصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا بحفيظ﴾ (الأنعام: 104)

﴿وقُل الْحقُّ من رَّبِّكُم فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر﴾ (الكهف: 29)

وعلم الله أزليّ مستيقن وهو لايتخلّف، لأنه يستوي عنده الماضي والحاضر والظن بأنّ نجاة من نجا وهلاك من هلك؛ هو أثر ونتيجة لإكراه الله هذا وذاك؛ هو الظّن السوء، وما هو إلاّ كفر..(1)

فهل الربط المتكرر بين العمل والجزاء، في القرآن الكريم، والنقمة المحسوسة على المجرمين في مثل قوله تعالى: ﴿ فلنذيقنَّ الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينَّهم كانوا يعملونَ(27) ذَلك جزآء أعدآء الله النّار لهم فيها دار الْخُلْد جزآء بما كانوا بئاياتنا يجحدُونَ(28)﴾ [فصلت: 27-28]، هل هذا يومئ من قريب أو بعيد إلى أن القوم كانوا أهل خير؛ فلوى زمامهم قَدَر سابق، أو كتاب ماحق؟ في يوم الحساب يحصد ما زرعوا لأنفسهم، والقرآن حريص كل الحرص، على إعلان هذه الحقيقة: إنك واجدٌ قدّمت، لن تؤاخذ أبدا بشيء لم تصنعه، لن تَغلَب على إرادتك يوما فيحسب عليك ما لم تشأ.. فالمغلوب على عقله أو قصده لا يؤاخذ أبدا، بل إن التّكليف يسقط عنه(2).

ربُّنا عز وجل ينفي الظّلم عن نفسه، ويقول: إنه ما عذّب إلا من فرط وأساء، ومع ذلك يجيء أقوام من المسلمين فيزعمون أنه سبحانه وتعالى رمى بأناس في النّار بعد أن قهرهم على طريقها بحجة أنّه لا يسأل عما يفعل!! وليس بظالم فيما أوقع بعباده!!.. هذا تفكير أعمى، لا علاقة له بفطرة الله السليمة، ولا برفعة وحيه الأعلى، ويجب فطام العوام عنه. وسبب هذا الشرود والإعراض عن الحقيقة سوء الفهم لآيات القرآن، وسوء النقل لأحاديث الرسول الكريم(3).

ومن أمثلة سوء الفهم ذلك: أن الحقّ يعرض على الناس، فمن قبله شرح الله به صدره، وأنار عقله، ومن رفضه زاد الله قلبه ظلمةً، وسلوكه حيرةً. وعندما يضل الله

---

(1) الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 31-33.

(2) المرجع السابق، ص 36.

(3) الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 36.

فلن ينقذه أحد، ولن يجد وليًّا ولا نصيرا، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأعراف: 186).

الجملة الأولى من الآية تفيد أن من عاقبه الله بالإضلال فلن ينفعه أحد، والجملة الثّانية تفيد أنه إنما أضلّه لطغيانه وعماه.

لكن البعض يقف عند الجملة الأولى وينسى الثّانية، أو يفهم أنّ طغيانه جاء نتيجة إضلال الله له، وهذا جهل كبير، فإنّ إضلاله جاء نتيجة طغيانه، فالإضلال نتيجة لا سبب، ويؤكّد هذا قوله تعالى في موضع آخر(1): ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى.. (76)﴾ [مريم: 75-76].

يقول الشيخ محمد الغزالي في هذا المسألة أيضا: (لقد جاءت في القدر أحاديث نرى أنها بحاجة إلى دراسة جادّة، حتى يبرأ المسلمون من الهزائم النفسية والاجتماعية أصابتهم قديما وحديثا)(2)، ومن هذه الأحاديث:

حديثعائشةأُمِّالْمُؤْمنين،قَالَتْ:

دُعِيَرسولُاللهصلىاللهعليهوسلمإلىجنازةصبيٍّمنالأنصار، فَقُلْتُ:

يارسولَاللهطوبىلهذا،عصفورمنعصافيرالْجَنَّةلَميعملالسُّوءولَميُدرِكْه،قَالَ:

«أوغيرذلك،ياعائشةإنَّاللهخلقللجنَّةأهلًا، خلقهملهاوهمفيأصلابآبائهم،وخلقللنَّارأهلًا،خلقهملهاوهمفيأصلابآبائهم»(3).

حديث سهلبنسعدالسَّاعديِّ،أنَّرسولَاللهصلىاللهعليهوسلم،قَالَ:

«إنَّالرَّجللَيعملعملأهلالْجنَّة،فيمايبدوللنَّاسوهومنأهلالنَّار،وإنَّالرَّجللَيعملعملأهلالنَّار،فيمايبدوللنَّاسوهومنأهلالْجنَّة»(4).

---

(1) المرجع السابق: ص37.

(2)الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص44.

(3)رواه مسلم: صحيح مسلم، كتابالقَدَر، بابمعنىكلمولوديولدعلىالفطرةوحكمموتأطفالالكفار،حديث رقم:4920. ورواه أيضا النسائي: السننالكبرى،كتابالجنائز، الصلاةعلىالصبيان،حديث رقم:2050. الجامع للحديث النبوي.

(4)رواهالبخاري: صحيح البخاري،كتابالجهادوالسير، بابلايقولفلانشهيد، حديث رقم:2763. ورواه أيضا

حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يقول: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ خلقَهُ في ظُلْمة، ثُمَّ أَلْقى عليهم من نورهِ يومئذ، فمن أصابهُ من نورهِ يومئذ أَخْطأَه، ضلَّ " فلذلكَ أقولُ: جفَّ القَلَمُ على علْمِ اللهِ عزَّ وجلَّ)[1].

وهناك أحاديث أخرى يدور مفهومها الظَاهر حول هذا المحور: أنّ الإنسان مقهور الإرادة لا حول له ولا قوة، أمام كتاب أزليٍّ سابق، وأن كل سعيه ومحاولاته لا تُغير شيئا مما خطّه قلم القَدَروقد اعتبر الغزالي ظواهر الجبر في تلك الآثار مرفوضة، فإما أن تُصرف تلك الظواهر إلى تأويل قريب مقبول، وإما اعتبارها آثارا بها علّة قادحة تُسقطها عن درجة الصحة، يجوز إيرادها في مجال التربية والتعليم[2]، وأيضا في مجال الإرشاد والتوجيه، وإلاّ لم معنى أصلاً لتكليف الإنسان، ولا اعتبار لسعيه وجهده، فأين هذا من تقرير القرآن:قاعدة الجزاء من جنس العمل، وأنّ عمل الإنسان وكسبه موكول إلى نفسه وإرادته الحرة الطّليقة؛ من مثل قوله تعالى:

﴿وأَن لَّيْسَ للانسان إلاَّ ما سَعَى(39) وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى(40) ثُمَّ يجزاه الاوفى(41)﴾ (النجم: 39-41).

﴿والذين كَذَّبُوا بئاياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يُجْزَوْنَ إلاَّ ما كانوا يعملون﴾ (الأعراف: 147)

﴿ولا ينفقُونَ نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الاَّ كُتب لهم ليجزيهم ما كانوا يعملون﴾ (التوبة: 121)... إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في تلك القضية.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي في حقيقة القَدَر أو حرية الإرادة، نافيا عنها شبهة والإكراه: (كيف تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهي موقوفة على قصورهم إن شاءوا فعلوها وإن كرهوا تركوها؟ فلو جاز والحال هذه أن لا تكون أفعال العباد من

مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث رقم:188. الجامع للحديث النبوي.

(1)رواه الترمذي:الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم:2633. والبيهقي: السنن الكبرى، كتاب السير، باب مبتدأ الخلق، حديث رقم:16459. الجامع للحديث النبوي.

(2)الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 46.

جهتهم، لجاز في أفعال الله تعالى ذلك. فإن بهذه الطريقة يعرف أن الفعل فعل لفاعله.

وبعدَ فلو كانت مخلوقةً لله تعالى، لما استحقّ العباد عليها المدح والذّم، والثّواب والعقاب. وأيضَا فلو كانت أفعال العباد كلها بقضاء الله تعالى وقَدَره، للزم الرضا بها وفيها الكفر والإلحاد، والرضا بالكفرِ كفر...)(1).

والله تعالى قد ذكر شُبهة الاعتقاد بالجبر والإكراه في الفعل الإنساني، التي يتمسك بها المشركون حين يعلّقون شركهم وينسبونه إلى مشيئة خالقهم، تعالى الله عن ذلك علُوًّا كبيرا، وهذه الشبهة يقع فيها أي إنسان مهما كان دينه حين يهون من ذاته، ومن إرادته وسائر القوى والمواهب التي ركبها فيه الخالق تعالى، وأول هذه المواهب العقل الذي به يعي ويدرك ويميز بين الحقائق.

يقول تعالى: ﴿سَـيَـقُولُ الذينَ أَشْرَكُواْ لَو شَآءَ الله مآ أَشْرَكْنَا ولآَ ءاباَؤُنَا ولاَ حرَّمنا شَيْء كَذَا لِكَ كَذَّبَ الذينَ منِ قَـبلهِم حَتَّى ذَاقُواْ بأْسنا قُلْ هَلْ عندَكُم مِّن علمٍ لَنآ إنَ تـتَّبعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنَ انتم إلاَّ تَخْرصُونَ﴾(الأنعام: 148).

فهؤلاءَ المشَركون وأَمثالهم فَي التفكير والسلوك؛ يعزون شركهم وشرك آبائهم، وتحريمماأحلاّلله،بمشيئةاللهوإرادته. ولولامشيئتهلميكنشيءمنذلك،كما يزعمون ويفترون على ربهم كذبا وزورا،لأنّاللهعزوجلّركّبفيالعقولوأنزلفيالكتبمادلّعلىغناه،وبراءتهمنمشيئةالقبائحوإرادتها،والرسلأخبروابذلك.

فمنعلّقوجودالقبائحمنالكفروالمعاصيبمشيئةاللهوإرادتهفقدكذّبالتّكذيبكلّه،ونبذأدلةالعقلوالسّمعوراءظهره(2).

يقول الإمام الشّعراوي معلّقًا على آية الأنعام: (لاحجّةلهؤلاءالذينيعلّقونإسرافهمعلىأنفسهمعلىشمّاعةالقدَر،وأناللهتعالىكتبعليهمالمعصية؛لأ لأننانرىحتىمنالمسلمينمنيتكلمبهذاالكلام،ويميلإلىهذهالأباطيل،ومنهممنتأخذهالجرأةعلىالل اللهعزّوجلّفيشبّههذهالقضيةبقولالشاعر:

(1)القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن المعتزلي: شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2: 1988، ص 771.

(2)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (2/ 77).

أَلْقَاهفيالِيمِّمكتوفاًوقَالَلَه... إِيَّاكَإِيَّاكَأَنْتبتلبالماء)[1].

ومن الأسباب الرئيسةللإعراض عن روح القرآن والعمل به؛ فقدان إنسان هذا العصر لبوصلة حياته، فأصبحت حياته متذبذبة بين التعلق بالماضي،أوالترقب للمستقبل، أو كليهما معا، وخسر بذلك تواجده في اللحظة الوحيدة التي يملكها ويملك العيش فيها مطمئنا مستقرًّا، مستمتعا بنعم الله عليه، شاعرا مدركا لها: وهي اللحظة الحاضرة (الآن).

وفي الحقيقة بعد الإنسان وانفصاله عن الحضور أو اللحظة الحاضرة؛ هو جزء من فهمه للقدر، وضعف إيمانه بحقيقته، فلو كان إيمانه به حقيقيا لما تعلّق بأي حدث أو موقف مضى عليه، وبالتالي لا يعرف معنى للخوف أو الحزن في حياته؛ انطلاقًا من أنه يقع إلا ما أراده الله، وكل شيء بقدر وحكمة إلهية، مؤمنا واثقًا بقوله تعالى: ﴿مَآ من مُّصيبة في الأَرْضِ ولاَ في أَنفُسكُمْ إِلاَّ في كِتَاب مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرأَهآ إِنَّ ذَالِكَ يَسير(22)لِّكَيْلاَ تَاسوا علَى مَا فَاتَكُمْ ولاَ تَفْرحُوا بِمَآ ءاتاكُم واللَّهُ لاَ يحبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور(23)﴾ [الحديد: 22-23].

كما صار الإنسان في هذا العصر مدمنا على التوتر النّفسي، بسبب التّخطيط المفرط لتفاصيل حياته ، وهو بذلك يتجاوز زمنه الحقيقي؛ الذي مكّنه الله منه (الآن)، إلى زمن لا يملك منه شيئا لأنه لم يحن بعد، وهو المستقبل، فصار يعيش زمنا نفسيًّا مشحونا بمشاعر القلق والتوتر والإجهاد، لا زمنا واقعيا متاحا له، فكانت النتيجة أن حرم مقصدا عظيما من مقاصد وجوده، وهو تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي والسلام الداخلي.

ومن أوجه هذه الظاهرة المرضية إفراط إنساننا في البرمجة لكل شيء إلى حد السرف، رغم أهمية البرمجة والتخطيط الزمني في حياة الفرد والمجتمع، إلا أن المبالغة فيها حولها من وسيلة إلى غاية في حد ذاتها.

ونجد القرآن في آيات –تجلُّ عن الحصر– يركّز ذهن قارئه ومتلقّية على اللحظة الحاضرة، والاغتنام من فيوضاتها، من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عندَهُ علْمُ السَّاعَة وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا في الأَرْحَامِ وَمَا تَدْري نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34].

---

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي (13/ 7908).

(فالحق سبحانه أخفى موعد الساعة لكي نستشعرها دائماً، وفي كل وقت، حتى الذين يؤمنون بها ويشكّون فيها، وإذا ما استشعرها الناس عملوا لها، واستعدوا لأهوالها، كما الله عن الإنسان ساعة موته ومكان أجله، وجعل الموت يدور على العباد على غير

و(الحقّ سبحانه يريد أنْ يريح خَلْقه من الفكر في هذه المسائل الخمس، وكل ما أن نعلمه أن المقادير تجري بأمر الله لحكمة أرادها الله، وأنها إلى أجل مسمى، وأن لا يقدِّم ولا يؤخِّر، بالله ماذا يحدث لو علمت ميعاد موتك؟ لا شيء أكثر من أنك ستعيش نَكداً حزيناً طول الوقت لا تجد للحياة لذة،لذلك أخفى الله عنا هذه المسألة على الله بثقتنا في مجريات قَدر الله فينا)(2).

ومن مداخل الشيطان التي يتسلل بها إلى النّفوس مدخل الإيقاع بها في الحزن واليأس والقنوط، والنّدم السلبي على ما وقع في الماضي، فيشل حركته ويقعده عن العمل والاستمرار في المحاولة من جديد، والمجاهدة بنفسه وماله وكل مواهبه، وهذا المدخل الذي يوسوس به الشّيطان للإنسان هدفه منه تقييد النّفس بالزمن الماضي، فيجعل منها مدمنةً على التفكير في الماضي، وبالتّالي تقع النّفس فريسة للتشاؤم والسلبية في الحياة، والعجز والقعود عن العمل والمثابرة، وتكرار محاولات النجاح، والتغلّب على ضعفها وقصورها.

وهو ما ذكّرنا به القرآن في مواضع كثيرة، من بينها مثلاً؛ حين يبين لنا أنّ من صفات المتّقين أنهم قد يقعون في الفاحشة، أو الظلم لأنفسهم؛ فهم بشر وليسوا ملائكة، لكن العبرة في أنّهم يسارعون إلى التوبة والاستغفار ولا يتناون، ويذكرون رحمة الله ولا يستسلمون للحسرة على ما اقترفوه من ذنوب في ما مضى عليهم من اللحظات أو الساعات، فيحدثون توبة واستغفارا، فيغفر لهم ربُّهم ويكتب لهم الجنان مع العامليقول تعالى في هذا الموضوع: ﴿وَالذين إذَا فَعَلُواْ فَاحشَةً أوْ ظَلَمُواْ أنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ فَاستَغفَرُواْ لذُنُوبهمْ وَمَن يَغفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ عمران: 135].

(فهكذايأخذالإسلامهذاالمخلوقالبشريالضعيففيلحظاتضعفه.. فإنهيعلمأنفيهجانبالضعف قوة،وبجانبالثقلةرفرفة،وبجانبالنزوةالحيوانيةأشواقاًربانية..

(1)الشعراوي: تفسيرالشعراوي (1 / 7335)

(2)المصدر السابق نفسه.

فهو يعطف عليه في لحظة الضعف ليأخذ بيده إلى مراقي الصعود، ويربت عليه في لحظة العثرة ليحلّق به إلى الأفق من جديد.

د. ما دام يذكر الله ولا ينساه، ولا يصرُّ على الخطيئة وهو يعلم أنها الخطيئة!.

والإسلام لا يدعو – بهذا – إلى الترخص، ولا يمجّد العاثر الهابط، ولا يهتف له بجمال المستنقع! كما تهتف «الواقعية»!

إنما هو يقيل عثرة الضُّعف، ليستجيش في النفس الإنسانية الرجاء، كما يستجيش فيها الحياء!

فالمغفرة من الله – ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ – تُخجل ولا تُطمع، وتثير الاستغفار ولا تثير الاستهتار)[1].

وفي موضوع أهمية فلسفة العيش في اللحظة الحاضرة، يدعو القرآن الإنسان —كما يدعوه إلى عدم التعلّق بما مضى إلا بمقدار ما يأخذ منه العبرة– أيضًا إلى عدم التعلّق بما يستقبله من الزمان، إلا بمقدار ما يضع له من تخطيط وفق إمكاناته وقُدراته متوكّلاً على ربه وحده في تحقيق نتيجة ما يخطط له وما يسعى إليه، وفي هذا تقديس للحضور الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن في سائر أوقاته وأيامه.

يقول أبو حامد الغزالي عما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من قصر الأمل —في عامة أحواله–: (... إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكونَ شديد الاضطراب المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل، والتحقق بأن الرزق الذي قُدّر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتدَّ حرصه، فإن شدَة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل:"..إلا على الله رزقها" وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء، ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض، تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال؛ فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب الفقر، ويضحك عليه في احتماله التعب نقدًا، مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني وربما لا يكون؛ وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله... مخافةَ فقرٍ فالذي فعل الفقر)[2].

ويظهر أثر قصر الأمل في مبادرة المرء إلى العمل، وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نُصب العين لا يغفل عنه ساعةً، فالمؤمن الحقّ دائم الاستعداد للقاء ربه بالحال

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (1/ 476-477).

(2)الغزالي: إحياء علوم الدين، 458/4.

المقال، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته، وفرح بأنه لم يضيِّع نهاره، بل استوفى منه حظَّه وادَّخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح، ولا هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه.

فمثْل هذا إذا مات سعِد وغنِم، وإن عاش سرَّ بحسن الاستعداد ولذة المناجاة، له سعادة، والحياة له مزيد، (فإن السَّير حاثٌّ بك –كما يقول الغزالي– وأنت غافل نفسك، ولعلك قد قاربت المنزل، وقطعت المسافة، ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفَسٍ أُمهلتَ فيه)(1).

ويقول إيكهارت تول(2)، أحد مفكّري الغرب الذين كتبوا عن حقيقة الحضور واللحظة الحاضرة: (... الماضي يعطيك الهوية، والمستقبل يتمسك بوعوده للإيفاء بأي شكل من الأشكال، وكلاهما مجرد وهم وسراب.

الزمن ليس ثمينا –على إطلاقه–... وما نلاحظ أنه ثمين ليس هو الزمن، ولكن هو ذلك الذي يلوح خارج الزمن: الآن (اللحظة الحاضرة) وهذا هو الثمين فعلا، وكلما ركّزتَ على الزمن –ماضٍ أو مستقبل– افتقدتَ الآن (اللحظة الحاضرة) التي هي أثمن شيء موجود.

لماذا (الآن) هي أثمن شيء؟ أولا لأنها الشيء الوحيد الموجود بالكامل. إن الحاضر الأبدي هو الفضاء الذي من داخله تتكشف كل حياتك، والعامل الوحيد الذي يبقى ثابتا. الحياة هي الآن)(3).

ثم يسأل تول محاوره الذي يفترضه يناقش أفكار كتابه، ويجيب بنفسه بعد ذلك: (هل سبق لك أن جربتَ، عملَتَ، فكّرتَ، أو شعرت بشيء خارج الآن؟ هل تعتقد أنك ستفعل؟ هل من الممكن لأي شيء يحدث أو يكون خارج الآن؟ الجواب واضح بالتأكيد، أليس لا؟

– لم يحدث شيء أبدا في الماضي، لقد حدث في الآن.

---

(1) الغزالي: إحياء علوم الدين، 458/4.

(2)إيكهارت تول: كاتب ومحاضر ألماني في الروحانيات، من مواليد سنة 1948، من أشهر كتبه: "قوة الحضور" أو "قوة الآن".

(3) إيكهارت تول: قوة الآن (الدليل إلى التنوير الروحي) ترجمة مؤيد يوسف حداد، دار علاء الدين، دمشق، ط1: 2009، ص 44-45.

- لا شيء سيحدث في المستقبل، سيحدث في الآن.

ما تعتقده كماض هو تتبع الذاكرة المخزونة في العقل، الخالق والمكوِّن للآن. عندما تتذكر الماضي، [ستقوم] بتتبع الذاكرة – إنك تفعل ذلك الآن. وما المستقبل إلا تصور وتخيل للآن، عرض لصور العقل، وعندما يأتي المستقبل فإنه يأتي كالآن، وعندما تفكر المستقبل، فكأنك تعمله الآن، ولا وجود حقيقي واضح للماضي والمستقبل، كالقمر الذي لا نور له، ولكنه فقط يعكس نور الشمس، كذلك الماضي والمستقبل ما هما إلا انعكاس باهت ضعيف للنور، للقوة، لحقيقة الحاضر السرمدي. لقد استعارا حقيقتهما من

ثم يلخّص تول ما حدّث به محاوره قائلا: (إن جوهر ما أقوله هنا ليس بالإمكان بالعقل، في اللحظة التي تفهمها، هناك تحول في الوعي من العقل إلى الذات، من الزمن الحضور، فجأة كل شيء ستشعر به حيًّا، يَشعُّ حيويةً وطاقة، ويفيض بالوجود)[2].

إن الحضور في الآن يعني ببساطة رؤيةَ المرء لنعم الله والإحساس بها، في نفسه وفي ما حواليه، من نعمة الأمن والعافية والأرزاق الفَياضة المتوالية عليه في كل لحظة. وبالتالي يشكر واردَها عليه سبحانه.

ويقول إيكهارت تول أيضا في أسرار الحضور: (منذ أقدم الأزمنة أشار معلمو الروحية إلى الآن كمفتاح للبعد الروحي، وعلى الرغم من هذا فقد بقي سرًّا. من المؤكّد أنه لم يكن يدرس في الكنائس والمعابد، فإذا ذهبتَ إلى الكنيسة فإنك قد تتسمع قراءات من الإنجيل مثل: "لا تفكر في الغد؛ لأن الغد سيأخذ أفكاره من الأشياء ذاتها" أو "لا يضع يده على المحراث (وينظر للخلف) يكون مناسبا لدخول مملكة الله"، أو قد تسمع فقرة عن "الأزهار الجميلة التي لا تتوق للغد؛ ولكنها تعيش باطمئنان في سرمدية الآن الذي يوفرها لها الله بغزارة".

إن عمق وطبيعة جذور هذه التعاليم هي غير معروفة، ويبدو أن لا أحد يدرك أنهم عـنَـوا بها، لتُمارَس وتُحدث التحول الروحي العميق)[3].

يجب على المرء أنَ يركّز انتباهه على اللحظة الحاضرة وهو يمارس مظاهر حياته

---

(1) إيكهارت تول: قوة الآن ص 45-46.

(2)المرجع السابق: ص 46.

(3) إيكهارت تول:قوة الآن، ص 46-47.

اليومية، التي لا يمكن إجراؤها من دون التأشير على (ساعة الزمن) أي الماضي الماضي من أجل التعلم من أخطائه وإخفاقاته، المستقبل من أجل وضع البرامج لكن بشرط ألاّ يستحوذ عليه التفكير في الزمن نحو الخلف أو الأمام فيتحول إلى زمن نفسي متراكم بالألم والمعاناة، بدل التركيز والعيش في الآن. والزمن النفسي هو الزمن الذي يرتبط دائما بأحاسيس كاذبة من الندم والشعور بالذنب، والامتعاظ والاكتئاب وعدم الاطمئنان...[1]

يقول إيكارت تول: (إذا وضعت لنفسك هدفًا ما، وعملت من أجل تحقيقه، فإنك تستخدم ساعة الزمن، أنت منتبه إلى أين تريد أن تذهب، ولكنك تُجلُّ وتقدّر.. وتعطي كل اهتمامك إلى الخطوة التي ستخطوها في هذه اللحظة، إذا أصبحت بعد ذلك مركّزا بإفراط على الهدف –ربما لسعيك وراء السعادة، الإنجاز..– لم تعد (الآن) مبجلة ستصبح مجرد حجر سلالم لخطواتك إلى المستقبل، من دون أي قيمة جوهرية حقيقية، عندها ستتحول ساعة الزمن إلى الزمن النفسي.. لم تعد ترى أو تشم رائحة الزهور على جانب الطريق أيضا، ولا تنتبه إلى جمال ومعجزة الحياة حولك؛ عندما لا تكون حاضرا في "الآن")[2].

ثم يطرح تول أسئلة على كل فرد في عمق إشكالية الحضور فيقول: (هل تحاول الحصول على مكان آخر بديلاً عن المكان الذي أنت فيه؟ وهل معظم ما نعمله ما هو وسيلة للنهاية؟ وهل الإنجاز يحوم دائما حول كل زاوية؟ أو هو مخاض لمتعة قصيرة مثل.. الأكل والشرب، أو الإثارة والاهتياج؟... وهل تؤمن أنك إذا أحرزتَ أشياء أكثر ستكون منجزا أكثر، وبحالة جيدة جدا، أو كاملا نفسيا؟ هل تنتظر رجلاً ما أو امرأةً ما أن يعطيا معنى لحياتك؟)[3].

(معظم الناس يجدون أنه من الصعب الإيمان بأن تحرير حالة الوعي بالكامل من كل أنواع السلبية حالة ممكنة، ومع ذلك فهذه هي حالة للتحرر التي تشير إليها التعاليم الروحية كافة، إنها وعد للخلاص، ليس في المستقبل الواهم بل هنا بالضبط والآن.

---

(1)المرجع السابق، ص 50-51.

(2)إيكهارت تول:قوة الآن، ص 51-52.

(3)المرجع السابق، ص 53.

...لا يمكن أن تكون حرًّا في المستقبل، الحضور هو المفتاح للحرية، ولذلك أن تكون حرًّا فقط الآن)[1].

فا لـمخرج من قبضة الزمن النفسي المسيطر على تفكير الإنسان، كما يرى تول وينصح قارئه، بأن يعطي جل اهتمامه لكل ما في الآن.. في اللحظة الحاضرة، وسيتضمن ذلك أيضا قبوله الكامل (لما هو كائن)، إذ لا يستطيع أن يعطي جلَّ اهتمامهلشيء ما، وهو يقاومه ويرفضه في الوقت نفسه.

وحالما يكرِّم الإنسان ويبجل اللحظة الحاضرة، ستتلاشى عنه كل التعاسة ويتبدّد الصراع، وتبدأ الحياة تطفح بالبهجة والاطمئنان[2].

يقول د. واين داير عن مبدأ الحياة بالحضور: (إن الأنا هي ذات زائفة تؤمن وهي تكافح كي تملك وكي تحقق، وتبحث دوما عن المزيد، ومثلما لا تستطيع الأنا أن تعيش جنبا إلى جنب مع الوعي والتناغم، فهي لا تستطيع أن تعيش في الحاضر، فعندما تعيش في اللحظة الحالية يضحى من المستحيل أن تطلب أي شيء آخر، ناهيك عن فالحياة في الحاضر جوهرها القبول التام لما يوجد هنا، فعقلك لا يفكر في ما اعتاد أن يحدث، أو فيما يجب أن يحدث، أو ما تفتقر إليه، كما أنك لا تتذرع بأعذار، بدلاً من ذلك، يصبح لديك إدراك أعلى لذاتك الأسمى...

وعن طريق البقاء في الحاضر وفي حالة من الامتنان لكل ذلك ولماهيتك، فإنك الأنا وتلج داخل حالة لا يمكن فيها حتى الالتفات للأعذار، فما العذر الذي قد تحتاج عند حضورك بشكل كلي في الحاضر؟ لا شيء، وما ستكون فائدة الأنا –هذه الذات الزائفة– عندما تكون بصحبة الكون في اللحظة الحالية؟ [سوف لن] تهدر الوقت الحالي أفكار عن الذنب أو القلق؛ فتجربة الإدراك الأسمى هي جائزتك)[3].

فحقيقة عدم العيش في الآن تكمن في أنها تمثل إهدارا وتضييعا لنعمة عظمى من الله على خليفته في الأرض؛ وهي نعمة الحياة التي هي عبارة عن مجموعة من لحظات

---

(1)المرجع السابق، ص 54–55.

(2)إيكهارت تول: قوة الآن، ص 60–61.

(3) واين دبليو داير: أوقف الأعذار! (كيف تغير الأفكار الملازمة لك طوال حياتك؟)،مكتبة جرير، السعودية، إعادة طبع ط2: 2012م، ص 97–98.

وكل لحظة من لحظات الحضور هبة من الله تعالى؛ تحمل في طياتها أرزاقا لا يعلم ومقدارها إلا واهبها، ولا يستفيد من بركاتها إلا من عاش بالكامل فيها؛ متحرِّرا من أسرِ الماضي والمستقبل.

وإذا تتبعنا آيات القرآن وجدناها تخاطب في الإنسان حضوره ويقظته، وتحذره مرارا من الغفلة، وما الغفلة إلا شرود عن الحاضر وذهول عنه، بل تدعوه وتحفّزه ليس على مجرد الذكر؛ بل على الإكثار منه، وذكر الله لا يتم ولا تبرز ثمرته إلا بحضور القلب ومواطأة اللسان له.

إنّ قوةَ الآن تتمثل في أنها تحرر ملكات الفرد وطاقاته الداخلية، فبتوقفه عن التفكير واستسلامه لتجليات الحضور، يشعر بحيوية الكون وتدفق الحياة في كل ما يمتد إليه بصره، وأن كل شيء حوله يشاركه المملوكية والعبودية لرب العالمين.

الفصل الرابع
أهمّ النتائج لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن

المبحث الأول: نقض العهد والميثاق مع الخالق تعالى

من نتائج الإعراض عن العمل بالقرآن؛ وقوع النفس في حال من الذهول والغفلة والإهمال لعهودها ومواثيقها، مع خالقها وبالتبع مع كل من تربطهم بها معاملة ومعاشرة.

فقد ذكر الله في مواضع عدة من كتابه طبعا من طباع النفس البشرية المجبولة عليها -إلاّ أن يعصمها الإيمان- وهو نقض العهد والميثاق الذي أخذته على نفسها أمام بارئها تعالى، بأن توحده وتخلص العبودية له، ويذكر الفهم السائد لتلك النصوص بأن سياق حديثها موجَّه للكفار والمشركين حصرا، إلاّ أن المتدبر لها يجدها تخاطبه هو مباشرة بما يدركه من كوامن نفسه، واستعدادها المزدوج للفجور والتقوى.. الإيمان والكفر، مهما تكن ديانة القارئ المتأمل لخطاب ربه: مسلما موحدا أو هذا النقيض لذلك العهد التوحيد يعتبره القرآن وجها من أوجه الإعراض عنه وعن ربه تعالى... وهو بذلك يذكّرنا ويحذّرنا من الوقوع في تلك الصفة التي يحكيها على أقوام وأمم غابرة، لكنها صفة مكررة في كل زمان ولدى كل أمة من الأمم من ذلك مثلا قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: 83)

في سياق الحديث عن بني إسرائيل، تذكر سورة البقرة هذه القضية بالذات "أخذ الله ميثاقهم" في مواضع ثلاث أُخر وهي:

1- الموضع الأول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ(64)﴾ (البقرة: 63-64)

ذكر المفسرون في تفسير الميثاق وجوهًا، أحدها: ما أودعه الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته والدلائل الدالة على صدق أنبيائه ورسله، وهذا النوع من المواثيق أقوى المواثيق والعهود، لأنها لا تحتمل الخلف والنقض والتبديل بوجه البتة(1).

ويتضمن ذلك الميثاق شرطين:

أولا/ خذوا ما آتيناكم بقوة.

ثانيا/ واذكروا ما فيه.

قال تعالى: (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي تمسكوا به واعملوا بجدٍّ ونشاط، لا يلابس نفوسكم فيه ضعف ولا وهن ولا وهم، ثم قال: (واذكروا ما فيه)

أي المحافظة على العمل به؛ فإن العمل هو الذي يجعل العلم راسخا في النفس مستقرًا عندها.

وذلك أن العلم إنما يحضر في النفس مجملا لا يسلم من الغموض، فإذا برز للوجود بالعمل صار تفصيليًا جليًا، ثم ينقلب النظري منه –بالتكرار والمواظبة– بديهيًا ضروريًا، وبذلك يثبت فلا ينسى.

وأما النسيان فإنه حليف الكفر، وإنه ليصل بالإنسان إلى حدٍّ يساوي فيه من لم تسبق له معرفة بالشيء قط؛ لأنه لا أثر له في النفس ولا في الظاهر.

وقد اعتبر الشيخ محمد رشيد رضا الآية حجة على قراء القرآن، الذين ليس لهم منه إلا التغني بألفاظه، وأفئدتهم هواء لا أثر فيها، وأعمالهم لا تنطبق على ما جاء به القرآن(2).

أمرهم بالذكر الذي يثبت بالعمل، ووصله بذكر فائدته وهي إعدادها النفس لتقوى الله – عز وجل –، فقال: تعالى – فتكون بها نقية تقية، راضية مرضية(3).

ثم كانت النتيجة والمقابلة التي قابل بها بنو إسرائيل –وهم من تنزلت فيهم

(1) الرازي: مفاتيح الغيب (3/ 537)

(2) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (1/ 282-283)

(3) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (1/ 282-283)

الميثاق الذي كان بينهم وبين ربهم؛ كما يحكي عنهم القرآن:

(ثُمَّ تَ.وَلَّيْتُمْ مِّ..عْدِ ذَلِكَ)

أ ي.ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ وانصرفْتُم عن الطَّاعةِ من بَعْدِ أَخْذِ الْمِيثاقِ ومُشَاهَدَةِ الْآيَاتِ الَّتِي تَ.ؤَثِّرُ في الْقُلُوبِ لَهَا النُّفُوسُ.(1)

2- الموضع الثاني: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلاَ أَنفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(البقرة: 84-85).

يقول الشيخ محمد أبو زهرة(2) في معنى الآيات:

(إن اليهود قد أصابهم ما أصاب الأمم من تفكك في وحدتهم، فكانوا يتسافكون دماءهم، ويمالئ بعضهم اعاتأخرى؛ بينهم وبينهم حرب، فينضم فريق منهم إلى بعض المتقاتلين، وآخرون إلى غيرهم ففي قتال بعضهم بعضا، في ظل العدو بين المتقاتلين، وقد أخذ الله تعالى عليهم العهد بمنع سفك دمائهم، وأخذ عليهم العهد بألا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، ومع أن ذلك العهد: حفظ جميعهم، وحقن دمائهم، ويفرض التعاون بينهم، خالفوه.

ومنع سبحانه وتعالى أن يخرج بعضهم من دياره، وعبّر عن ذلك المنع بقوله تعالى: (وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ)، فالخبر هنا في معنى النهي عن ذلك، والتعبير عن إخراج البعض بأنه إخراج لأنفسهم؛ بيان الاجتماع على أن يكونوا أمة واحدة متآزرة بحيث تكون إصابة عضو منها إصابة لجميعها، فإخراج بعضهم لبعض إخراج لكلهم؛ إذ يفرّق جمعهم، ولأنه يطمع فيهم أعداؤهم، فيخرجهم جميعا، فإخراج بعضهم يسهل إخراج كلهم)(3).

ويقول سيد قطب تعقيبا على الآيات؛ في بيان الدّافع من وراء نقض العهد مع الخالق عز وجل:

---

(1)المصدر السابق نفسه.

(2) أبوزهرة: (1316 - 1394 هـ = 1898 - 1974 م) محمد بن أحمد أبو زهرة: من كبار علماء الشريعة الإسلامية في عصره. ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر، وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (1933)، وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة (1935)، من كتبه: (تاريخ الجدل في الإسلام) و(أصول الفقه) و(الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية).. ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 25).

(3) أبو زهرة، محمد: زهرة التفاسير (1/ 295).

(وهذاهونقضالميثاقالذييتهددهمعليهبالخزيفيالحياةالدنيا،والعذابالأشدفيالآخرة.

معالتهديدالخفيبأناللهليسغافلاًعنهولامتجاوزاً:

«فَماجَزاءُمَنْ يَفْعَلُذلِكَمِنْكُمْإِلَّاخِزْيٌفِيالْحَياةِالدُّنْيا،وَ يَوْمَالْقِيامَةِ يُرَدُّونَإِلىأَشَدِّالْعَذابِ. وَمَااللَّهُبِغافِلٍعَمَّا تَعْمَلُونَ».

ثميلتفتإلىالمسلمينوإلىالبشريةجميعاً،وهويعلنحقيقتهموحقيقةعملهم:

«أُولئِكَالَّذِينَاشْ تَرَوُاالْحَياةَالدُّنْيابِالْآخِرَةِ.
فَلايُخَفَّفُعَنْهُمُالْعَذابُ وَلاهُمْ يُنْصَرُونَ».

وكذبواإذنفيدعواهم"أنلنتمسَّهمالنارإلاأياماًمعدودةً"فهؤلاءهمهناك:

«فَلا وقصةبنيإسرائيلهنافيهذهالمناسبة:

هي أنالدّافعلهمعلىمخالفةميثاقهممعالله،هواستمساكهمبميثاقهممعالمشركينفيحلفيقتضيمخالفةدينهموكتابهم.

فإنانقسامهمفريقين،وانضمامهمإلىحلفين،هيهيخطةإسرائيلالتقليدية،فيإمساكالعصامنالوسطوالانضمامإلىالمعسكراتالمتطاحنةكلهامنبابالاحتياط،لتحقيقبعضالمغانمعلىأيةحال،وضمان[مصالح]اليهودفيالنهايةسواءانتصرهذاالمعسكرأمذاك!

وهيخطةمنلايثقبالله،ولايستمسكبميثاقه،ويجعلاعتمادهكلهعلىالدهاء،ومواثيقالأرض،والاستنصاربالعبادلابربالعباد.

والإيمانيحرمعلىأهلهالدخولفيحلفيناقضميثاقهممعربهم،ويناقضتكاليفشريعتهم،باسمصلحةأوالوقاية،فلامصلحةإلافياتباعدينهم،ولاوقايةإلابحفظعهدهممعربهم)[1].

3- الموضع الثالث: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 93).

يقول الإمام ابن عطية الأندلسي[2] في تفسير الآية:

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (1/ 88)

(2) ابنعطيّة (481 - 542 هـ = 1088 - 1148 م) عبدالحقبنغالبن عبد الرحمن بن عطية، ابومحمد: مفسرفقيه،أندلسي،منأهلغرناطة. عارفبالأحكاموالحديث،ولهشعر. من مؤلفاته: (المحررالوجيزفيتفسيرالكتابالعزيز). ينظر: الزركلي:الأعلام(3/ 282).

(واسمعوامعناههنا: وأطيعوا،وليسمعناهالأمربإدراكالقولفقط.

وقالتطائفةمنالمفسرين: إنهمقالواسمعناوعصينا،

ونطقوابهذهالألفاظمبالغةفيالتعنتوالمعصية. وقالتطائفة:

ذلكمجازولمينطقوا بـ: سمعناوعصينا،ولكنفعلهماقتضاه)(1).

ويقول سيد قطب في معناها:

(إنهمقالوا: سمعنا. ولميقولواعصينا.

ففيمإذنحكايةهذاالقولعنهمهنا؟إنهالتصويرالحيللواقعالصامتكأنهواقعناطق،لقدقالوابأفواه

هم: سمعنا. وقالوابأعمالهم: عصينا. والواقعالعمليهوالذييمنحالقولالشفويدلالته.

وهذهالدلالةأقوىمنالقولالمنطوق..

وهذاالتصويرالحيللواقعيوميءإلىمبدأكليمنمبادئالإسلام: إنهلاقيمةلقوللاعمل.

إنالعملهوالمعتبر.

أوهيالصورةالكلاميةالمنطوقةتمثلحركةالواقعة، «وأشربوافيقلوبهمالعجل» فهيصورةفريدة.

لقدأشربوا،أشربوابفعلفاعلسواهم. أشربواماذا؟أشربواالعجل!

وأينأشربوه؟أشربوهفيقلوبهم!

ويظلالخياليتمثلتلكالمحاولةالعنيفةالغليظة،وتلكالصورةالساخرةالهازئة:

صورةالعجليدخلفيالقلوبإدخالاً،ويحشرفيهاحشراً... وهو[رمز]

لحبهمالشديدلعبادةالعجل،حتىلكأنهمأُشربوهإشراباًفيالقلوب!)(2).

فما حدث مع بني إسرائيل في السابق يحدث معنا اليوم نحن المسلمين، أفراد ومجتمعات، فلسنا بمنأى عن ذلك الوجه من أوجه الإعراض التي يحذرنا منها ربنا الرحيم بنا، ولسنا بدْعا من الأمم في العاقبة والجزاء..

وفي موضوع نقض العهد مع الله أيضا يحذرنا تعالى عن الاتصاف بهذا الوصف يتحدث عن المنافقين إذ يقول عزّ من قائل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ(75) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ

(1)ابن عطية الأندلسي،أبو محمد عبد الحق بن غالب:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1422 هـ، (1/ 180)

(2)سيد قطب: في ظلال القرآن (1/ 91).

وَّهم مُّعرِضُونَ(76)﴾ (التوبة: 75-76).

يقول سيد قطب مفسرا للآية: (والنفسالبشريةضعيفةشحيحة،إلامنعصمالله،ولاتطهرمنهذاالشُّحإلاأنتعمربالإيمان، ترتفععلىضروراتالأرض،وتنطلقمنقيودالحرصعلىالنفعالقريب،لأنهاتؤمِّلفيخلْفأعظم،وتؤمِّل لفيرضوانمناللهأكبر.

والقلبالمؤمنيطمئنبالإيمان،فلايخشىالفقربسببالإنفاق،لأنهيثقبأنماعندالناسينفَد،وماعندالله باق.

فأماحينيقفرالقلبمنالإيمانالصحيح،فالشُّحالفطرييهيجفينفسهكلَّماد'عيإلىالنفقهأوصدقة ،والخوفمنالفقريتراءىلهفيقعدبهعنالبذل،ثميبقىسجينشحِّهوخوفه،بلاأمنولاقرار)[1].

ويصرح القرآن في سورة الأنفال عن ذلك الحال والمآل الذي يؤول إليه من أعرض عن ربه إعراض كفر ونفاق، إذ لا يحفظ لنفسه عهدا ولا ميثاقا، فيقول تعالى عن أمثاله: ﴿شَرَّ الدَّوَآبِّ عندَ الله الذين كَفَرُوا فَهُم لاَ يومنونَ(55) الذين عَاهَدتَّ ثُمَّ ينقُضُونَ عهْدَهُم في كُلِّ مَرَّةَ وهُم لاَ يَتَّقُونَ(56)﴾[الأنفال: 55-56].

فهمشرُّالدوابِّ؛حيثسمعوا آياتالحقِّوأدركوهافلميؤمنوابها،أي: لمينتفعوابماعقلواومماوقعفيمسامعهم؛وممادرسوا،كمنلايملك سمعاولالسانا ولا بصرا،نفعنهمكل ذلك؛ لمالمينتفعوابماعقلوا[2]. حين قال عنهم قبل ذلك: ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الذين لاَ يَعْقلُونَ﴾ (الأنفال: 22).

وهذَهَ الآيَة كما تعنيَ الذين عطّلوا مداركهم عن حقائق الإيمان، تُصرفأيضاًإلىأهلالنفاقمن باب أولى؛لأنهمهمالمعروفونبنقضالعهدمرةبعدمرة[3].

وحكْم هذه الآية لا يتناول من كان متحريا متقيا، ثم صار إلى نقض عهده مع الله تحت تأثير لحظة ضعف، أو غلبة نزوة أو هوى من أهواء النفس، ثم سارع إلى الإنابة والرجوع إلى مولاه، لكنها تتحدّث

(1)سيد قطب: في ظلال القرآن(3 / 1679).

(2)الماتريدي:تأويلاتأهلالسنة (5/ 242)

(3)المصدر السابق (5/ 243)

عنالذين(صارنقضالعهدلهمسجيةً،فلميذرواموناستفراغالوسعفيجهلهمبقية)[1].

وإنّمالكبائرالتيلاغفرانمعهاأنينقضالعبدعهدا،أويتركعقداالتزمهبقلبهمعالله وهو مُصِرٌّ،فأولئكالذينرفعالله عنهمظلّالعناية والعصمة[2].

يقول الإمام الزمخشري[3]، وهو يتحدّث عما يؤول إليه كل من كفر بالحقّ، وهو مصرٌّ على كفره؛ بمناسبة تفسيره لآية الأنفال السابقة الذّكر: (... شرالناسالكفّار،وشرُّالكفارالمصرُّونمنهم،وشرُّالمصرِّينالناكثونللعهودوهملا يتقُونَ نعاقبةالغدر،ولايبالونمافيهمنالعارِوالنار)[4].

وقد بين الإمام الرازي علّة اعتبار من لا يتّقي نقض عهوده، شرَّ الدّوابِّ، فقال: ("وهملا يتقُونَ"معناهأنّعادةمنيرجعإلىعقلوحزمأنيتّقينقضالعهد،حتّىيسكنالناسإلىكلامه، فيثقوابكلامه، فبيّنتعالىأنّمنجمعبينالكفرالدّائم،وبيننقضالعهدعلىهذاالو

المَبحث الثاني: نسيان الله في السراء واليأس من رحمته في الضراء

من نتائج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم التي تحدّث عنها القرآن طبع ذميم ذكره في مواضع عدّة بصيغٍ شتّى، يعبّر بوضوح عن حالة الإعراض والنفور وعدم الاكتراث بمنهج الله.. وهوَ نسيان فضل الله حينما تكون النفس في سراء ورخاء ويسر من أمرها؛ بل وتغتر وتعجب بهذا اليسر، وعند إصابتها بشيء من الشّدة والضّراءً تنقلبُ إلى اليأس والقنوط من رحمة الله و فَرَجه، وكأنْ لا وجود لله –سبحانه– ولا حكمة فيما قضى وقدّر، وفيما خلق وأبدع، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرا.

يقول تعالى في هذه النتيجة التي يصير إليها الإنسان حين يعرض عن ربه: ﴿وَلَئِن

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات (1/ 634)

(2) القشيري:لطائفالإشارات (1/ 634).

(3) الزّمَخْشَري (467 – 538 هـ = 1075 – 1144 م) محمودبنعمرالخوارزميالزمخشري،جارالله،أبوالقاسم: منأئمةالعلمبالدينوالتفسيرواللغةوالآداب. ولدفيزمخشر (منقريخوارزم) وسافرإلىمكةفجاوربهازمنافلُقّببجارالله. وتنقلفيالبلدان،ثمعادإلىالجرجانية (منقريخوارزم) فتوفيفيها.أشهركتبه (الكشّاف) فيتفسيرالقرآنو(أساسالبلاغة) ينظر: الزركلي:الأعلام(7/ 178).

(4)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (2/ 230).

(5)الرازي:مفاتيحالغيب (15/ 497).

الانسانَ منَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَـزَعْنَاها منه إنَّه لَيَئُوس كَفُورٌ ولَئن اذَقْـناه نَـعْمآءَ بَـعْد ضَرَّآءَ لَيَـقُولَنَّ ذَهب السَّـيِّـئات عَنِّيَ إنَّه لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: 9-10].

فالإنسانهاهنااسمالجنس،والمعنىأنهذاالخلقفيسجيةالناس كل الناس على اختلافهم،ثماستثنىمنهمالذينردَّتهمالشرائعوالإيمانإلىالصبروالعملالصالح.

ومقتضى ذلك الخُلُق؛أنهيأسويحرجويتسخط،ولونظرإلىالنعمةاللهالباقيةعليهفيعقلهوحواسهوغيرذلك،ولميكفرها لميكنذلك الخُلُق منه أي اليأس وكفر نعمة المولى.

و«النعماء»تشملالصحةوالمالونحوذلكو «الضراء»منالضروهوأيضاشامل.

وقديكثراستعمالالضراءفيمايخصالبدن.

وجملة"ذهبالسَّيِّئاتُ عَنِّي"تقتضيبطراوجهلاًأنذلكبإنعاممنالله،واعتقادأنذلكاتفاقٌ،أوبسببمنااعتقاداتالفاسدة،والسَّيِّئاتهاهنا: كلمايسوءفيالدنيا(1).

وحاصلوصفالإنسانبأنَّه"يئوسكفور"أنه حين يعرض عن ربه،يكونزوالالنِّعمةمنه سببا ليأسه،وذلكلاعتقادهأنَّالسَّببفيحصولتلكالنِّعمةسببااتِّفاقيٌّ،ثمَّإنَّهيستبعدحدوثذلكالاتِّفاقمرَّةًأُخرى،فلاجرميستبعدعودتلكالنِّعمةفيقعفياليأس. وأمَّاالمؤمن حقًّاالذييعتقدأنَّتلكالنِّعمةإنَّماحصلتمناللهتعالىوفضلهوإحسانهوطولهفإنَّهلايحصللهاليأسوفي... عن ربه، فإنَّهيكونكفورا،لأنَّهلمَّااعتقدأنَّحصولهاإنَّماكانعلىسبيلالاتِّفاق،أوبسببأنَّالإنسانحصَّلهبجهده،فحينئذلايشتغلبشكراللهتعالىعلىتلكالنِّعمة. فالحاصلأنَّالإنسانَ الكافر–المعرضَ عَن سَبيلِ ربه– يكونعندزوالالنعمةيؤوسا،وعندحصولهاكفورا(2).

يقول الإمام ابن عاشور في تفسير آية هود السالفة الذكر: (بيَّنتهذهالآيةأنَّأهلالضَّلالةراسخونفيذلكلأنَّهملايفكرونفيغيراللَّذاتالدُّنيويَّةفتسبذلكدونرجاءتغيُّرالْحال،ولايتفكرونفيأسبابالنَّعيمواليؤسوتصرُّفاتخالقالنَّاسومقدِّ

(1) ابن عطية:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (3/ 153).

(2)الرازي:مفاتيحالغيب (17/ 322-323).

ا يـتّعظون بـ تـقلبات أحوال الأمم، فشأن أهل الضلالة أنهم إن حلت بهم الضرّاء بعد النعمة ملكهم اليأس
والنعمة فجحدوها وكفروا منعمها، فإن تأخير العذاب رحمة، وإن تيان العذاب نزع لتلك الرحمة)[1]

وقال تعالى في هذا الشأن أيضاً: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ (الإسراء 67)

في هذه الآية يبين المولى تعالى طبعا جبل عليه الإنسان، وهو الضروع إلى الله واللجوء إلى التدين الفطري حين تشتد عليه الخطوب والمحن، ومن الأمثلة الواقعية التي يلحظها الإنسان في كل حين، هيجان البحر وتلاطم أمواجه على من يركبه في عاصف، لا يجد حينها الناس مغيثا يغيثهم في الحقيقة؛ إلا ربهم وبارئهم،(فلما دعوتموه وأغاثكم -كما يخاطبنا القرآن بأسلوب الجمع- وأجاب دعاءكم ونجّاكم منه ولما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد البراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهية؛ كفرا منكم بنعمته)[2].. إلاّ من قوي إيمانه، وعصمه الصالح، وردّته تزكيته لنفسه عن سبيل المعرضين.

واستعمال القرآن أسلوب المبالغة في وصف الإنسان بـ "الكفور" لبيان كثرة كفران الإنسان؛ أي: تكرر إعراضه عن الشكر في موضع الشكر ضلالا أو سهوا أو غفلة، لإسناده النعم إلى أسبابها المقارنة دون منعمها، ولفرضهم منعمين وهميين لا حظ لهم في الإنعام.

وذكر فعل (كان) إشارة إلى أن الكفران مستقر في جبلة هذا الإنسان، لأن الإنسان قلما يشعر بما وراء عالم الحس، فإن الحواس تشغله -بمدركاتها- عن التفكر فيما عدا ذلك من المعاني المستقرة في الحافظة، والمستنبطة بالفكر.

ولما كان الشكر على النعمة تقوى فاعلته تذكرها، كان تشاغلهم عن تذكر النعم ما لما قعلى بها، ولأن مدركات الحواس بها الملائم للنفس هو الغالب، ومنها المنافر لها.

فالإنسان إذا أدرك الملائم لم يشعر بقدره عند هلكثرة تكرره حتى صار عادة، فذهل عما فيه، فإذا أدرك المنافر استذكر فقدان الملائم فضجّ وضجر[3]. وهو معنى قوله تعالى:

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير (12/ 12).

(2) الطبري: جامع البيان (17/ 497).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير (15/ 160-161).

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: 51].

ويقول المولى تعالى أيضا في نسيان الإنسان لفضل ربه حال إعراضه: ﴿وإذآ أنعمنا عَلَى الانسان أَعْرَض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشّرّ كان يئوسا﴾ (الإسراء: 83)

أي:

إذا نزعنا عنهم موجبات الخوف، وأرخينا لهم حبل الإمهال، وهيأنا لهم أسباب الرفاهية اعتراهم النسيان، واستولت عليهم دواعي العصيان، فأعرضوا عن الشكر، وتباعد عن الذّكر والعمل الصالح.

ومن أوجه إعراضه في هذا الموضوع، رؤية الفضل منه لا من الحق تعالى، وتوهمه أنّما به من النعم فباستحقاق طاعة أخلصها، أو شدة قاساها.. وهذا في التحقيق شرك[1].

يقول الإمام الماتريدي[2] في تفسير الآية: (إذا وسّع عليه الرزق والعيش أعرض عن الدعاء له وتباعد بجانبه.

وقوله – عزّوجلّ –: (وإذا مسّه الشّرّ كان يئوسا)، أي: يائسا من الخير ألا يعود إليه أصلا، وهكذا كانت عادتهم أنهم كانوا يخلصون الدعاء لله إذا مسهم سوء ابتهم شدة، ويكفرون به إذا تجلت ذلك عنهم وانكشف)[3].

ويقول تعالى في هذا الشأن أيضا:

﴿لا يسأم الانسان من دعآء الْخير وإن مّسّه الشّرّ فيئوس قنوط (49) ولئن أذقناه رحمة مّنّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي ومآ أظنّ السّاعة قآئمة ولئن رّجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للْحسنى فلننبّئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم مّن عذاب غليظ (50) وإذآ أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض (51)﴾ (فصلت: 49-51).

بمناسبة تفسير هذه الآيات من سورة فصلت؛ يبين الإمام

---

(1) القشيري: لطائف الإشارات (2/ 366).

(2) الماتُريدي (ت 333 هـ-944 م) محمد بن محمد، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند)، من كتبه (التوحيد) و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، و(تأويلات القرآن) و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر؛ المنسوب للإمام أبي حنيفة). ينظر: الزركلي: الأعلام (7/ 19).

(3) الماتريدي: تأويلات أهل السنة (7/ 103).

الماتريدي أن الكفرة كانوا فرقًا، ومذاهب شتى مختلفة –وفي الحقيقة هذا التصنيف يعم كل الناس على اختلاف أديانهم–:

فرقة كانت تطمئن في حال الرخاء والسعة، وتيأس وتنقلب في حال البلاء والشدة؛ كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الحج: 11).

وفرقة كانت تفزع إلى الله تعالى، وتقبل إليه عند إصابة الشدة والبلاء، وتعرض عنه عند كشف ذلك عنهم، وتوسيع النعم عليهم؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(العنكبوت: 65)، ونحوه كثير في القرآن.

وفرقة كانت في الحالين جميعا: على الإعراض عن

ربهم، وترك الإقبال إليه والطاعة له، لا يفزعون ولا يقبلون؛ لا في حال الرخاء والسعة، ولا في حال البلاء الشدة؛ كقوله: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من أنفسهم، وإذا أصابتهم سيئة وشدة تطيّروا بالرسل عليهم السلام؛ كقوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾وقوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾.

وإذا كان الكفرة [وفي الحقيقة كثير من الناس] على هذه المذاهب المختلفة، وكانوا أجناسا شتى، فيكون كل آية منها في جنس غير الجنس الآخر، وفي أهل مذهب غير أهل مذهب آخر، فأما المؤمنون

حقًّا؛ فيكونون في الحالين جميعًا على التوحيد والإقبال إلى الله تعالى: في حال الرخاء والسعة، وفي حال البلاء والشدة، وهو على ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة؛ حيث قال: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الآية، وأمثال ذلك من الآيات، وصفهم –جل وعلا– بالثبات والقرار على دينهم في الأحوال كلها(1).

ففي الآيات 49-51 من سورة فصلت، يبين المولى تعالى حال الإنسان حين يعرض عن

(1) الماتريدي: تأويلات أهل السنة (9/ 96).

ويعيش شاردا غافلا عن هداياته، فهو أبدا لا يسلممنإرادةالنفعوالسلامة لنفسه،وإنمسّهالشّرّفيئوسلايرجوزواله،لعدممعرفتهبربه تعالى،وانسدادالطريقعلقلبهفيالرجوعإليه.

وهو بعدكشفالبلاءعنه،ينسب لذاته ما هو فيه من خير ورحمة؛ استحقاقًاأواتّفاقًا،وماعتقدأنذلكمن اللهفضلًاوإيجاب، ويقول بلسان الحال رُجعتُ إلى ربّي لكانليمنهلطفوخير"(1).

ثم هولايميزبينالبلاءوالعطاء،فكثيرممايتوهمهعطاء،هومكرواستدراج.. وهويستديمه. وكثيرمماهوفضلوعطاء،يظنّهمنالبلاءفيعافهويكرهه.

وإذاأنعم اللهعليهأُعجببنفسه.. لايشكرربه،ولا يذكرفضله،ويتباعدعنبساططاعته.والمستغنيعن اللهيهيمعلىوجهه.وإذامسهالشرفذودعاءكثير،وتضرّععريض،وابتهالشديد،واستكشافدائم لما هو فيه من ضر، ثمإذاكشفعنه ربهذلك؛عاد إلىالجحودهوعتوه(2).

يقول الإمام الزمخشري في قوله تعالى:

﴿وإذاأنعمناعلىالإنسانأعرضونأىبجانبهوإذامسهالشّرّفذودعاءعريض﴾(فصلت: 51)

(هذاأيضاضربآخرمنطغيانالإنسان، إذاأصابهاللهبنعمةأبطرتهالنعمة، وكأنهلميلقبؤساقط فنسيالمنعم،وأعرضعنشكره، ونأىبجانبه،أيذهببنفسهوتكبروتعاظم.وإنمسّهالضروالفقر: أقبلعلىدوامالدعاء،وأخذفيالابتهالوالتضرع)(3).

وفي نتائج الإعراض عن القرآن يقول المولى تعالى أيضا في محكم كتابه:

﴿إنّ الانسانَ خُلِقَ هلُوعًا(19) اذا مسَّهُ الشّرُّ جزُوعًا(20) وإذا مسَّهُ الْخيْر منوعًا (21) الاّ الْمُصلّين(22) الذينَ هم علَى صلاتهم دآئمونَ(23)﴾ (المعارج: 19-23)

للرُّواة أقوال مختلفة في تفسير معنى لفظة "هلُوعا"، إلاّ أنّها تتكامل ولا تتنافر، فهي تدور حول ما يؤول إليه الإنسان حين يعرض عن ذكر ربه، والامتثال لأمره.

فقد روىالسُّدِّيُّ عنأبيصالحعنابنعبّاسقَالَ: شَحيحًا. وقَالَعكْرِمَةُ: ضَجورا. وقَالالضّحّاكوالْحسن:

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات(3/ 338-339).

(2)المصدر السابق نفسه.

(3)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (4/ 205).

بَخيلًا. وقَالَقتَادَةُ: جزوعًا. وَقَالَمُقَاتِلٌ: ضَيِّقَالْقَلْب. والْهَلَع: شدَّةُالْحرص، وقلَّةُالصَّبر.

وقَالَعطيَّةُعَنابنعباس: تفسيرهمابعد؛ وهو قَوْلُه: ﴿إذامسَّهُالشَّرُّجزوعاوإذامسَّهُالْخيرُمنوعًا﴾، يعني إذاأَصابَهُالْفَقْرلَميصبر، وإذاأصابهالْمالَلَ (1).

ولَيسالْمرادَ بالآيةأَنَّ الإنسانمَخْلُوقٌعلىهذهالهيئة لا يستطيع منها فكاكًا، ولا من تحررًا، والدَّليلعليهأَنَّاللَّهتعالىذَمَّهعليه، واللَّهتعالىلايذُمُّفعْلَه، بل إنَّهتعالىاستثنىالْمؤمنينالَّذينجاهدواأنفسهمفيتركهذهالْخصلَةالْمذْمومة، ولوكانتْ ضروريَّةحاصلَةبخلْقاللَّهتعالىلَماقدرواعلىتركها (2).

فكأنه تعالى ابتلى الإنسان بهذه الجبلّة المركوزة في طينته، وفي الوقت ذاته مكّنه من القدرة على تغييرها والتحرر منها بعزمه وإرادته، وبجهده وصبره، حتى يستحق ثمرة كسبه، ويرتقي بإيمانه وإنسانيته مراقي المتقين.

فالْهلعطَبيعةكَامنةٌفي بني الإنسانمعخلْقه، تظْهرعندابتداء تمييزهوشعورهبالنافعوالضّار من الأشياء والأمور؛ فهومنطباعهالْمخْلُوقةكغيرهامنطباعهالْبشريَّة.

وقَدْتكُونللفرد الْحالَةوضدُّهاباختلافالأَزْمانوالدَّواعي، وبذلكيستقيمتعلُّقالنَّهيعنحالمعيَّنةمنضدِّها في الإنسان، لأنَّمن أمانة التكليفأنيروضنفسهعلىمعالجةالنَّقائصوإزالتهاعنه، وإذْذكراللَّهالْهلعهناعقبمذمَّةالْجمع في قوله تعالى: ﴿... من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾ [المعارج: 17-18]، فقدأشعربأنَّالإنسانيستطيعأنيكفَّعنهلعهإذاتدبَّرفيالْعواقب؛ فيكونفيقوله: "خلقهلوعًا" كنايةٌبالْخلْقعنتمكُّنذلكالْخلُقمنه، وغلبتهعلىنفسه (3).

يقول الإمام ابن عَاشور في بيان الحكمة الربانية من خلق الإنسان بذلك الطبع: (والْمعنى: أنَّمنمقْتضىتركيبالإدراكالْبشريِّأنيحدثفيهالْهلع،

---

(1)البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى: 1420 هـ، (5/ 153).

(2)الرازي:مفاتيحالغيب (30/ 644).

(3)ابن عاشور: التحرير والتنوير (29/ 168)

بـيانذلكأنّ. ـتـ ـركيبالمداركالبشريّةركّزبحكمةدقيقةتجعلهاقادرةعلىالفعلوالكفّ،وساعيةإ ائمومعرضةعنالمنافر.

وجعلتفيها ـقـ وـمتضادّةالآثار يـتصرّفالعقلوالإدراكفياستخدامهاكمايجبفيحدودالمقدرةالبد.. كلُّذلكليصلححالالإنسانلإعمارهذاالعالمالأرضي؛الذيجعلهاللهخليفةفيهليصلحهإصلاحايشمل يشملمنمعهفيهذاالعالم؛إعدادالصلاحيتهلإعمارعالمالخلود.

ثمّجعللهإدراكايمـ يّـزالفرـق. بـ ـيـنآثارالموجوداتوآثاراً فـعالها بـ ـيـنالنّافعمـنـهاوالضّر.

وخلقفيهإلهامايحبّالنّافعويكرهالضّارّ،غـ يـرأنّاختلاطالوصفينفي ـبـعضالأ فـعالو بـعضالدّواحالالنّافعمـنـهاولايريهالحالالضّارّ، فـيبتغيمايظـنّـهنافعاغـ يـرشاعربمافيمطاويهمنأضرارفيجل،أوشاعرابذلكولكنّشغفهبحصولالـنّـفعالعاجل يـرجّحعندهـ تـناولهالآنلعدمصبرهعلىرامعاذيرأوحيلا يـقتحمبهامافيهمنضرّآجل)(1).

ويبين ابن عاشور العلاقة بين هذا الطبع "الهلع"، وتأثير تفاعل القوى الباطنية للإنسان مع ملكاته الإدراكية، فيقول:

(وإنّاختلاطالقوىالباطنيّةمعحركاتالـتّـفكيرقدتسـ تـرعـ منـهضرّالضّارّو نـفعالنّافع،فلا يـ ـهغيسلوكهأوتجنّبه،وقدلاتسـ ـترعـ ـنهذلكولكـ ـنّهاتحدثفيهإيثارالاتّباعالضّارلملاءمةفيهولعندعارض،إعراضاعنا تـّباعالنّافعلكلفةفيفعلهأومنافـ ـرةلوجدانه..فحدـ ثـتمـ ـنهذاالـ تـّـ رالبديع؛صلاحيةللوفاءبالتّدبيرالصّالحالمنوطبعهدةالإنسان،وصلاحيّةلإفسادذلكأو بـعـ. رتـ

غـ يـرأنّاللهجعللإنسانعقلاوحكمةإ نـهوأحسناستعمالهمانخلتصفاته،و ثـقّفتمـ ـقناته،ولميخلهمندعاةإلىالخيريصفو نـلهكـ يـفيرضجامح نـفسه،وكـ يـفـ يـو قّـقـ بـ ـيـنإدراكهوحسّه،وهؤلاءهمالرّسلوالأنبياءوالحكماء.

فالمقصودمن [ذكر ما جبل عليه المرء من الهلع]: إلقاءتبعةذلكعليهلأ نّـهفرّطفيإراضة نـفسهعلىمافيهامنجبلةالخير،وأرخىلهاالعنانإلىغايةالشّر، فـ ـرّطفينصائحالشّرائعوالحكماء)(2).

(1)ابن عاشور: التحرير والتنوير (29/ 168-169)

(2) المصدر السابق نفسه.

وبمناسبة تفسير قوله تعالى: ﴿انَّ الانسَانَ لرَ بِّـه لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: 6)، يقول الإمام الماتريدي في ما طُبع عليه الإنسان مَن جَحود الـنـعَم وكفر المنعم:

(أي:

الإنسانلـيعمربهلكفور لايشكرها،وهوأنالإنسانيذكرمصائبهومايصيبهمنالشدةفيعمرهأبدا،وين سجميعماأنعماللهعليه،وإنلايفارقهطرفةعين؛ولذلكقالالحسن: الكنود: هوالذييعدُّالمصائب،وينسالنِّعم.

وقيل:

"الكنود"القتورالبخيلالشحيحفيالإنفاق،ويجبأنيكونوصفكلإنسانماذكر،لكنالمؤمنيتكلفشكرنعما لله – تعالى – ويجتهدفيذلك،ويصبرعلىالمصائب.

وهوكقوله – تعالى –: (إِنَّالإِنْسانَخُلِقَهَلُوعًا)،و(خَلقَ عَجولًا)، هوكلإنسان،ثماستثنىالمصلينمنهموهمالمؤمنون؛أي: كذلكخَلقوطُبعكلإنسان،لكنالمؤمنيتكلّفإخراجنفسهمنذلكالطبعالذيأُنشئعليهوطُبع؛إلىغيرهام نالطبائع،كالبهائموالسباعالتيطبعهاالنفورمنالناسبالاستيحاشعنهم،ثمتصيربالرياضةماتستقر هم،وتجيبهمعنددعوتهم)[1].

المبحث الثالث: ارتفاع ظاهرة القلق والاكتئاب النفسي

من نتائج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم على المستوى الفردي خاصةً، ارتفاع ظاهرة القلق والاكتئاب النفسي بصورة بارزة في العصر الحديث، وغيرهما من الأمراض النفسية التي أصابت الإنسان نتيجة بعده وإعراضه عن كتاب ربه، وسنتناول أبرز هذه الأمراض في ما يلي:

أولا: الخوف المرضي

يمكن تفسير الخوف المرضي لدى الفرد من خلال المفاهيم السلبية الخاطئة عن الذات وعن الآخرين، ويظهر ذلك في وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين اضطراب مفهوم الذات والمخاوف بكل أنواعها.

(1)الماتريدي:تأويلاتأهلالسنة (10/ 602)

تتحدد الذات من خلال المواقف والخبرات التي يمر بها الفرد وأسلوب الحياة التي يعيشها، وأنماط التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها، وأساليب التربية خلال العشر الأولى من عمره، ثم تنضج الذات وتزداد خبرة –سلبا وإيجابا– بمرور الوقت والتفاعل الحياة ومع الآخرين(1).

والخوف هو عاطفة انفعالية على صلة بالعقل والإدراك وبالجسد، فالإنسان لا ينتابه الخوف إلاّ إذا أدرك وجود خطر يتهدّد حياته وبقاءه، وقد يستثار الخوف على وجه العموم بأي موقف يهدّد تكامل الإنسان ونضج وعيه(2).

وتؤكد الدراسات النفسية أن الشخص يكون سويًّا متوافقًا، إذا كانت ذاته المثالية أو المزيَّفة قريبة من ذاته الواقعية الحقيقية، أي كلما كانت أهدافه وطموحاته في حدود إمكاناته وقدراته التي يملكها.

وكلما كبر الفرق بين الذّاتين، وبعدت الأهداف عن الواقع، كلما أصبح الفرد عرضةً للإصابة بالاضطرابات الانفعالية، وأهمها "الخوف المرضي" الذي ينبع من داخل الفرد، وهو خوفٌ على الذّات. وفي هذه الحال قد يسقط المرء خوفه على الآخرين، ظنًّا منه أنهم يعرقلون مسيرته لتحقيق ما يخطط له.

وقد يوجد لنفسه مشكلات أسرية أو اجتماعية أو مهنية عندما يعلّق فشله على الآخرين، ويغفل هو عن العامل الحقيقي وراء فشله، وهو المغالاة في الطموح والأهداف البعيدة عن الواقع(3).

وتؤكد الدراسات أن الأشخاص الانسحابيين الذين لا يستطيعون تأكيد ذواتهم هم الناس خوفا وقلقًا، وبالمقابل فإن تأكيد الذّات بأكثر مما تستحقّ يؤدّي إلى إلحاق الضّرر بالآخرين، وأحيانًا بذات الفرد، فينقلب صاحبه إلى العدوانية في التفكير والسلوك، مع نفسه ومع الآخرين وهذا ما يجنح به إلى القلق والاضطرابات الانفعالية، والمخاوف المرضية(4).

---

(1)إبراهيم علا عبد الباقي: الخوف والقلق (التعرف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما، وعلاجهما، وإجراءات الوقاية منهما)، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط1: 2010 م، ص 54.

(2)ماجدة بهاء الدين السيد عبيد: الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية، دار صفاء، الأردن، ط1: 2008م، ص 278.

(3)علا عبد الباقي إبراهيم: الخوف والقلق، ص 57.

(4)المرجع السابق، ص 58.

ثانيا: الصراع النفسي

الصراع هو الحيرة التي تصيب الإنسان حين يضطر للاختيار بين أمرين أو أكثر، أو هو التردد الذي يسيطر عليه عندما يواجه حوافز متناقضة يصعب الاختيار بينها، كالتضارب بين الغريزة والضمير، أو عندما يضطرر الشخص للتخلي عن هدف مهم، أو قبول أمر مكروه لبلوغ هدف آخر له نفس الأهمية.

فحين يرغب في تحقيق هدفين أو أكثر، ويكون تحقيق أحدها معارضًا للآخر يقع قبضة التردد وبالتالي: الصراع، خصوصا إذا طالت حيرته وعجز عن الاختيار، وكانت رغبته في تحقيق جميع الأهداف شديدةً.. ويكون الصراع سطحيًّا إذا لم يؤدّ إلى الخيبة والقلق، غير أنّ آثاره قد تتعمّق إذا كان مصحوبًا بشُحنات انفعاليّة مستمرّة[1].

فكم من طالب وجد نفسه –بعد إنهاء دراسته الثانويّة– مضطرا للاختيار بين أمرين أكثر كلّها مهمة بالنسبة لمستقبله، بين مواصلة الدراسة الجامعية والعمل في تجارة أبيه، بين مواصلة الدراسة والزواج بالفتاة التي يرغبها –والتي لا تستطيع انتظاره لعدة سنوات– وذاك شخص محتار بين أن يسكن في منزله القريب من عمله؛ وسط المدينة المزدحمة ويتحمل آثار التلوث، أو يؤجر شُقّةً بعيدةً ويواجه صعوبة المواصلات، وهذا موظّف مديره.. ظل عدة أيام يفكر في الاختيار بين الانتقام –الذي يؤدّي إلى طرده–، على مضض للاستمرار في عمله. فهذه أمثلة بسيطة على ما يسمى التردد في الاختيار أو الحيرة والعجز عن اتخاذ القرار، في المسائل الهامة والمصيرية للإنسان[2].

ويتبين من تلك الأمثلة الواقعية أن الناس لا يكادون ينجون في حياتهم اليومية من بعض التردد والحيرة، قبل تحديد الاختيارات واتخاذ القرارات، ويشمل ذلك الأمور البسيطة، كما المسائل الهامة مثل اختيار الوظيفة، وبناء العلاقة الزوجية، وتبني الأفكار والمبادئ.. إن الشك مفيد ومضر، فهو أحيانا يشحذ الخيال، ويؤدي إلى الحذر ويشجع على التأنّي وحسن الاختيار، غير أنّه إذا تجاوز الحدود المعقولة، يجعل المرء متوتّرا محتارا، وهذا وهو ما يسبب له صراعًا نفسيًّا مريرا، ويؤدي إلى أمراض

(1) الأزرق بن علّو: الإنسان والقلق، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط: 2008، ص 60.

(2) المرجع السابق: ص 61.

(3) المرجع السابق: ص 62-63.

إن الكثير من حالات الصراع تنشأ بسبب ما يضعه المجتمع، من عراقيل في وجوه الدوافع القوية التي يحملها الأفراد معهم.

ولعل ظاهرة الازدواج التي يعايشها الشباب الآن في مختلف المجتمعات العربية من أبرز عوامل الصراع النفسي عند الشباب، إذ يعيشون الازدواج في القدوة والتعليم، وفي طرح الأفكار والقيم، وفي جميع الحقول التي تساهم في تكوين شخصية الشّاب نسيجه الفكري(1).

فالشّاب يتلقّى في المدرسة أنواعًا متقاربة ومتناقضةً من القيم والآراء؛ من قبل أساتذته وموجهيه في قيمهم وأفكارهم واتجاهاتهم، والتي تُعيق لديه التفكير وتُضعف لديه التّمحيص، للتوصل إلى قناعات حقيقية، وآراء ناضجة حول مواقف الحياة، وقضايا المجتمع وعندما يواصل الشاب الاتصال بالمجتمع عبر الصحافة أو الإذاعة والتلفاز، فإنه يسمع منها ويشاهد الكثير من المواقف والآراء، التي تنطوي على ا لـمثل العليا والقيم السامية، كالحض على مكارم الأخلاق، والمناداة بالحرية والانطلاق والتّجديد، لكنه يشاهد ويلمس على أرض الواقع ما يناقضها تماما، من مفاسد الأخلاق، وتجاهل الفضائل، وكبت المشاعر وتقييد الحريات، وقلّة احترام الرأي الآخر، والتمسك التّقليدي بالقديم المهزوز وفي ظل هذه الظّروف يعجز الشّاب عن الاقتداء والاقتباس، كما يعجز المجتمع في الوقت ذاته عن أن يساعد شبابه في تشكيل خلفية فكرية متماسكة، ومواقف حياتية صائبة ترضى أنفسهم ويرتاح لها ضميرهم. ومن هنا تنمو روح التّمرد في نفوس الشّباب التي لا تدين ولا تبادل المجتمع الحبَّ، ولا تحترم توجهاته ولا تتقيد بضوابطه، وتتعزز لديها روح الفردية، وربما يباح لغرائز ها أن تنطلق من عقالها، بعد أن ضعفت فيها القوة الفكرية والروحية(2).

ثالثا: الغضب وشدّة الانفعال

الإنسان يسعى إلى تنظيم بيئته وتنسيق شؤون حياته، ليتجنّب المفاجآت المزعجة، وليحقق قدرا كافيا من الأمن والاطمئنان، وهو يسخّر لذلك ما يكتسبه من ثقافة وأفكار ومعايير، دينية وأخلاقية وعرفية.

---

(1)ماجدة بهاء الدين السيد عبيد: الضغط النفسي ومشكلاته، ص 171.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 172.

وحينما تعترض سبيلَه حوادثُ مزعجة أو أخطارٌ تهدد أمنه وسلامته، أو فشل في تحقيق هدف هامٍّ، أو عانى من اعتداء على حقٍّ من حقوقه المادية أو المعنوية، يَستولي الغضب والانزعاج والقلق. فالغضب انفعال يصاحب الإنسان منذ ولادته، يساعد صاحبه على إبعاد الأشياء المزعجة، أو تغيير الظّروف المعرقلة لنموه وتقدمه(1).

والاستجابة الفردية للمزعجات نسبية، وهي تتوقّف على ظروف الغاضب، وتجاربه الاجتماعية وحالته النّفسية، وكذلك على مدى تصوره للخطر، أو أهمية الأهداف، ونوع العراقيل التي اعترضت سبيله إلى تحقيقها.

والغضب كبقية الانفعالات، درجات تتفاوت من الاشمئزاز والاستياء، والتّذمر والمناوشة اللفظية، إلى الهياج والسباب والاعتداء(2).

ويعتبر واين داير؛ الغضب نوعا من الأنفلونزا النفسية التي تجعل الإنسان عاجزا، كما لو كان مريضا بعلّة بدنية، فهو عبارة عن ردّ فعل انفعالي؛ من شأنه أن يشل قدرة على التّصرف والحركة، ويشعر به المرء عندما يتوقع حدوث شيء فلا يحدث.. وهو شكل ثورة أو عدوان أو عنف موجَّه إلى شخص ما أو جهة ما(3).

الغضب يوهن قوى الإنسان، النفسية والجسدية، فمنً النّاحية الفسيولوجية قد ينتج عنه ارتفاع في ضغط الدّم، و قُرح مختلفة، واضطراب في ضربات القلب، وأرق عام للجسم.. ومن الناحية السيكولوجية فإن إدمان الغضب يدمر علاقات الحب، ويؤثّر على تبادل الآراء، ويؤدّي إلى الشعور بالإثم والاكتئاب المزمن(4).

رابعا: الاكتئاب النفسي

يتشكل الاكتئاب من حالة انفعالية؛ تعبر عن عدم الارتياح والضيق من الحياة، في الانعزال عن الناس، والابتعاد عن قضايا المجتمع، وتصاحب هذه الحالة أعراض بالجوانب المزاجية والمعرفية، والسلوكية والجسمية، منها نقص الاهتمامات، وضعف

---

(1) الأزرق بن علّو: الإنسان والقلق، ص 142.

(2) المرجع السابق، ص 143.

(3) واين داير: في رواق السعادة، ترجمة فوزي وفاء، نشر الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، ط1: 2000م، ص 205.

(4) المرجع السابق، ص 206.

الاستمتاع بمباهج الحياة، وفقدان الوزن الطبيعي للجسم، واضطرابات النوم والشهية، فضلاً عن سرعة التعب وقلة التركيز، والشعور باليأس والأسى وبنقص الكفاءة، وانخفاض الجدارة، وفقدان الثقة في النفس(1).

ويردّ الاكتئاب إلى أسباب جسمية ونفسية واجتماعية متداخلة، كالإصابة بعاهة أو مرض مزمن، أو الفشل المفاجئ في بعض المواقف الحياتية، كالرسوب في اختبار ما، أو الفشل في العلاقة الزوجية، وأيضا إحساس الشّخص بالنبذ من قبل الآخرين وابتعادهم عنه، سواء من الأصدقاء أو الآباء، عندما يتفاقم الصراع بين الأجيال.

فعندما يصطدم الشخص بواقع مجتمعه؛ بفُرصه الضّيقة وقوانينه وأعرافه وإمكاناته المحدودة، يجد أن طموحاته صعبة المنال، وأن أحلامه قد تبددت حيث لا يمكن فإنه بذلك يدخل في إطار الاكتئاب، نتيجةً للصراع بين الرؤية المثالية والواقع

إن الحزن على فَـقْد شيء أو شخص عزيز علينا أمر طبيعي جدًّا، وكمغادرة منزل ألفناه، أو ترك عمل تعودنا عليه، ما دام هذا الحزن لا يتجاوز الحدود المعقولة، فإذا بالغ الإنسان في إظهار مشاعر الحزن والأسى أو القلق، وصف سلوكه بأنه غير عادي، وكان إلى الاكتئاب أقرب.

وقد يمتزج الحزن بالشعور بالذنب، حين يعتقد المرء صوابا أو خطأً، أنّه شارك في الأسباب التي أدّت إلى فقدان ما فقد، ويتضاعف ذلك الشعور إذا ألقى عليه الأقرباء والأصدقاء باللائمة، ففي حالات الحزن الطبيعي لا يشعر المرء عادةً بالقلق إلا إذا كانت نتائج ما فَـقَد تؤثّر على أمنه ومصيره، أو كان تسبب في الظّروف التي أدّت إلى المؤلم، عندئذ يتجاوز الأمر مجرد الحزن البسيط، والبكاء على الذكريات، والفراغ نتج عن الحادث، ويمتزج بالشعور بالذنب والقلق العميق(3).

وفي هذه الحالات قد يشعر الكئيب بتدهور في طاقاته الفكرية والبدنية، وفُتور في علاقاته وأنشطته الاجتماعية، ويفقد القدرة على الإفصاح عن مشاكله وهمومه، والتعبير عن انفعالاته، ويعجز عن المشاركة الإيجابية في الحياة، بل قد يفقد أصلا الرغبة في

(1)ماجدة بهاء الدين السيد عبيد: الضغط النفسي ومشكلاته، ص 243-244.

(2)المرجع السابق، ص 243.

(3) الأزرق بن علو: الإنسان والقلق، ص 199.

والاهتمام بما حوله[1].

وتعتبر الكآبة ردَّ فعل طبيعي عند الفشل والإصابة بخيبة الأمل في ظرف ما، ولا أمرا خطيرا مهدّدا للحياة، إلا عندما تلازم المرء مدّةً طويلة وتسيطر عليه، ويصبح عاجزا عن التخلص منها، وتصاحبها اضطرابات فكرية ونفسية وحتى سلوكية، تمنع المرء من يحيا حياةً سوية طبيعية[2].

المبحث الرابع: سيادة ثقافة الكره وعدم التسامح مع الآخر

ومن نتائج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم على المستوى الفردي خاصةً،سيادة ثقافة الكره، وعدم تسامح الإنسان مع أخيه الإنسان، والمسلم مع أخيه المسلم، فالإنسان يسعى طوال حياته إلى تحقيق ذاته، والحفاظ على نفسه، والارتقاء بها، لذا قد يتحول كل ما يقف في طريق ذلك؛ على نحو مباشر أو غير مباشر إلى موضوع كُره؛ تحت ضعف أسس الإيمان في القلب، ووازع الأخلاق في الضّمير.

فلا شك أنّ الحب عامل ميسِّر في عملية تحقيق الذات، لكنه في لحظة ما قد يتحول طاقة سلبية ، وبالتّالي إلى كُره، وبهذا المعنى يصبح الكُره خلفيةً انفعالية لسلوك الفرد علاقة، انتقام.. .)، ولا توجد حدود نهائية يصل إليها الانتقام لتعويض الكرامة الشّخصية المجروحة، والمكانة المهدرة[3].

إذا اعتبرنا الحب قدرةً على تحمل الاختلاف والتّسامح معه، فإنّ انقلابه في أية لحظة إلى عدم القدرة على تحمل الاختلاف أو اللاتسامح معه يوفّر لنا قاعدةً يمكن أن نبني عليها في فهم العوامل الأساسية الكامنة وراء الكُره.

وللبيئة دور كبير جدّا في توليد وتطوير مشاعر وحالة الكره عند الفرد، لقد أثبت النفس بما لا يدَعَ مجالاً للشّك أنّ تعرض الفرد في طفولته المبكّرة لأساليب معاملة مغلّفة بمشاعر الكره والعدائية ينعكس لاحقًا وبوضوح في سلوكاته، بل وفي مختلف

(1) المرجع السابق، ص 199–200.

(2)المرجع السابق، ص 200.

(3)صالح بريك: الكره أو اللاتسامح مع الآخر (منظور نفسي اجتماعي)، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1: 2010، ص 18.

جوانب حياته(1).

وتمثّل البيئة مصفوفة ثقافية تسبغ آثارها على حياة الإنسان بمجملها، خاصة عند مواجهته لمواقف مشابهة لتلك التي تسببت بصدمات يسعى إلى نسيانها أو كبتها، دون شك تتأسس الفروق الفردية على التفاعل بين المعطيات البيولوجية والمؤثّرات الاجتماعية منذ المراحل الأولى في حياة الفرد، لكن اليوم قد يكون من الصعب الحديث عن بيئة اجتماعية محدّدة بدقّة؛ نتيجة تأثير مفردات عصر المعلومات وأدواته ومصادره، حيث تَحوَّلَ الإنسان في كل مكان إلى ما يشبه "مواطن العالَم"، وفي سياق إيماننا بتأثير الجديدة للبيئة الأوسع، فإننا لا ننسى محددات البيئة الأضيق، بل نؤمن بتكامل هذه المؤثرات وتفاعلها(2).

وإذا رأينا مدى تو فّر الحرية الإنسانية؛ نجد إنسان اليوم منَمَّطًا –بفعل التطور ووسائل الاتصال– أكثر من أيّ وقت مضى، إنه يستقِي أفكاراً جاهزة وقوالب محدّدة، ونماذج في الغالب، تجعل اتجاهاته نَحو الآخر مرهونةً بمن يسيطر على هذه الوسائل والتقنيات، بات دورها أكثر قوةً من دور الأسرة نفسها في عملية التنشئة الاجتماعية(3).

إن تعرض الفرد لخبرات مؤلمة، كالحرمان والتّعرض المستمر للإهانة، والتحقير –بمختلف أشكاله– في مرحلتي الطفولة والمراهقة، يقود إلى اتجاهات وطرق مختلفة ومتناقضة في تعامله مع الآخرين، تتجلى في طاقة إبداعية خالصة، أو انسحاب وانطواء، وحشية غير معهودة، ورغبة مستمرة في الانتقام، وبالتالي تبدو حاجة هؤلاء للخدمات النّفسية حتميةً وملحة(4).

ومن منتجات ثقافة الكره وعدم التسامح مع الآخر، وعدم تقبل الاختلاف؛ انتشار ما يسمى في علم النفس الحديث بـ"العدوانية".

مفهوم العدوانية:

---

(1) المرجع السابق: ص 22.

(2)صالح بريك: الكره أو اللاتسامح مع الآخر، ص 22.

(3) المرجع السابق: ص 23.

(4) المرجع السابق: ص23–24.

العدوانية لها معنيان: أحدهما سلبي هدّام بغيض، ويعني إيذاء الآخرين والاعتداء واللجوء إلى العنف بدون مبرر، واغتصاب حقوق الناس ومصادرة حرياتهم. أما المعنى للعدوانية فهو إيجابي، يشمل كل ردود الفعل المختلفة التي يجيب بها الإنسان على الاستثارة لديه، مثلما يحدث في حالات الحرمان والإحباط والفشل، كما يشمل مجموعة الدوافع التي تحفز الإنسان لمطاردة الخصم، والرغبة في السيطرة، والتصدّي لمواجهة الخطر، والعدوانية بهذا المعنى تقترب من مدلول الجرأة والشّجاعة، وتوافُر قدْر كبير من الحماس والثقة بالنفس، وعندما تنعدم هذه الصفات من شخص، يمكَن أنَ يوصف والتّردّد وضعف الثقة بالنفس، وخَور العزيمة، والاستسلام –بمفهومه السلبي–[1].

فالعدوانية بهذا التعريف أنواع ودرجات مختلفة، منها ما هو مفيد وضروري لبقاء الإنسان، وما هو محطّم ومخرب، وما هو مطلوب أو مستحب، وما يعتبر تعدّيا أوإجراما، ونقصد في هذا المقام تناول العدوانية بمفهومها السلبي لعلاقتها المباشرة بثقافة الكره وعدم مسامحة الآخرين.

وقد أصبح العدوان في العصر الحديث ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار، ولم يعد مقصورا على الأفراد، إنما اتسع ليشمل بعض المجتمعات والدُّول في عمومها، وهو ما يلاحظ في مختلف أشكال العنف والإرهاب، والتطرف الدّيني والسياسي الذي يسود مناطق كثيرة من العالم الآن. ومن أبرز عوامل هذه الظاهرة، الفشل والإحباط في مواجهة ظروف الحياة وعدم التكيف معها، وأيضا تعرض الفرد للضغوط النفسية باستمرار[2].

ومن العوامل المثيرة للعدوانية، عدم نجاح الفرد في اكتساب قدر كاف من الاحترام والتقدير من المحيطين به، ومن بيئته الاجتماعية عموما، في هذه الحال يلجأ الشخص إلى أنشطة وأساليب عدوانية؛ يظن أنه بممارستها يعوض ما افتقده من تقدير لذاته، من هذه الأنشطة العمل على جمع الثروة، أو بلوغ المركز، أو الاتجاه إلى مهنة ذات احترام شعبي واسع، كأن يصبح رياضيا محترفا، أو ممثّلاً سينمائيا ذائع الصيت...

ولا يستطيع أولئك الذين تغلّبت عادات المنافسة المفرطة والعدوانية –على أنفسهم وعلى

---

(1) الأزرق بن علو: الإنسان والقلق، ص 160.

(2)ماجدة بهاء الدين السيد عبيد: الضغط النفسي ومشكلاته، ص 207-208.

أنشطتهم– أن يسترخوا وينعموا براحة البال، بل هم مدمنون على التوتر، لا يهنأون ببلوغ هدف معتدل، ولا يرضون بالقناعة، فهم ربطوا سعادتهم بتحقيق غايات بعيدة المنال، نصب أعينهم مطامح عالية، لذلك يعيشون حياتهم وهم خائفون من الفشل والتعرض للإهانة.. حريصون كل الحرص على نيل أكبر قدر من الشهرة، والمكانة المرموقة[1].

ومن الأسباب المحفّزة للعدوانية في الإنسان شدة الأنظمة والقواعد الاجتماعية في تضييق الخناق على الفرد، والتّقييد من حريته، وعندما لا يتمكن الفرد من تحقيق والتعبير عنها وعن مشاعرها بطرق طبيعية، ربما لجأ إلى العدوانية، فيثور ضد الأساليب السائدة، ويلحق الأذى بالآخرين، ويفقد التوازن الشّخصي يجعله عضوا فاعلاً وبنّاء في مجتمعه[2].

بعد تتبعنا للآيات التي تتحدث عن إشكالية الإعراض عن الله عز وجل وعن منهجه وشريعته، وجدنا أن القرآن يعالج مسألة الإعراض باعتبارها طبيعةً بشرية وضعفًا يلابس الإنسان –أيَّ إنسان– بغضِّ النظر عن ديانته ومعتقده.. فيشخّص تلك الطبيعة فيه، ثم يمسك بيده ليزكّيه ويردّه إلى فطرة التوحيد التي فيها سعادته –إن هو أراد فكذلك –يمكن للمسلم أن يقع في الكفر بالحقيقة وهو "كفر النعمة"، فكذلك الإعراض؛ الذي هو كره القلب للحقوانصرافه عنه؛ وعمَّا يذكّره به من الآيات والحجج والأحداث اليومية، ومن سنن التاريخ القريب أو البعيد؛ الذي يحكي قصصا وعبرا لأمم وأفراد؛ مثّلوا أدْوارا في هذه الحياة، فلقي كلٌّ منهم حصاد ونتاج ما مثّل من دور، في الدنيا قبل الآخرة يلقف إليه القلب المعرِض عن الحقيقة، إذا قرر ذلك حتى لو كان مسلما؛ لذلك فالآيات التي تتحدّث عن الإعراض والمعرضين، إنما هي تنبيه لكلٍّ منَّا وتحذير من خطورة الاتصاف به، والمسارعة إلى إزالته حين التلبس بشيء منه؛ ذلك أنه يعطّل تلك الجوهرة الإلهية في الإنسان؛ والسِّرَّ الرباني الذي أودعه فيه وهو "القلب"، فلا يزكو ولا ينمو ولا يرتقي في سلّم الإيمان والعرفان بالله.

---

(1)الأزرق بن علو: الإنسان والقلق، ص **178–179**.

(2)المرجع السابق: ص **178**.

يقول الإمام الشعراوي(1) في معنى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: 24).

(...

لأنكم لستم أهل علم في شيء، ولا يعني هذا عدم وجود العلم، إنما العلم موجود، ولكنكم معرضون عن سمعه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24]،

كأنّ للحق سمات يُعلم بها، فمن أقبل على معرفة الحق وجده، أما من أعرض عن المعرفة، فمن أين له أن يعرف؟! إذن: فالحق موجود ولو التمسوه لوجدوه وعرفوه، وأمسكوا بالدليل عليه)(2).

ويقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: (فَلَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ كِتَابًا لِلَّهِ أُنْزِلَ بَعْضُ سَلَفِكُمْ كَانُوا يَفْهَمُونَهُ وَيَهْتَدُونَ بِهِ وَيَتَدَبَّرُونَهُ، وَأَنَّكُمُ اسْتَغْنَيْتُمْ بِتَدَبُّرِهِمْ وَلَمْ تَتَدَبَّرُوا، فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا.

وَيُؤَيِّدُ الْآيَةَ حَدِيثُ الصَّحِيحَيْنِ:

((يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))...

وَإِذَا كَانَ لَا يَجْزِي فَهْمُ سَلَفِكُمْ عَنْكُمْ أَنَّكُمْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ هِدَايَةِ كِتَابِهِ، فَلَا تَنْفَعُكُمْ شَفَاعَتُهُمْ أَيْضًا، وَلَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ عَدْلٌ وَلَا فِدَاءٌ تَفْتَدُونَ بِهِ، وَتَجْعَلُونَهُ مُعَادِلًا لِمَا فَرَّطْتُمْ فِيهِ، كَمَا قَالَ: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ)، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِالْمُكَفِّرَاتِ تُؤْخَذُ عَدْلًا عَمَّا يائهم، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ – تَعَالَى – أَنَّهُ لَا يَقُومُ مَقَامَ الِاهْتِدَاءِ بِكِتَابِهِ شَيْءٌ آخَرُ..)(3).

خلاصة القول حول ما سبق عرضه وبيانه:

---

(1) الشعراوي (1911م – 1998م) محمد متولي الشعراوي: إمام الدّعاة، ومن أشهر المفسرين للقرآن الكريم في العصر الحديث، تقلّد عدّة مناصب إدارية وسياسية في دولته، آخرها وزيرا للأوقاف، كما اشتغل لفترة في التعليم ما بين مصر والسعودية، ثم تفرغ آخرا للدعوة وتفسير كتاب الله، الذي أبدع فيه وأجاد، حيث استطاع بما وهبه ربه؛ أن ينقل أعمق الأفكار بأسلوب سلس مشوّق جذّاب.. يُنظر: راغب السرجاني: (موقعه الرسمي) قصة الإسلام، ISLAMSTORY.COM

(2) الشعراوي: تفسير الشعراوي (1 / 5844).

(3) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (1 / 371).

إنّ ظاهرة الإعراض: قبل أن تكون منْصبةً علىمنهج الله تعالى "القرآن العظيم"هي منصبَّةٌ في الأساس على الفطرة.. أعرض الإنسانُعن فطرته التي فطر الله الناس عليها.. عن بوصلته الداخلية التي تحدد له الوجهة في خضمِّ الحياة... عن الوعاء المتلقّي لغيث ونور الحقيقة.. أعرض عنه فعطّله عن التشغيلوالتوظيف.. فلم يعد نور القرآن يضيء لهطريقه، ولا ماؤه يروي ظمأه أويسقي حرثه.

فأول الخطو في طريق العودة: أن يقصد بيته العتيق.. قلبه وفطرته.. يطهرها ويزكّيها، ويرفع عنها الحجب التي علتّها؛ بفعل موروثات الأسرة والتربية والبيئة والإعلام وسلطة المجتمع.. وبفعل تكاثف طباع نفسه الأمارة (الأنا).. وبمجرد انطلاقه بهذه العزيمة سيبدأ القرآن بتغييره من أول خطوة.. وبالتدريج سترتفع الحجب عن فطرته حجابا بعد حجاب، وتزكو نفسه شيئا فشيئا، في طريق عبوديتهلله، إلى أن يحقّق الخلافة الإلهية في الأرض كما يريدها له خالقه عز وجل.

وهذه الخطوة الأولى، هي ما سنتناوله بالتفصيل –إن شاء الله– في الباب الثاني من البحث، بعنوان: "علاج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم".

البـاب الثانـي

علاج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم

رؤية عامة، ومقاربة خاصة بدورتزكية النفس

علاج الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم
رؤية عامة، ومقاربة خاصة بدور تزكية النفس

الفصل الأول: رؤية عامة في علاج الإعراض

المبحث الأول: تخصيص وِرد يومي للقرآن تلاوةً وتدبرا

المبحث الثاني: التوجه نحو القرآن اتِّباعًا وعملاً به في الحياة

المبحث الثالث: الأسس الثلاثة لتحقيق الوصال مع القرآن

المبحث الرابع: التيقظ لعداوة الشيطان ومداخله إلى النفس

الفصل الثاني: مقاربة خاصة بدور التزكية في علاج الإعراض

المبحث الأول: إحلال القلب مكانته من الذات الإنسانية

المبحث الثاني: الوعي بسنّة الله في الابتلاء إيمانًا

بالقَدَر

المبحث الثالث: وعي الإنسان بذاته وموهبيها علاجا للإعراض

المبحث الرابع: صدق العزيمة وانفتاح القلب علاجا للإعراض

الفصل الأول
رؤية عامة في علاج الإعراض

المبحث الأول: تخصيص ورد يومي للقرآن تلاوة وتدبرا

المطلب الأول: مفهوم التلاوة لكتاب الله

التلاوة مشتقة من فعل "تلاه، يتلوه" ومعناها حسب تعريف الراغب الأصفهاني: «... تبعه متابعة ليس بينهم ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالجسم، وتارة بالاقتداء في ومصدره: تُلُوٌّ و تُلْو، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، ومصدره: تلَاوة... والتلاوة كتب اللّه المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمرٍ ونهي، وترغيب وترهيب... وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، لا يقال: تلوتَ رقعتك، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته: وجب عليك اتباعه»(1).

تلاوة القرآن الكريم إذن هي قراءة خاصة لكتاب خاص ومتفرد؛ يحوي أقدس كلام في الوجود،وهو كلام الله تعالى، قراءةٌ يشترط أن يتبعها أثر أو آثار في القلب في الإيمان والسلوك، أو هي قراءة مقصودها الاتباع والاقتداء بما قُرِئ، ولذلك يقول تعالى: ﴿الذين ءاتيناهم الْكِتَابَ يتلُونَهُ حَقَّ تلاوَته أُوْلَئِكَ يومنُونَ به ومن فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسرونَ﴾(البقرة: 121)، فعلامة إيمان الإنسان بكتاب ربه أن يتلوه حق تلاوته، فيتبع قراءتهَ بالاهتداء به والعمل بأحكامه وتوجيهاته.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في معنى التلاوة: «ولَعَلَّ قراءةَ الْقُرْآن سُمِّيَتْ تلَاوةً مثاني، كلُما قُرِئَ منهُ شيْءٌ يتبع بقراءة غيْره أَوْ بإعادَته، أَوْ لأَنَّ شأْنَهُ أَنْ يقْرأَ ليَتْبع بالاهتداء والْعمل به، وعبّر الْقُرْآنُ بالتِّلَاوَة عنْ "قرَاءة كتَاب الله وآياته للْأَنْبياء لهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا، وفَسَّرُوا قَوْلَهُ تعَالَى: (يتلُونَهُ حَقَّ تلاوته) يتَّبعُونَهُ حَقَّ

وقد جاء في لسان العرب عن معنى التلاوة أيضا: «تلا يتلو تلاوَة يعني قرأَ قراءة، وقوله تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته" معناه يتبعونه حق اتباعه،

---

(1)الأصفهاني:مفردات القرآن (1 / 167).

(2)محمد رشيد رضا: تفسير المنار (6 / 282).

به حقّ عمله»(1).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذين يَتْلُونَ كتابَ الله وأَقَامُوا الصَّلاَةَ وأَنفقُوا ممَّا رزقناهم سرًّا وعلانيةً يَرجُونَ تجارةً لن تبور﴾(فاطر: 29)، يقول سيد قطب –رحمه الله– التلاوة الحقيقية:

«وتلاوة كتاب اللّه تعني شيئا آخر غير المرور بكلماته –بصوت أو بغير صوت– تعني تلاوته عن تدبر، ينتهي إلى إدراك وتأثر، وإلى عمل بعد ذلك وسلوك. ومن ثمّ يتبعها بإقامة الصلاة، وبالإنفاق سرا وعلانية من رزق اللّه. ثم رجاؤهم بكل هذا «تجارةً لَنْ تَبُورَ». فهم يعرفون أن ما عند اللّه خير مما ينفقون. ويتاجرون تجارة كاسبة مضمونة الربح. يعاملون فيها اللّه وحده وهي أربح معاملة، ويتاجرون بها في الآخرة وهي أربح تجارة»(2).

والمتأمل للقرآن الكريم، يجد أن تلاوة كتاب الله أو تلاوة آياته –بمعنى تلقّيها بها– فريضة دينية وحضارية ألزم الله بها كل أمة من أمم الأرض تجاه الكتاب الذي أنزله إليها، حتى خاتمة الأمم: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم كانت سنة الله ألاّ أهل القرى حتى يقيم عليهم الحجة؛ بإرسال رسول يتلو عليهم آيات ربهم المنزَّلة إليهم، كما قال تعالى: ﴿وما كَانَ رَبُّكَ مُهلكَ الْقُرَىٰ حتَّىٰ يَبْعثَ في أُمِّهَا رسولاً يتلو عَلَيْهِمْ ءاياتنا وما كُنَّا مهلكي الْقُرَىٰ إلاَّ وأَهْلُها ظَالمُونَ﴾(القصص: 59).

ولأهميةَ عملية التلاوةَ لآيات الله–سواء كانتَ تلاوة المؤمن لنفسه أو لغيره– باعتبارها قراءةً؛ المقصود منها أن يتبعها عمل واهتداء بها، بين القرآن أصناف الناس حال سماعهم لآيات الله تُتلى عليهم، وهما صنفان لا ثالث لهما:

الصنف الأول: صنف استجاب لنداء الرحمن، وآمن بالحق الذي أنزله، بل كلما عليهم آياته خروا سجدا وبكيًّا من شدة خشوعهم وخضوعهم لها. كما جاء في سياق ذكر صفات الذين أنعم الله عليهم من النبيئين ومن ذرياتهم، ممن هداهم واجتباهم: ﴿أُولَئكَ الذين أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبيئين من ذُرِّيَّة ءادم وممَّنْ حملْنَا مع نوحٍ ومن

(1)ابن منظور: لسان العرب (14 / 102).

(2)سيد قطب: في ظلال القرآن (5 / 2943)

ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(مريم: 58).

وليس بالضرورة أن يكون سجود هؤلاء الناس على حقيقته، ولكن على معنى الخضوع لله، والقبول لحججه وبراهينه التي تليت عليهم، أو أن يكونوا لا يملكون أنفسهم إذا رأوا آيات الله وبرهانه، ولكن وقعوا سجّدا مثلما أخبر القرآن عن سحرة فرعون عند معاينتهم الآيات، حيث قال: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: 70]، ليس أنهم سجدوا لله بالضرورة، ولكن ألقوا سجدا؛ لأنهم لا يملكون أنفسهم عند معاينتهم الآيات[1].

وقوله تعالى أيضا عن الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب المؤمنين، وكيف تلقّوا المصدّق لما بين يديه من الكتاب: ﴿... قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا(108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا(109)﴾ (الإسراء: 107-109).

يقول الإمام القرطبي في وصف هؤلاء المؤمنين: (هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم. وحقّ لكلّ من توسّم بالعلم وحصّل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذلّ)[2].

وكلّما تليت آيات الله على تلك الطائفة زادتهم إيمانا إلى إيمانهم، كما أخبر تعالى عن شأنهم في قوله:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(الأنفال: ٢)، زادتهم إيمانا؛ وذلك باطمئنان النفس ورسوخ اليقين في القلب بتظاهر الأدلة، وكذلك بالعمل بموجبها[3].

وأما الصنف الثاني من الناس فحالهم عند سماع الآيات تتلى، هو تكذيبها والإعراض والاستكبار بها، ومحاولة ستر الحقيقة -التي استيقنتها أنفسهم- بتلفيق الحجج الواهية

(1)الماتريدي: تأويلات أهل السنة (7/ 246).

(2)القرطبي: أحكام القرآن (10/ 341).

(3)البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 49).

على أصحابها، كوصفهم للآيات بأنها "أساطير الأولين" وما هي إلا "سحر مبين" أو"إفك مفترى"، وعدم اعتبارهم الرسول إلا رجلا يريد صدّهم عن دين آبائهم وأجدادهم، وغير ذلك مما يطلقون به ألسنتهم من هجر القول وفُحشه؛ حول آيات الله –تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا–، وهو ما ورد بيانه في مواضع كثيرة من القرآن من بينها قوله تعالى:

﴿وإذا تُتلى عليهم ءاياتنا قالوا قد سمعنا لو نشآء لقلنا مثل هذآ إن هذآ أساطير الأولين﴾(الأنفال: ٣١).

هؤلاء القوممن الذين كفروا لمانظروا إلىالقرآنبعينالاستصغار والاستخفاف؛حرموا بركاتالفهمفعدّوهمنجملةأساطيرالأولين(1)،وقالوا قدفهمناواستوعبنا ماتحتويعليه آياته،لونشاءلقلنامثلها،وإنّمااهتمّوابالقصصولميتبيّنوامغزاها،ولامافيالقرآنمنالآدابوالحِكم؛لكقالاللهتعالىعنهم﴿كالذينقالواسمعناوهملايسمعون﴾ [الأنفال: 21]أيلا يفقهونماسمعوا، ولا يعتبرون(2).

وفي ذلك السياق أيضا من مقابلة الآيات التي تتلى من كتاب الله تعالى، بالتكذيب والاستخفاف، والإعراض عن معناها والعمل بمقتضاها؛ وردت الآيات التالية:

﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين ءامنوا أي الفريقين خير مّقاما وأحسن نديًّا﴾(مريم: 73).

﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بيّنات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ءاياتنا...﴾(الحج: 72).

﴿وإذا تتلى عليه ءاياتنا ولّى مستكبرا كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقرا فبشّره بعذاب أليم﴾ (لقمان: 7)(3).

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات(1/ 621)

(2) ابن عاشور:التحريروالتنوير (9/ 329).

(3)وكذلك وردت الآيات الآتية في الموضوع:

﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بيّنات قالوا ما هذآ إلا رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد ءاباؤكم وقالوا ما هذآ إلآ إفك مّفترى وقال الذين كفروا للحقّ لمّا جآءهم إن هذآ إلا سحر مّبين﴾ (سبأ: 43).

﴿ويل لكلّ أفّاك أثيم(7) يسمع ءايات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبرا كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب

ومن أبرز ما يقطع الله تعالى به الحجة يوم القيامة على الظالمين أنفسهم، والمفرطين جنب ربهم هو: أن آياته عز وجل كانت تُتلى عليهم في الدنيا من قِبَل رسل الله إليهم، والدعاة من بعدهم، فقابلوها بالتكذيب والاستخفاف والإعراض، كلَ هذا يصوِّره القرآن كأنه واقع مشهود قبل أن يحدث.. حتى يؤوب الإنسان إلى ربه، ويثوب إلى رشده قبل فوات الأوان، وهذا من تمام الرحمة الإلهية بالعباد:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الذين ءامنوا وعَمِلُوا الصَّالحات فَيُدْخِلُهُم رَبُّهُم في رَحْمَته ذَلك هو الْفوز الْمبين(30) وأَمَّا الذين كَفَروا أَفَلَمْ تَكُن ءاياتي تُتْلَى عليكُم فَاسْتَكْبَرتُم وكُنتُم قَوما مُّجرمينَ(31)﴾(الجاثية: 30-31).

وقال تعالى أيضا: ﴿حتَّى إذَآ أَخذْنَا مُتْرَفيهم بالْعَذَاب إذَا هُم يجْأَرُونَ(64) لاَ تَجْأَروا الْيَومَ إنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرونَ(65) قَدْ كَانَتْ ءاياتي تُتْلَى عليكم فَكُنتم أَعْقَابكُمْ تنكصُونَ(66)﴾ (المؤمنون: 64-66).

وَقال تعَالى أيضا: ﴿ومن خَفَّتْ موازينه، فَأُولَئكَ الذين خَسروا أَنفُسَهُمْ في خَالدُونَ(103) تَلْفَح وجوهَهم النَّار وهُم فيها كَالحُونَ(104) أَلَم تَكُن ءاياتي عَلَيكُم فَكُنتُم بها تُكَذِّبونَ(105)﴾ (المؤمنون: 103-105).

ولا يقتصر معنى الآيات التي تُتلى، على الآيات المنزلة في القرآن وسائر الكتب السماوية، بل يمتدّ معناها ليشمل جميع آيات الأكوان مما في نفوس الناس، ومما خلقه الله من خلق في السماوات والأرض مسخَّرا للإنسان، وداعيا له إلى الإيمان بالواحد الدّيافالله تعالى من رحمته يقيم علينا الحجة، ويقطع علينا العذر هنا في الدنيا لعلنا نثوب إلى رشدنا، وذلك بأن يطوي الزمن، وينقل وعينا إلى مشاهد الدار الآخرة، ويرينا من صورها، صورة إشهاد الإنسان على نفسه بما كان تعالى يرسل إليه من الآيات والحجج، فيقابلها بالتكذيب.

والتكذيب يشمل ما كان منه صريحا، كما كذّب المشركون رسولهم، ووصفوه

اَليم(8)﴾ (الجاثية: 7-8)

﴿وإذَا تُتلَى عليهم، ءاياتنا بيِّنات مَّا كانَ حجَّتَهم، إلآ أن قالُوا ايتوا بئابآئنآ إن كُنتُم صادقينَ﴾(الجاثية: ٢٥).

﴿وإذَا تُتلَى عليهم، ءاياتنا بيِّناتٍ قَالَ الذين كَفروا للْحقِّ لَمَّا جاءهم هَذَا سحرٌ مُّبينٌ﴾ (الأحقاف: ٧).

بالساحر، والشّاعر والمجنون، ووصفوا رسالته بأساطير الأولين، ويشمل تكذيب الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وهذا شأن الكثير ممن يدّعون الإسلام؛ إذا سئلوا قالوا: نحن مؤمنون بالله وكتابه ورسوله، لكن أفعالهم أفعال المكذّبين، ومن أصر على الحال إلى أن لقي ربه، حشر في زمرتهم(1).

وفضلاً عن القيمة الإيمانية والعملية لفعل "التلاوة " في حياة المسلم والأمة المسلمة، فقد رتّب المولى تعالى عليها الأجر الكبير وأجزل في المثوبة عليها، ووعد نبيٌّ الرحمة التَّالي للقرآن بالرحمة والسكينة تتنزل على قلبه، وهذه طائفة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم في الموضوع: عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران"(2).

- عن عقبة بن عامر، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة، فقال: " أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين في غير إثم، ولا قطع رحم؟ "، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: " أفلا يغدو أحدكم المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خير له من ناقتين، وثلاث خير له ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل "(3).

- عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، يقول: "قرأ رجل الكهف، وفي الدار فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة، أو سحابة قد غشيته، قال: فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت

- عن سالم، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا حسد إلا في اثنتين:

(1) بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة المؤمنون)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية-الجزائر، ط: 1998م، 271/5.

(2)رواه البخاري: صحيح البخاري -كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة - سورة عبس حديث:4656، الجامع للحديث النبوي.

(3)رواه مسلم: صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه -حديث:1377، الجامعللحديث النبوي.

(4)رواه مسلم: صحيح مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن - حديث:1367، الجامع للحديث النبوي.

رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"(1).

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرَّد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن ألف ولام وميم"(2). هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

- عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن يوم القيامة:اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها"(3).

- عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به: كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن، ويعمل به: كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن: كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن: كالحنظلة، طعمها مر – أو خبيث وريحها مر"(4).

المطلب الثاني: مفهوم التدبّر لكتاب الله

يقول ابن فارس في الأصل اللغوي لمصطلح "التدبر":

(1)رواه البخاري: صحيحالبخاري – كتابالتوحيد،بابقولالنبيصلىاللهعليهوسلم: " رجلآتاه –حديث:7113، الجامع للحديث النبوي.

(2)رواه الحاكم: المستدركعلىالصحيحينللحاكم –كتابفضائلالقرآن، أخبارفيفضائلالقرآنجملة – حديث:1983، الجامع للحديث النبوي.

(3)رواه بن حبان: صحيحابنحبان – كتابالرقائق، بابقراءةالقرآن – ذكرالبيانبأنآخرمنزلةالقارئفيالجنةتكونعندآخر، حديث:766. الجامع للحديث النبوي.

(4)رواه البخاري: صحيح البخاري – كتابفضائلالقرآن، بابإثممنراءبقراءةالقرآنأوتأكّلبهأوفخر – حديث:4774.

(أَصْلُهَذَاالْبَابِأَنَّجُلَّهفيقياسواحد،وَهُوَآخِرُالشَّيْءِوَخَلْفُهُخلافُ قُبُلِه)[1].

ويقول الإمامَ الطَّاهرَ بن عاشور في الاشتقاق اللُّغوي للمصطلح ودلالته: (وَالتَّدَبُّرُ: مُشْتَقٌّمنالدُّبُرِ،أَيالظَّهْرِ،اشْتَقُّوامنالدُّبُرِفعلًا، فَقَالُوا: تَدَبَّرَ:إِذانظرفيدُبُرِالْأَمْرِ،أَيْفيغائبِهأَوفيعاقبتِه،فَهُومنالْأَفْعَالِالَّتِياشْتُقَّتْمنالْأَسْمَاءِالْجَامِدَةِ.. فَمعنىيَتَدَبَّرُونَالْقُرْآنَ: يَتَأَمَّلُونَدَلَالَتَهُ،وَذَلِكَيَحْتَمِلُمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنْيَتَأَمَّلُوادَلَالَةَ تَفَاصِيلِآيَاتِهِعَلَىمَقَاصِدِهِالَّتِيأَرْشَدَإِلَيْهَاالْمُسْلِمِينَ.. وَثَانِيهِمَاأَنْيَتَأَمَّلُوادَلَالَةَ جُمْلَةِالْقُرْآنِبِبَلَاغَتِهِعَلَىأَنَّهُمِنْعِنْدِاللَّهِ،وَأَنَّالَّذِيجَاءَبِهِصَادِقٌ)[2].

وَيقولَ عَن مفهوَمَ التدبرَ فَي موضع آخر: (وَالتَّدَبُّرُ: التَّفَكُّرُوَالتَّأَمُّلُالَّذِيبِهِيَبْلُغُصَاحِبُهُمَعْرِفَةَالْمُرَادِمِنَالْمَعَانِي،وَإِنَّمَايَكُونُذَلِكَفِيكَلَامٍقَلِيلِاللَّفْظِ كَثِيرِالْمَعَانِي الَّتِيأُودِعَتْفِيهِبِحَيْثُكُلَّمَاازْدَادَالْمُتَدَبِّرُتَدَبُّرًا؛انْكَشَفَتْلَهُمَعَانٍلَمْتَكُنْبَادِيَةًلَهُبَادِئَالنَّظَرِ)[3].

وَتدبُّرَالأمرِ: تأمُّلهوالنظرفيأدباره،ومايؤولإليهفيعاقبتهومنتهاه،ثماستعملفيكلتأمل،فمعنتدبرالقرآن: "تأملمعانيه،وتبصرمافيه"[4].

وقد ورد الأمر والترغيب إلى تدبر كلام الله عزّ وجل والتّفكّر في حِكَمه ومقاصده، في أكثر من موضع من كتابه الكريم، إذ يقول عز من قائل:

﴿افلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾(النساء:

﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت ءاباءهم الاولين﴾ (المومنون: 68).

﴿كتاب انزلناه إليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر أولوا الالباب﴾ (سورة ص: 29).

وفي معنى قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب

يقول الإمام الشوكاني:

(أَفَلَا يَتَفَهَّمُونَهُ فَيَعْلَمُونَبِمَااشْتَمَلَعَلَيْهِمِنَالْمَوَاعِظِالزَّاجِرَةِ،وَالْحُجَجِالظَّاهِرَةِ،وَالْبَرَاهِينِ

---

(1)ابن فارس: مقاييساللغة (2/ 324).

(2) ابن عاشور: التحريروالتنوير (5/ 137).

(3) المصدر السابق (23/ 252).

(4)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (1/ 540).

كفيهم لهم فهم وعقل، وتزجرهم عن الكفر بالله والإشراك به والعمل بمعاصيه أم على قلوب أقفالها «أم» هي المنقطعة، أي: بل أعلى قلوب أقفالها فهم لا يفهمون ولا يعقلون.

والأقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الحق، وإضافة الأقفال إلى القلوب للتنبيه على أن المراد بالقلوب بمنزلة الأقفال للأبواب، ومعنى الآية أنه لا يدخل في قلوبهم الإيمان، ولا يخرج منها الكفر؛ لأن الله سبحانه قد طبع عليها[1]، بسبب كفرهم وإصرارهم عليه.

وصفة التدبر المطلوب من قارئ القرآن: (أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظه، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر وال مما قصّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوّذ، أو تنزيه نزّه وعظّم، أو دعاء تضرّع وطلب)[2].

يقول الإمام محمد عبده في الموضوع أيضا: (إن الاستهداء بالقرآن واجب على كل مكلف في كل زمان ومكان، فعلى كل قارئ أن يتلو القرآن بالتدبر، و بفهمه والعمل به، ولا شك أن كل من له معرفة – ولو قليلة – باللغة العربية، فإنه يفهم من القرآن ما يهتدي به)[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[ق:37]،يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني[4]: (أي لمن أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكّر والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه. فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكّر، كأنه قد عدم القلب؛ من حيث عدم الانتفاع به، وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه، كما يجعل الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان إليه، و لمن رؤية ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة، بمنزلة من لا سمع له ولا بصر)[5].

---

(1)الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى – 1414 هـ، (5/ 46).

(2)السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 1394هـ/ 1974 م، (1/ 369).

(3)محمد رشيد رضا: تفسير المنار (1/ 370).

(4) عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ–1078م) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة، من كتبه " أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز". ينظر: الزركلي: الأعلام (4/ 48).

(5)الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ – 2001 م، (ص 198).

ونظرا لعظَم قيمة القرآن باعتباره أقدس كلام وأشرف كتاب، كان الاجتهاد في وتلقّي معانيه بالتدبر والتّفكّر من أ نْفَس الـ ـمهمّات، فكانت لهذه العملية شروط لا بد توافرها في المقبل عليه، تحدّث عنها كثيرا علماء القرآن في مصنفاتهم، من بينها ما عنه الإمام بدر الدين الزركشي[1] في مصنفه "البرهان في علوم القرآن" إذ يبين أولاً التي ينبغي لقارئ القرآن التخلّي والتطهُّر منها فيقول:

(أَصلاُلْوُقُو فَـعلَـمعانيالْقُرْآنالتَّد بُّـروالـ تَّـفكُّر، واعلَمأَ نَّـهلَايحصلُللنَّاظر فَـهْممعانيالْ لَايظْهرلَهأَسرارالْعلْمه نْـغيبالْمعرفَة، وفيقَلْبهبدْعَةٌ، أَوإصرارعلَىذَنب، أَوفيقَلْبهكـ بْـر، أَوهوى، أَ لدُّ نْـيا، أَويكُو نْـغ يـ ـرمتحقِّقالْإيمان،
أَوضَعيفالتَّحقيق، أَومعتمداعلَىقَولمفَسِّرلَيسعنْدهإلَّاعلْمبظَاهر، أَويكُو نْـراجعاإلَىمعقُوله، وهذه كُلُّهاحجبوموانع، وبعضُها أوكدمنبعض)[2].

ثم يبين الإمام ما ينبغي للمتدبر من التّحلّي به من الصفات تُجاه كلام ربه، فيقول:

([أن يكون] الْعبْدمصْغياإلَىكَلَامربِّه، مُلْقيالسَّمعوهوشَهيدالْقَلْبلمعانيصفَاتمخَاطبه، نَاظرًاإلَىقُدْرته، تَا ركًاللْمعْهُودمنعلْمهومعقُوله، متـ بـرِّئًامنحولهو قُـوَّته، معظِّماللْمتكَلِّم، مُفْتَقرًاإلَىالـ تَّـفَهُّم بحالٍ يم، و قَـلْبسليم، و قُـوَّةعلْم، وتمكُّنسمعلفَهمالْخطَاب، وشهادةغَيبالْجواب، بدعاءوتضَرُّعوابتئَ مسكُن، وانتظَارللْفَتحعلَيهمنعندالْفَتَّاحالْعَليم)[3].

فالخطوَة الأَولَى نحوَ علاجَ الإعرَاض عن القرآن والعمل به –بعد تجديد النية والعزم– تكمن في اقتطاع المؤمن من ساعات عمره و قْـتا يوميًّا –في الصباح أو المساء– يُخصّصه لورد من القرآن يلتقي فيه مع كلام رب العزة، قراءةً ومُدارسةً وتد بُّرا

المبحث الثاني: التوجه نحو القرآن،

---

(1) الزّرْكَشي (745 – 794 هـ = 1344 – 1392 م) محمدبنبهادربنعبداللهالزركشي، أبوعبدالله، بدرالدين: عالمبفقهالشافعيةوالأصول. تركيالأصل، مصريالمولدوالوفاة. له: "البرهان في علوم القرآن"، "البحر المحيط في أصول الفقه"... ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 60).

(2) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهانفيعلومالقرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى: 1376 هـ – 1957 م، (2/ 180–181).

(3) المصدر السابق نفسه.

اتّباعًا وعملًا به في الحياة

لا قيمة للإيمان بالقرآن وتلاوته ما لم تصاحبه نيةٌوحرص واجتهاد على اتّباعه، والعمل به والاهتداء بهديه، فهذا هو المعيار الأساس لمدى قرب المرء أو بعده عن ربه تعالى وكتابه الكريم.

يقول سيد قطب في مقدمة تفسيره لكلام الله عز وجل عن أهمية الاتّباع العملي للقرآن، والاجتهاد في تنزيل تعاليمه على أرض الواقع:

«... إنه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة.. إلا بالرجوع إلى اللّه... والرجوع إلى اللّه -كما يتجلى في ظلال القرآن- له صورة واحدة وطريق واحد.. واحد لا سواه... إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج اللّه الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم... إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها. والتحاكم إليه وحده في شؤونها.الاحتكام إلى منهج اللّه في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار، إنما الإيمان... أو...فلا إيمان ...﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

والأمر إذَن جِدّ.. إنّه أمر العقيدة من أساسها.. إنّ هذه البشرية -وهي من صنع اللّه- لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع اللّه، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي من يده – سبحانه – وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق، وشفاء كل داء»(1).

ومما يؤكّد قيمة اتباع منهج القرآن وتوجيهاته في الحياة الواقعية للفرد والجماعة، وأنه لا يصح إيمان بدون عمل واتّباعٍ لهدايات الرحمن؛ ورود عشرات الآيات التي تأمر باتباع ما أنزل الله من الحق في التشريع والاعتقاد، وعدم اتباع غيره، مع بيان آثار ذلك وحكمته، من الآيات الأولى في القرآن -عقب ذكر قصة ابتلاء سيدنا آدم وحواء- قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨).

---

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن، (1 / 15).

من تبع هدى الله الذي أنزله في كتبه-واحتوى خلاصته القرآن- سيأمن من الخوف مما يتوقعه من مصائب، كما يأمن من الحزن مما أصابه من مكروه أو مما فقده من محبوب، لأنه موقن بأن الأمر كله لله، وأن ما أصابه فيه كل الخير له، وإن لم يدرك الحكمة... هذا الأثر لاتباع هدى الله يتمثل في الجانب النفسي الشعوري والاعتقادي للإنسان -وهو الأساس- إذ ينعم من خلاله بالأمن والاستقرار فلا خوف عليه ولا حزن.

كما تتجلى فائدة اتباع هدى الله في جانبه السلوكي، فلا يضل في شعاب الحياة المتشابكة، في علاقته بنفسه ومعاملته لخالقه ولما ومن حوله من الخلق، قال تعالى: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾(طه: ١٢٣).

وفي سياق بيان الله تعالى لدلائل وحدانيته في صفحات الكون الرحيب؛ يعرض مشهدا من مشاهد القيامة وهو تبرُّؤ المتبوعين من الذين كانوا يتبعونهم في الحياة الدنيا بغير علم ولا هدى.. يحذّر المولى تعالى الأتباع من اللحظة التي يتمنون فيها العودة للدنيا ليتبرؤوا من متبوعيهم؛ كما تبرؤوا منهم أمام الله يوم العرض، وهي صورة فيها زجر عن اتباع غير ما أنزل الله تعالى في كتابه، لأن الخالق الرازق هو صاحب الحق وحده في تشريع النظام لحياة الإنسانية، والذي أودعه كتابه الكريم.

يقول عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ(166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ(167)﴾(البقرة: 166-167)،والدافع الأساسي لاتباع غير ما أنزل الله؛ هو اتباع خطوات الشيطان الذي لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، يقول تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة: 168).

ومن جملة اتباع خطوات الشيطان -كما يبين سياق تلك الآيات- اتباع موروث الآباء كما هو، وتقليده تقليدا سلبيا ولو كان مخالفا لهدى الله، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً

يـهتدون﴾ (البقرة: 170) يردّهم هنا إلى فطرهم ليتفكروا فيما يفعلون من تقليد للآباء أهو أمر يوافقه العقل؟ أم تستسيغه الفطرة؟

ويقول تعالى عنهم في موضع آخر: ﴿وإذا قيل لهم اتّبعوا مآ أنزل الله قالُوا بل ما وجدنا عليه ءابآءنآ أولو كان الشّيطان يدعوهم، إلىٰ عذاب السّعير﴾ (لقمان: 21)يستنكر عليهم الخطاب هنا عدم اتباعهم للحق، ولو كان الداعي لهم –وهو الشيطان– يدعوهم إلى عذاب السعير؟

وفي بيان منزلة سنة الرسول من الهدى الذي أنزله الله، يؤكد القرآن أن اتباع الرسول هو الموجب لمحبة الله لعبده، وأن طاعة الرسول هي من طاعة الله.

﴿قُل ان كُنتُم تحبُّونَ الله فاتّبعوني يحببكُم الله و يـغفر لكُم ذُنوبكُم والله غفُور رَّحيم(31) قُل اطيعوا الله والرّسول فإن تـولوا فإنّ الله لاَ يحبُّ الْكافرين(32)﴾(آل عمران: 31-32).

ولا يكتفي القرآن بالدعوة والترغيب في اتباع هدايته، بل ويحذر ويهدّد الإنسان الذي بلغته الآيات، وتبين له الهدى من الضلال، ثم مع ذلك لم يتبعه.. توعده بأسوء المصير، عذاب جهنم والعياذ بالله، يقول تعالى: ﴿ومن يُشاقق الرّسول من بـعد ما تـبيّن له و يـتّبع غـير سبيل الْمومنين نـوله ما تـولّىٰ ونصله جهنّم وسآءتُ مصيرا﴾(النساء:

يقول الإمام الشعراوي في معنى "المشاققة": (وكلمة «يشاقق» تدل على أن شقاً قد حدث في أمر كان ملتحماً، مثلما نشق قطعة الخشب فنجعلها جزئين بعد أن كانت واحدة. وأنتم أيها المؤمنون قد التحمتم بمنهج رسول الله إيماناً، واعترفتم به رسولا صدق عن الله، فإياكم أن تشرخوا هذا الالتحام.فإن جاء حكْم وحاول أحد المؤمنين أن يخرج عنه، فهذا شقاق للرسول والعياذ بالله. أو المعنى ومن سلك غير الطريقة التي جاء الرسول بأن صار في شقٍّ، وشرع الله في شقٍّ آخر..)[1].

وقد لخّص الله تعالى في آية واحدة ما يجب على العباد اتباعه، وما لا يجب عليهم اتباعه، وذلك إثر الوصايا العشر التي أوصى بها الله نبيّه الكريم في أواخر سورة الأنعام إذ قال عز من قائل: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولاَ تـتّبعوا السُّبل فـتـفرّق

(1)الشعراوي: تفسيرالشعراوي (5/ 2630)

سبيله ذَٰلكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153).

يَقولَ الشيخ محمد رَشيد رضا في تفسير الآية:

«... هَذَا الْقُرْآنَ الَّذي أَدْعُوكُم به إِلَى مَا يُحْيِيكُمْ: هُوَ صراطي ومَنْهَاجِي الَّذِي أَسْلُكُهُ إِلَى مرضاة الله تَعالَى ونَيل سعادة الدُّنْيا والْآخِرَة – أُشير إِلَيْه مستقيما الاسْتقامَة لا يَضِلُّ سالِكُهُ، ولا يَهتدي تارِكُه، فاتَّبِعوه وَحْدَهُ ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبل الَّتِي تُخَالِفُه وهي كَثيرَةٌ فَتَتَفَرَّقُ بِكُم عن سَبيله، بحَيْثُ يَذْهَب كُلٌّ مِنْكُمْ فِي سَبيلِ ضَلالَة مِنْهَا يَنتهي بها إِلَى الْهَلَكَة، إِذْ لَيس بَعدَ الْحقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ، ولَيس أَمام إِلاَّ الظُّلُمَاتُ»(1).

وحين نستقرأ الآيات التي ورد فيها موضوع "الاتباع" نجد فيها دعوةً وتحذيرا، ترغيبا وترهيبا، اتباعا إيجابيا واتباعا سلبيا.. فلم يكتف القرآن بالأمر باتباع نهجه وسبيله الموصلة إلى النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، بل أطال وفصل في التحذير من اتباع السبل الأخرى المهلكة، ذلك أنه تعالى الخبير بنفوس عباده وما جبلت عليه من الطباع، وما افتتنت به في هذه الحياة من طرق الغواية والضلال–ورحمةً بعباده– أراد أن يقيم عليهم الحجة، ويبين لهم كل السبل المضلّة عن سبيله ليحذَروها، ويستعيذوا بالله وحده منها اتبع ما أوحي إليك من ربك...

جعل الله من سنته في دعوة الأنبياء أن يقابلها أكثر الناس بالتكذيب والكفران والاستهزاء، كما قال تعالى: ﴿وكَم أَرسَلْنَا من نَّبِيء في الأَوَّلين(6) وما يأتيهم مِّن نَّبِيء إلاَّ كَانُوا به يستَهْزِئُون(7)﴾ (الزخرف: 6-7)، وَما كانَ خاتم الأنبياء بَدْعا من الرسلَ في هذا الأمر، فقد أذَاقه قومه ألوانا من الاستهزاء، من جملتها اقتراح مقترحات غيبية ليست من صلاحياته؛ طلبوا جوابها منه حتى يصدّقوه، كأنْ يكون معه ملَكٌ أو يأتي بقرآن آخر غير القرآن الذي جاء به، أو يأتي بمعجزة حسِّية تخضع لها أعناقهم.

وقد كان القرآن يسجل كل هذه المقترحات، ويردُّ عليهم بما ينفض عنهم غبار والتيه والشرود، وفي كل مرة يذكّرهم بأن محمدا ليس إلا بشرا مثلهم لكنه رسول مبلّغ عن ربه، يبشرهم وينذرهم، وأنه مأمور –مثلما هم مأمورون– باتباع ما يوحى إليه وليس

(1)محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار (8 / 171)

له أن يزيد أو ينقص أو يعدّل فيه، بل حتى هذا الجواب يلقنه له ربه في كل مرة ليعيده كما هو، مستهلاً بـ " قـل" وليس اختراعا من نفسه، وذلك في أغلب المواضع التي ردّ فيها الله تعالى على مقترحات المشركين المكذبة لدعوة نبيه، من بينها قوله تعالى:

﴿قُل لآَّ أَقُولُ لَكُمْ عندي خَزَآئن الله ولآَ أَعلَمُ الْغيْبَ ولآَ أَقُولُ لَكُم، إنِّي مَلَكٌ ان اتَّبعُ إلاَّ ما يوحىٰٓ إليَّ قُل هَل يستوي الاعمىٰ والبصير أفلا تـ تـفكرون﴾ (الأنعام: 50)، تشبيه المتَّبع لمنهج الله بالبصير.. والمعرض عنه بالأعمى، لعلهم يتفكرون في هذه الحال إلى حسِّهم وإلى حسِّ كل قارئ.

ويقول تعالى أيضا: ﴿اتَّبع مآ أُوحي إلَيْكَ من رَّ بـ ـِّكَ لآَ إلَه إلاَّ هُو وأَعرِضْ عنِ الْمُشْـركين﴾ (الأنعام: 106).

ويقول أيضا: ﴿وإذَا لَم تاتهم بئاية قَالُوا لَوْلاَ اجتـ ـيـ ـتـها قُل انَّمآ أَتَّبعُ ما يوحىٰٓ من رَّ بـ ـِّي هَذا بصآئر من رَّ بـ ـكُم وهدًى ورحمةٌ لِّقوم يومنُون﴾ (الأعراف: 203).

يبين الشيخ رشيد رضامعنى هذه الآية بقوله: «وإذا لم تَأْتهم أَ يُّـها الرَّسولُ بآية قُـرآنيَّة، تـراخى نـزولُ الْوحي زمنا ما، قَالُوا:لَولا ا فْـ تـعلْت نظْمها وتأْليفها واخـ تـرعْـ تـها من إذَا لَمْ تأْتهم بآيَة ممَّا ا قْـ تـرحُوا عليْك قَالُوا: هلَّا جباها الله لَك بأنْ مكَّنك مـ نـ ـها لَنا ؟ قُلْ إنَّما أَتَّبعُ ما يوحى إلَيَّ من ربِّي فما أنَا بمبتدع، ولا مجتب لشيء من آيات الْقرآن بعلْمي وبلاَغتي، بل أَنا عاجز عن مثله كعجزكُم وعجز سائر الإنْس والْجنِّ»[1].

ويقول تعالى: ﴿وإذَا تـ تـلَىٰ عليهم، ءايا تـنا بـ يـنَّات قَالَ الذين لاَ يـ رجُون ايت بقرءان غير هذآ أَو بدِّلْه قُل ما يكُون لي أَنْ ابدِّلَه، من تـلْقآء نـفسي إن اتَّبع إلاَّ ما يوحىٰٓ إليَّ إ نِّي أَخَافُ إنْ عصيت ر بـ ـِّي عذَاب يـ ـوم عظيم﴾ (يونس: 15).

ويقول تعالى أيضا: ﴿واتَّبع ما يوحىٰٓ إلَيك واصبر حتَّىٰ يحكُم اللهُ وهو خـ يـ ـر الْحاكمين﴾ (يونس: 109).

في معنى الآية الأخيرة يقول الشيخ محمد متولي الشّعراوي:

«أي: عليك أن تكون الأسوة، وحين تتَّبع ما يوحى إليك؛ ستجد عقبات ممن يعيشون على الفساد، ولا يرضيهم أن يوجد الإصلاح، فوطِّن العزم على أن تتبع ما يوحى

(1)محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار (9 / 459-460)

إليك، وأن تصبر.

ومجيء الأمر بالصبر دليل على أن هناك عقبات كثيرة، وعليك أن تصبر وتعطي النموذج لغيرك، والثقة في أنه لو لم يكن هناك خير في اتباع المنهج لما صبرت عليه؛ يأتي حكم الله... وليس هناك أعدل ولا أحكم من الله سبحانه وتعالى»[1].

ويقول تعالى أيضا في وجوب الاتّباع لما يوحي به؛ من دون غيره:

﴿واتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا (الجاثية: ١٨).

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩).

يقول سيد قطب في تفسير آية الأحقاف الأخيرة:

«إنه –صلى اللّه عليه وسلم– ليس أولَ رسول. فقد سبقته الرسل. وأمره كأمرهم. وما كان بدْعًا من الرسل... فهو لا يمضي في رسالته لأنه يعلم الغيب أو لأنه يطّلع على ما يكون من شأنه وشأن قومه وشأن الرسالة التي يبشر بها. إنما هو يمضي وفق الإشارة وحسب التوجيه، واثقًا بربه، مستسلما لإرادته، مطيعا لتوجيهه، يضع خطاه حيث قادها اللّه.

وإنه لأدب الواصلين، وإنها لطمأنينة العارفين، يتأسون فيها برسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم– فيمضون في دعوتهم للّه. لا لأنهم يعرفون مآلها، أو يعلمون مستقبلها. أو يملكون فيها قليلا أو كثيرا. ولكن لأن هذا واجبهم وكفى. وما يطلبون من ربهم برهانًا؛ فبرهانهم في قلوبهم. وما يطلبون لأنفسهم خصوصية فخصوصيتهم أنه اختارهم. وما يتجاوزون الدقيق الذي خطّه لهم، ورسم لهم فيه مواقع أقدامهم على طول الطريق»[2].

هذا هو إذن سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، الاتباع لما يوحى إليه من ربه والاستسلام لقدره الشرعي الذي ليس له فيه من حظ ولا نصيب "إن هو إلا وحي يوحى"، وهو خطاب بعد ذلك لكل مؤمن أراد الفلاح في الدنيا، والنجاة والفوز بالنعيم في الآخرة.

---

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي، (1 / 4106).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن، (6 / 3257)

ولا تتبع أهواءهم...

وما يلاحظ عند استقراء الآيات التي يؤمر فيها الرسول باتباع منهج ربه، والإبلاغ بذلك لكل من يدعوهم إلى الله، أن القرآن لا يكتفي بهذا الأمر، بل يحذّره من اتباع أهواء الناس على اختلاف مِلَلهم ونحلهم، لئلا تصرفه عن سبيل ربه الحق، فقد حذّره تعالى من اتباع أهواء الذينَ أوتوا الكتاب من قبله: اليهود والنصارى، في تقرير حازم صارم لا محاباة فيه -وهو حبيب الله وصفيُّه- وأنه لو مال إلى ما تهواه أنفسهم -في سبيل هدايتهم- بعدما جاءه من علم الوحي، فلن ينصره أحد من عذاب الله، يقول تعالى:

﴿ولَن تـرضَىٰ عنكَ الْيـهودُ ولاَ النَّصارى حتَّىٰ تـتَّبعَ ملَّتـهم قُلْ انَّ هُدَى اللهِ هو ا تَّـبـعتَ أَهْوَآءهم بـعْد الذي جاَءكَ من الْعلْم ما لَكَ من اللهِ من وَّليٍّ ولاَ نَصيرٍ﴾ (البقرة:

ويأتي ذات التهديد للنبيَ في موضَع آخَر إن هوَ اتّبعَ أهواءَ أهل الكتَابٌ، تهديد بالحكم عليه أنه من الظالمين؛ إن هو فعل ذلك:

﴿ولئن ا تـيتَ الذين أُوتُواْ الْكتاب بكُلِّ ءاية مَّا تبعُواْ قـبْلَتك ومآ أَنت بتابعٍ قـبْلَتهم وما بـعضهم بتابعٍ قـبْلَةَ بـعضٍ ولَئنِ ا تَّـبـعتَ أَهوَآءهم مِّن بـعد ما جآءكَ إذًا لَّمن الظَّالمينَ﴾(البقرة: ١٤٥).

وَيقول تعاَلى في هذا السياق أيضا:

﴿وأَنزلْنآ إِلَيْكَ الكتَاب بالْحَقِّ مصدِّقًا لِّما بـين يديْه من الكتَاب ومهيمنًا علَيه فَاحْكُم بـيـنـهم بمآ أَنزلَ اللهُ ولاَ تـتَّـبع اهوَآءهم عَمَّا جآءكَ من الْحَقِّ لكُلٍّ منكُم شرْعَةً ومنـْهاجا...﴾ (المائدة: ٤٨).

يقول محمدَ رشيد رضا في معناها: «أي ولاَ تـتَّبع ما يـهْوونَ، وهُو الْحكْم بما علَيهم ويخفُّ احتمالُه، مائلا بذلك عمَّا جاءك من الْحقِّ الذي لا مرية فيه ولا ريب، وَلو إلى ما صحَّ من شريعتهم بما نـقُصُّه علَيك منـْهَا»(1).

ويقول تَعالى بَعدَ ذلَك: ﴿وأَنُ احكُم بـيـنـهم بمآ أَنزلَ اللهُ ولاَ تـتَّـبع واحذَرهَم، أَنْ يـفْتنُوكَ عنۢ بـعضِ مآ أَنزلَ اللهُ إِلَيك فَإن تـولَّواْ فاعْلَم انَّما يريد اللهُ أَن يُّصيـبـهم بـبـعضِ ذُنُوبهم وإنَّ كَثيرا مِّن النَّاسِ لَفاَسقُونَ﴾ (المائدة: ٤٩).

(1)محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار(6 / 341).

«أي أنزلنا إليك الكتاب فيه حكم الله، وأنزلنا إليك فيه: أن احكم بينهم إليك فيه، ولا تتبع أهواءهم بالاستماع لبعضهم وقبول كلامه، ولو لمصلحة في الحكم؛ كتأليف قلوبهم وجذبهم إلى الإسلام، فإنّ الحقّ لا يتوسّل إليه بالباطل، أن يفتنوك؛ أي يستزلّوك باختبارهم إيّاك، وينزلوك عن بعض ما أنزل الله إليك بغيره»(1).

ويأتي من أواخر السُّور -في الترتيب المصحفي- التي تحذّر الرسول من اتباع أهواء المعرضين والمكذّبين لدعوته؛ في تقرير حازم وبكلمات وجيزة لخّصت له الموقف الذي يجب أن يواجههم به، وهو أن يدعوهم إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه، وأن يستقيم هو على دعوته، كما يعلّمه ربه تعالى حرفيًّا ما يقوله لهؤلاء الجاحدين "وقل ءامنت..." في بيان وظيفته الرسالية... يقول تعالى في سورة الشورى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فلذلك فادع واستقم كمآ أمرت ولا تتبع أهوآءهم وقل ءامنت بمآ أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنآ أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (الشورى:

يقول الإمام الرازي في معنى هذه الآية:

(يعني فلأجل ذلك التفرق، ولأجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين، فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة إليها، كما أمرك الله، ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة. "وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب" أي بأي كتاب صح أن الله أنزله، يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة..

ثم قال: "وأمرت لأعدل بينكم" أي في الحكم؛ إذا تخاصمتم فتحاكمتم إلي، قال القفال: معناه أن ربي أمرني أن لا أفرق بين نفسي وأنفسكم، بأن آمركم بما لا أعمله، أو أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، لكني أسوي بينكم وبين نفسي، وكذلك أسوي بين أكابركم وأصاغركم فيما يتعلق

حين نتأمل جملة النصوص القرآنية التي نزلت في سياق أمر خاتم الأنبياء باتّباع ربه كما أنزله، ثم تحذيره من اتّباع أهواء المكذّبين له، بل وتهديده بأشدّ العذاب،

---

(1)المصدر السابق (6 / 348).

(2)الرازي: مفاتيح الغيب (27/ 589).

المصير إن هو مال إليهم ولو شيئا قليلا، لأن اتّباع الهوى سبب خطير في الشقاء كما قال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

ورغم مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، وكونه أفضل الخلق، وهو أخشاهم لربه وأتقاهم له.. مع كل ذلك يأتيه التهديد من الركون إلى المكذّبين؛ ولو شيئا قليلاً: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا(74) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا(75)﴾(الإسراء: 74-75)

بمعنى: لولا أن ثبتناك يا محمد في إيمانك، وأمددناك من القوة والشجاعة، ما جعلك صامدا لا تتزلزل عن موقفك قيد أنملة؛ كدت تركن إليهم شيئا قليلاً.

وتهذيب النبي وتربيته من ربه، من ورائها توجيه الخطاب إلى أمته من بعده، لأنه يصدر منه مثل هذا الذي حذّره الله منه، فالعبرة هنا في أن يثبت المؤمن على دينه وقيمه، مهما ضعف أمره ووهن حاله، ومهما قوي سلطان غيره، فلا يجوز له أن إليه، أو يترك شيئا من كتاب ربه، رغبة أو محبة فيه[1]، أو حتى رهبة منه.

يستفاد من كل هذا أن العلاقة الحقيقية بين الإنسان والقرآن هي علاقة الإيمان والاستيقان به، ثم العمل بهوالاتباع لهدايته، ولا ينفعه شيء آخر بعد ذلك.

كما يبين المولى تعالى لرسوله الكريم ولأمته من بعده، أنّ كثرة الناس أو قلّتهم معيارا للاتّباع والطاعة، إنما الاعتبار هو "ما أُنزل من عند الله"، بغض النظر عن من يتبعونه.. بل إن أكثر الناس لا يتبعون إلا الظن: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾(الأنعام: ١١٦).

(لأنالأكثرفيغالبالأمريتبعونهواهم،ثمقال:"إِن يَتَّبِعُونَإِلَّاالظَّنَّ"وهوظنهمأنآباءهمكانواعلىالحقفهميقلدونهم."وَإِنْ هُمْإِلَّايَخْرُصُونَ"يقدّرونأنهمعلىشيء.
أويكذبونفيأنالله حرمكذاوأحلكذا)[2].

---

(1)بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية-الجزائر، ط2: 2009م، 1/73-74.

(2)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (2/ 60).

ولا تتبعوا خطوات الشيطان...

ولأنّ طريق الهدى واتباع القرآن له قيمة عالية وغالية عند الله تعالى، فقد اقتضت سنته أن يكون محفوفًا بالمكاره؛ ابتلاء واختبارا لإيمان المؤمن، ومن أبرز تلك المكاره.. عداوة الشيطان للإنسان؛ المتمثلة في نزغاته ووساوسه وغوايته، ورحمةً بالإنسان فقد كشف تعالى هذه العداوة في كتابه، وفصل في المداخل التي يدخل بها إلى نفس المؤمن ليصدّه عن الهدى، حتى يحذرها المؤمن ويستعيذ بالله منها. ومن بين تلك الآيات المحذّرة من اتباع خطوات الشيطان قوله تعالى:

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 168).

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة: 208).

﴿..كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ 142).

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ فَإِنَّهُ يَامُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَّشَآءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(النور: ٢١).

كما يجيء التهديد بالعذاب الشديد لكل من يتبع سبل الشيطان، مع بيان تهافته وضعف كيده، وأنه ليس له سلطان على العباد؛ أي لا قوة ولا قهر له عليهم إلا من اتّبعه منهم، وهو مريدقاصدلذلك، ومن بين المواطن التي ورد فيها هذا البيان:

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ، أَجْمَعِينَ﴾(الأعراف: 18).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ (الإسراء: ٦٥).

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُّومِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ: ٢١)(1).

(1)ومن بين المواطن الأخرى التي ورد فيها هذا البيان أيضا:

ومن رحمة الله على عباده أنه بين صور العداوة وأنواع الحيل، والوسائل التي يتخذها الشيطان ليجلب الخلق إلى اتباعه، وهذا كله ليحذَرها الناس ويتّقُوها، ومن بينها استفزازهم بوسوسته، والمداومة على الجلَبة عليهم لإزعاجهم وصدِّهم عن مقاومته، ومشاركتهم في الأموال والأولاد بتزيين سبل الحرام في كسب المال وإنفاقه، وتزيين العلاقات المحرمة، ووعد أوليائه بالكسب والسعادة في طريق المعصية؛ كما أخبر عن المولى تعالى بقوله: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾(الإسراء: ٦٤).

وإذن فهما طريقان يسلك المرء أحدهما في الحياة... يتبعه ويقتفي أثره ويتولّى -لا ثالث لهما- إما سبيل الرحمان: ﴿اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وإما سبيل الشيطان: ﴿ولا تتَّبِعُوا من دونه أوليآء قليلاً مَّا تذكرون﴾ (الأعراف: ٣).

﴿.. قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لأَمْلأَنَّ جهنَّم منكَ وممَّن تبعكَ منهُم، أجمعين﴾ (سورة ص: 84-85).
﴿قَالَ اذْهبْ فمن تبعكَ منهُم فإنَّ جهنَّم جزآؤُكم جزآء مَّوْفُورًا﴾ (الإسراء: 63).=
﴿إنَّ عبادي ليس لكَ عليهم سلْطَانٌ الا من اتَّبعك من الْغاوين﴾ (الحجر: 42).
﴿إنَّهُ، ليس له، سلْطَانٌ علَى الذين ءامنوا وعلى ربِّهم يتوكَّلُون﴾ (النحل: 99).
وسنتطرق بالتفصيل -إن شاء الله- لهذا الموضوع في المبحث الرابع من هذا الفصل بعنوان:"التيقظ لعداوة الشيطان ومداخله إلى النفس" ص 222 وما بعدها.

المبحث الثالث: الأسس الثلاثة لتحقيق الوصال مع القرآن الكريم

(الصلاة، تزكية النفس، والذكر الكثير)

بعدما بيّنا فيما سبقضرورة العودة الحقيقية إلى منهج الله تعالى، عودة الاتباع والعمل به، وتجديد الوصال مع كتابه الكريم، بتعهّد تلاوته وتدبّره باستمرار ابتغاءلمرضاته تعالى،وتحقيقًالصلاحنا وصلاح أحوالنا في الدنيا والآخرة، إذ ما في ذلكً شكٌّ، بقي أن نتساءل عن الكيفية والمنهج.. أو ما هو السبيل إلى ذلك؟ من خلال التأمل في كتاب الله وجدنا أن ذلك يتحقق بإذن الله من خلال ثلاث قنوات أساسية:

القناة الأولى: الصلاة

وهي الصلة مع الله تعالى، وتوجيه المقصد والوجهة إليه عن طريق كتابه العظيم.وتتضمنركيزتين أكّد عليهما القرآن أكثر من الأركان الأخرى وهما: السجود والتسبيح.

1-السجود: الاعتراف طواعية، والقبول باقتناع، والخضوع والاستسلام بالقلب لحكم الله وأمره، وقضائه وقَدَره.

2-التسبيح: تحويل سجود القلب وقناعته إلى فعل وسلوك؛ تترجمه الجوارح والأعضاء -وهو ما يمكن تسميته بالتسبيح العملي-.

القناة الثانية: تزكية النفس

وهي تفعيل وتنمية الصفات الإيجابية التي جُبلت عليها النفس، وحمايتها من الصفات السلبية التي بداخلها، وتطهيرها ممَّا ألمَّ بها مَن معاصٍ وذنوب.

القناة الثالثة: الذكر الكثير

الذّكر بمثابة الماء الطّهور الذي يطهرنا من الذنوب، والمنبه الذي يوقظنا من غفلتنا عن الله واشتغالنا بالدنيا، إذ يذكّرنا ربنا تعالى في كل حين؛ بالقرآن وبأحداث الحياة المختلفة، حتى نرجع عن ذنوبنا وأخطائنا -لأن الخطأ من جبلّتنا- ونستفيق من سباتنا الرُّوحي.

وسنتطرق بالتفصيل والتحليل لهذه القنوات الثلاث؛ خلال المطالب الآتية بحول الله.

المطلب الأول: الصلاة (أو الصـــلة بالله)

ذُكرت الصلاة (99)تسعا وتسعين مرة في القرآن -بمشتقاتها اللغوية المختلفة- والمعنى الأول الذي ينبغي أن تنصرف إليه أذهاننا هو الصلاةُ،بمفهومها الفقهي المعروف بركوعها وسجودها وأركانها... لكن لو تأملنا وتساءلنا لماذا ورودها بكل هذا الحجم؛رغم أنها لا تأخذ من وقتنا في اليوم والليلة إلا ساعةً أو سويعة؛ مع إقامة أركانها والإتيان بشروطها، لَسَلّم به بداهةً أنّ ورود الصلاة في القرآن بهذا العدد الهائل من الذّكر، مقصده الأساس بيان قيمتها وأهميتها وعظَم شأنها عنده جل وعلا، فكفى بها شرفًا أنها فُرضت على النبي صلى الله عليه وسلمَ ليلة الإسراء والمعراج، عند سدْرة المنتهى[1]، وكفى بها فضلاً إشارةُ القرآن -في أكثر من موضع- إلى مصالحها ومَنافعها التي تعود القائم بها أحسن قيام حين يحافظ ويداوم عليها.

لكن ألا يكون هناك معنى آخر يحتمله هذا المصطلح الشرعي الذي يضم دلالة ركن في الإسلام؛ إذ اعتبره النبي الحجاب الفاصل بين الكفر والإيمان في الحديث (ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة)[2]؟.

---

(1) أخرج المحدّثون حديثا مطوّلاً عن مناسبة فرضية الصلاة، روي فيه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصف حادثة الإسراء والمعراج التي افترضت فيها الصلاة؛ حيث يقول:

(... ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ "، قَالَ: " فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "، قَالَ: " فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، قَالَ: " فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً...) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صَحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الإيمان / باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات. حديث رقم 259، 145/1.

(2)رواه ابن حبان: صحيح ابن حبان – كتاب الصلاة، باب الوعيد على ترك الصلاة – حديث:1469، الجامع للحديث النبوي.

نقول: أجل، يبدو أن هناك معنى أعظم وأعمق للصلاة –إضافة إلى المعنى الفقهي المشهور– وهو معنى الوصل والصلة بالله، هذا المعنى الذي لا تنقطع حاجة العبد إليه في أي وقت من أوقاته من ليل أو نهار، ولا في أي مكان يتواجد به حالاً أو أن يصل حبله بحبل خالقه: يذكره بعد غفلته عنه ويناجيه، يسبحه ويلهج بالشكر والثناء عليه، يرجو رحمته ويخشى عذابه، يدعوه لخيري الدنيا والآخرة، بل ويضرع إليه كلّما ألمت به الشّدائد والكُربات، راجيا منه كشفها وتصريفها، موقنا بأنّه لا كاشف لها إلا –سبحانه وتعالى في عليائه–.

هذه الصلة لا تكون إلا بالقلب؛ لأنه المضغة التي بصلاحها؛ صلاح الذات كلها، فما أحوج العبد إلى قلب موصول بخالقه، مادام مفتقرا إلى مدده ورحمته في كل لحظة وحين... فالصلة تعني ممّا تعني:"أن يتوجه العبد إلى كتاب ربه ليتلقّى منه الهدى بشأن نفسه وفي وصف ربه، والمنهاج الذي ينبغي أن يسير عليه في حياته"، حتى يسعد ويصلُح معاشه ومعاده، وأغلب الآيات في موضوع الصلاة جاءت بصيغة "الإقامة: أقم الصلاة، أقيموا الصلاة، يقيمون الصلاة..." ومن أمثلة ذلك:

﴿إنّ الذين ءامنواْ وعملُواْ الصّالحات وأقاموا الصّلاةَ وءاتوُاْ الزّكاةَ لهُم عندَ ربِّهم ولاَ خوفٌ عليْهم ولا هُم يحزنُونَ﴾ (البقرة: 277)

﴿والذين يُمسِّكُونَ بالْكتاب وأقاموا الصّلاةَ إنّا لاَ نُضيعُ أجْرَ الْمُصْلحين﴾ (الأعراف: 170)

﴿قُل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصّلاةَ وينفقُوا ممّا رزقْناهم سرًّا وعلانيةً مِّن قبْلِ أنْ يأتي يوم لاّ بيعٌ فيه ولاَ خلالٌ﴾ (إبراهيم: 31)

﴿وقالَ اللّهُ إنِّي معكُم لئنْ أقمتم الصّلاةَ وءاتيْتُمُ الزّكاةَ وءامنتُم برسُلي وعزّرتموهم وأقْرضتم اللهَ قرْضا حسنا﴾ (المائدة: 12)

يقول سيد قطب في شأن هذه الصلة:

(... والقلب الذي يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق.. وهذا

مصدر قوة للضمير، كما أنه مصدر تحرُّج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك[1].

وبالتأمل في كتاب الله نجد السجود والتسبيح؛ يشكلان أهم مكوِّنين من مكونات الصلاة الشرعية ذكرا وورودا، فماذا يعني هذا التركيز عليهما؟ وما علاقته بمعنى الصلة؟

1) مفهوم السـ جـ . . . . . و د

مادة الفعل "سجد" في اللغة،أَصْلٌواحدٌمطَّرِدٌيَدُلُّعَلَىالتَّطَامُنوالذُّلّ،وكُلُّمَاذَلَّفَقَدْسَجَد[2] وخضع.

فالسجود هو خضوع القلب لبارئه تعالى..فبعد أن يخطو العبد أولى خطواته في ربه، ويبدأ التعرف على منهجه من خلال كتابه العظيم، أول ما عليه: أن يستسلم بقلبه لهذا المنهج ويقبله، و يقبل عليه عن طواعية واقتناع، لا عن ضغط خارجي أو إكراه... لقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُومِن فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 256).

فالمَعنى المقصودَ أساسا بالسجود في القرآن، هو سجود القلب أي خضوعه لحكم ربه طائعا، بعد أن يستوعبه ويعترف به، لموافقته الفطرة التي فطر الناس عليها.. فالسجود "إذعان القلب تحت أحكام الرب" كما يذكر العارفون بالله[3].

يقول تعالى في صفة الذين يؤمنون حق الإيمان بئاياته: ﴿إِنَّمَا يُومِنُ بِئَايَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة: 15).

فالتَصديق بآيَات الله،والتكذيببها ضدَّانلايجتمعان، التكذيبهوجحودواستكبار،والتصديقهوسجودوتحقيق،فمناتّصفبأحدالقمين زالعنهالثاني، ومعنى «خَرُّواسُجَّداً»سجدوابظواهرهمفي محراب الصلاة،وفيسرائرهمعلترابالخضوعوبساطالخشوع[4].

وهناك معنى آخر للسجود لا يقل عمقا عن المعنى الذي ذكرناه وهو: "توحد نقطة

---

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن،(1/ 40).

(2)ابن فارس: مقاييس اللغة (3/ 133).

(3)رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1: 1999، ص 457.

(4)القشيري:لطائف الإشارات(3/ 142).

نهاية الشيء مع نقطة بدايته في نفس المستوى"، وحركة السجود في الصلاة موافقة لهذا المعنى، فحين يسجد المصلي ناصبا قدميه؛ ممرِّغًا جبهته على الأرض، فقد توحدت نقطة بدايته (القدمان) مع نقطة نهايته (الرأس) في المستوى نفسه.

وكل شيء في الوجود خاضع لناموس "السُّجود" أي تلاحم نقطة بداية المخلوق مع نهايته؛ في حركة دائرية مستمرة إلى غاية فنائه، وهي دورة الحياة التي تحياها كل الكائنات، فكل شيء يبدأ صغيرا فيتدرج في نموه ويزداد شيئا فشيئا إلى أن يكتمل نموه ونضجه ثم يتراجع بالنقصان رويدا رويدا؛ إلى أن ينتهي عند نقطة البدء كما نشأ.

وقد ضرب القرآن مثالاً للنبات في هذا المعنى من معاني السجود، في أكثر من موضع، من ذكره الحكيم، من بينها قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 21).

أي إن في ذكر دورة الحياة تلك تذكيروتنبيه،علىأنهلابدّمنصانعحكيم،وأنذلككائنعنتقديروتدبير،لاعنتعطيلوإهمال..كما تحتمل هذه الآيةأنتكونمثلاللحياة الدنيا(1)، وسرعة تقضّيها، وتقارب مراحلها وأطوار فيها.

والإنسان خاضع لهذا الناموس كذلك: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

فهي أطوار أربعة، ما أقلّها وما أقصرها!هذا إذا لم يحدث حادث بينها يختصر فيموت وهو في عنفوان شبابه، فأطوار حياة الإنسان قريبة من بعضها البعض، وهو أمر ملموس نراه ونُحسّه في نفوسنا، وفي المحيطين بنا، بل وفي كل ما خلق الله وأبدع من كائنات حية، فكل كائن ينشأ صغيرا ثم يكبر ويتقوى إلى أن يبلغ كماله، ثم يأخذ في النقصان حتى يفنى ويموت(2).

---

(1)الزمخشري:الكشّافعنحقائقغوامضالتّنزيل (4/ 122).

(2)بيوض، إبراهيم: في رحاب القرآن (تفسير سورة الروم)، ط: 2001م، 333/10.

ويقول تعالى في هذا الموضوع أيضا:

﴿ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال﴾ (الرعد: 15)

﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الارض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ (النحل: 49)

والسماوات والأرض ساجدة لخالقها طواعيةً كما قال جل شأنه: ﴿ثمّ استوى إلى السمآء وهي دخانٌ فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتآ أتينا طآئعين﴾ يقول الإمام القشيري في معنى الآية: (هذا على ضرب المثل، أي لا يتعسر عليه شيء مما خلقه، فلهم نخلقهما أراده. وقيل: بل أحياهما وأعقلهما وأنطقهما فقالتا ذلك.

أما بني آدم فقد افترقوا فريقين؛ فالمؤمنون منهم أتوا طائعين مختارين فكان سببا لتمكينهم وخلافتهم في الأرض، والجاحدون منهم أبوا إلا أن يسجدوا لربهم مضطرِّين، ذلك أنه رغم رفضهم السجود لله والاعتراف به؛ بوعيهم وإرادتهم، فقد جرت عليهم سننه المادية في خلْقه بإرادته –تعالى- لا بإرادتهم، فالليل والنهار يتعاقبان عليهم، ويجري عليهم المرض، والعجز، والفقر... وكل ما يجري على الأحياء والكائنات من تقلّبات الزمان والمكان، فكان هذا السجود الاضطراري منهم سببا لقيام الحجة عليهم أمام بارئهم، قال تعالى: ﴿ألم تر أنّ الله يسجد له، من في السّماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوآبّ وكثير من النّاس وكثير حقّ عليه العذاب ومن يهن الله فما له، من مكرم انّ الله يفعل ما يشآء﴾ (الحج: 18).

2) مفهوم التسبيح

التسبيح في اللغة مشتق من الفعل (سبح) وهو أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي والحركة. فالأول السُّبْحة، وهي الصلاة.. والأصل الآخر السَّبح والسِّباحة: العوم في الماء. والسابح من الخيل: الحسن مدّ اليدين في الجري[2].

(1) القشيري: لطائف الإشارات (3/ 322).

(2) ابن فارس: مقاييس اللغة (3/125–126).

قَالَالْمُبرِّدُ:

وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿إنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سبحا طَوِيلاً﴾(المزمل: 7)، نبيه عليه الصلاة والسلام، بمعنى: إنّ لك في النّهارتصرفًاوتقلّبافيمهماتكوشواغلك،ولاتفرغإلابالليل،فعليكبمناجاةاللهأكثر في هذا الوقت لأنّه خصوصا، الذييقتضيفراغالبالوانتفاءالشّواغل[2]،فَلِهَذَاالسَّبَبأَمَرَتَكَبالصَّلَاةِفِياللَّيْلِ[3].

يقول الإمام الشوكاني في معنى الآية: (أي: تَصَرُّفًافِيحوائجكَوإِقْبالًاوَإِدْبَارًا،وذهاباومجيئا،والسَّبح: الجريوالدَّوران،ومنهالسابحفيالماءلتقلُّبهبيدنهورجليه،وفَرَسسابحٌ: أيٌّ شَديدُالْجَري. السَّبح:الْفَرَاغُ،أي: إنَّلَكَفَرَاغًابالنَّهارللْحاجَاتفصلّباللّيْلِ. قَالَابْنُقُتَيبَة: أَيْتَصَرُّفًاوإِقْبَالًاوَإِدْبَارًافِيحوائجكَوأَشْغَالكَ)[4].

نخلُصُ من المعاني السالفةَ الذكر حَول مادة "سبح" التي اشتقّ منها التّسبيح، أنّ هذا المصطلح "التّسبيح"يعني في بعده الإيماني والرُّوحي:

ترجمة القلب لما آمن به من قيم توحيدية حقيقية؛ إلى أعمال تُنفّذها جوارح الإنسان، بأن تقوم كل جارحة بما خلقت لأجله أي وظيفتها القدرية أو الكونية، فالعينان تسبحان وتسبيحهما التأمل في الملكوت، وتعلُم العلمِ، وتدبُر الذكر الحكيم. والأذنان تسبحان؛ وتسبيحهما سماع الحق والحكم به، والرِّجلان تسبحان وتسبيحهما السعي في سبل الخير، وعمارة الأرض، وقضاء حوائج الناس... وهكذا سائر الأعضاء والجوارح.

والإنسان حين يسير على هذا الخطّ من التّسبيح العملي أو الوظيفي الذي خَلق من أجله، يكون منسجما مع طبيعة الكون الذي خلقه بارئه مسبحا ساجدًا بالفطرة، كما جاء في آيات كثيرة، من بينها قوله تعالى:

﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطُّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ

(1)الرازي:مفاتيحالغيب (30/ 686)

(2)الزمخشري: الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (4/ 639).

(3) الرازي:مفاتيحالغيب(30/ 686).

(4)الشوكاني:فتحالقدير (5/ 380).

صَلاتَه وتَسْبيحَهُ واللهُ عليمٌ بما يَفْعلُونَ﴾(النور: 41).

يقول الإمام الرازيَ في معنى التسبيح الذي تشترك فيه الكائنات مع الإنسان: (الْمرادمنالتَّسبيحِ: دَلالَةُهذهالأَشْياءعلَىكَونها مُتعالِيَة عنالنَّقَائِص، مَوصُوفَابنُعُوت ل...

وذلِكَلأَنَّهَذهالأَشْياءمشْتَركَةٌفيأَنَّأَجْسامهاوصفاتهادالَّةٌعلَىتَنْزيهاللهسبْحانَهُوتَعالى؛ وقُدْرتهوإلهيَّتهو تَوحيدهوعدْله،فَسمِّيذَلكَ تَنْزيهاعلَىوجْهالتَّوسُّع)[1].

وفي تسبيح الطَّيرَ ﴿والطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾يقول الرازي: (الطَّيْرُيسبِّحُونَ،وذَلكلأَنَّإعْطاءالجِرْمالثَّقِيلالْقُوَّةالَّتيبهايَقْوىعلَىالْوقُوففيجَوِّالسَّماءِ؛صافَّةًباجنحتهابمافيهامنالْقَبضوالْبسط..منأَعْظَمالدَّلائلعلىقُدْرةالصَّانعالْمدبِّرسُبْحانَه، وجَعلَطَيرانَهاجوداًمنْهالَهسبحانه،وذَلكَيُؤكِّدماذَكرناهمنْأَنَّالْمرادمنالتَّسبيحدلالَةُهذهالأَحْوالعلَىالتَّنْزيه. لانُطْقُاللِّسانيٌّ)[2].

ومعنى قوله تعالى:﴿والطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَه وتسْبيحَهُ﴾ أنهَذهالْحالَةَهيأَغْربأَحْوالها،فإنَّاستقْرارهافيالْهواءمسبِّحةًمندونتحْريكهالأجنحتها، ولاسقُوطهاعلَىالأَرض،منأَعْظمصنعاللَّهالَّذيأَتْقنكُلَّشيء.

ثُمَّزادفيالْبيانفقالَ:

"كُلٌّقَدْعلمصلاتَهوتسبيحه"، وفائدةُالإخْبارأَنَّكُلَّواحدقدْعلمذَلك؛أَنَّصدورهذاالتسبيحهوعنْمعلِّمهااللَّهذلكوألهمهاإليه،لاأَنَّصدورهمنْهاعلَىطَريقَةالاتِّفاق،وفيذَلكزيادةُدلالَةعلىبديعلُطْفهسبحانَهوعظيمشأْنه،كونهجعلهامسبِّحةلَهعالمةًبمايصدرمنْها[3].

وفي مسألة هَلَ الطَّيور وسائر الكائنات غير العاقَلة، تسبحَ الله بالنطق ولسان المقال؟ بالدّلالة على بارئها ولسان الحال؟ ذهب جمهور المتكلمين[4]إلى أنّ ذلك بلسان الحال، و قَولُه تعالى: ﴿كُلٌّقَدْعلمصلاتَهوتسبيحه﴾ الْمرادبه —حسب رأيهم— "كُلٌّقَدْعلماللَّهصلاتَهوتسبيحه"..قَالُواويدلُّعليهقَولُهسبحانَه: ﴿واللَّهعليمبما يَفْعلُونَ﴾.

---

(1)الرازي: مفاتيحالغيبأوالتفسيرالكبير (24/ 401)

(2)المصدر السابق (24/ 402)

(3)الشوكاني:فتحالقدير (4/ 48).

(4)الرازي: مفاتيحالغيب(24/ 402).

وقد استبعد المتكلمون الرأي الذي يرى تسبيح الكائنات تسبيحا لفظيًّا، فقالوا: (الطير لو كانت عارفة بالله تعالى؛ لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وإشا ك، فإنّا نعلم بالضرورة أنّها أشدّ نقصانا من الصبيّ الذي لا يعرف هذه الأمور، فبأن يمتنع ذلك أنّها لا تعرف الله تعالى واستحال كونها مسبّحة له بالنطق، فثبت أنّها لا تسبّح الله إلا بلسان الحال

بينما ذهب آخرون إلى جواز وقوع التسبيح اللفظي من تلك الكائنات، وعدم استبعاده شرعا وعقلا، وقالوا: (إنّا نشاهد أنّ الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات أعمالا لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء، كان كذلك؛ فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه)(2).

ومَن ذهب إلى الرأي الأخير من المعاصرين سيد قطب –رحمه الله– إذ يقول:

(ونحن لا نعلم شيئا عن طبيعة هذا الوجود وخصائصه أصدق مما يقوله لنا الله عنه.. ف.. «سبّح لله ما في السّماوات والأرض» تعني «سبّح لله ما في السّماوات والأرض».. ولا تأويل ولا تعديل! ولنا أن نأخذ منه هذا أن كل ما في السماوات والأرض له روح، يتوجه بها إلى الخالق بالتسبيح، وإنه لهذا لهو أقرب تصور يصدّقه ما وردت به الآثار الصحيحة، كما تصدّقه تجارب بعض القلوب في لحظات تصفائها وإشراقها، واتصالها بالحقيقة الكامنة في الأشياء وراء أشكالها ومظاهرها..)(3).

وقد جاء في الأثر:

روى الترمذي– بإسناده– عن علي بن أبي طالب، قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السّلام عليك يا رسول الله)(4).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عبّاس: (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلمّا صنع المنبر فتحوّل إليه، حنّ الجذع، فأتاه

---

(1)الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (24/ 402).

وينظر في المسألة أيضا: أبو حيان الأندلسي:البحر المحيط في التفسير، 54/7.

(2)الرازي:مفاتيح الغيب(24/ 402).

(3)سيد قطب: في ظلال القرآن(6/ 3478).

(4)الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة:سنن الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 1998 م، (6/ 25).

له صلى الله عليه وسلم فاحتضنه، فسكن)[1].

والحقيقة أن كلا المعنيين اللذين ذكرهما المفسرون لمفهوم التسبيح الذي يقوم به الإنسان، وتقوم به سائر المخلوقات، وهو التسبيح اللفظي بالنطق واللسان، أو التسبيح العملي الذي يكون بالدلالة على كمال الخالق وعظمته، من خلال كمال مخلوقاته في خلقها وأدائها لوظائفها.. كلا هذين المعنيين –في نظرنا– يتكاملان ولا يتنافران.

فالمؤمن مطالب بأن يسبح ربه بمعرفته وشكره والثناء عليه بما هو له أهل، كما هو مطالب بتسبيحه عمليًّا وذلك بأداء أمانة الخلافة التي هي المهمة والوظيفة التي خلق من أجلها أصلاً، وسائر الكائنات تؤدي هذا التسبيح –بمفهوميه– أداء غريزيًّا بما ألهمها الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يُسبِّح لَه السَّماوات السَّبع والأرضُ ومن فيهنَّ وإن مِّن شيء إلاَّ يُسبِّح بحَمْده ولَكن لاَّ تفْقَهونَ تسبيحهم إنَّه كانَ حليما غفُورا﴾ (الإسراء: 44).

المطلب الثاني: تزكية النفس

"التزكية" مفهوم من المفاهيم القرآنية التي تحتاج إلى تعمق منا أكثر، نظرا لأهميته –حسب ما نرى– ودوره الأساس في علاج إعراض النفس عن كتاب ربها، وإعادة الوصال وتحقيقه معه. فما هو مفهوم هذا المصطلح "التزكية، أو تزكية النفس"؟

"التزكية" مشتقّة من الفعل "زكى" (أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة: 103]. والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة. ومن النماء: زرع زاك، بيّن الزكاء. ويقال هذا أمر لا يزكو بفلان، أي لا يليق به)[2].

من هذا التعريف اللغوي للمصطلح، نجد أن التزكية لها بعدان: بعد إيجابي وبعد

---

(1) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون؛ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2001 م، (5/ 399).

(2) ابن فارس: مقاييس اللغة (3/ 17–18).

فأما السلبي فيعني عملية التخلية والتنقية من آفات النفس وعيوبها، وأما الإيجابي فيعني عملية التحلية بالفضائل المفطورة فيها، وتنميتها وتطويرها.

والآية المفتاحية في هذا الباب قوله تعالى:

﴿و نَفْس وما سوَّاها(7) فَأَلْهمها فُجورها و تَقْواها(8) قَد أفْلَح من زَكَّاها(9) وقَدْ من دسَّاها(10)﴾ (الشمس: 7-10).

فالتزكية –حسب ما ذهب غليه المفسرون- هي تطهير النفس، وإعلاؤها وإنماؤها بالتقوى، وإظهارها بالعمل الصالح. ويقابلها مصطلح "التدسية" وهو تحقير النفس، مكانتها وقدرها بفعل المعاصي والآثام(1).

يقول الإمام الشوكاني(2) في تفسير قوله تعالى: ﴿قدْ أفْلح من زكّاها وقدْ خاب دسَّاها﴾، (أي: قد فاز من زكّى نفسه وأنماها، وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب، وظفر بكل محبوب... وأصل الزكا النموّ والزيادة، ومنه زكا الزرع إذا كثر، وقد خاب من دسّاها أي: خسر من أضلها وأغواها. دسّاها أصله دسّسها –من التدسيس– وهو إخفاء الشيء في الشيء، فمعنى دساها في الآية: أخفاها وأهملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح، وكانت أجواد العرب تنزل الأمكنة المرتفعة ليكونها فيقصدها الضيوف، وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والأمكنة المنخفضة ليخفى ن)(3).

فالأصل في الغاية التي خلق من أجلها الإنسان أن يظهرها ويبرزها، وهي تزكية نفسه بتطهيرها من شوائبها من جهة، وتنمية مواطن الخير فيها وتطويرها وترقيتها من جهة أخرى لينال مرتبة المفلحين.. وليس من غاية الإنسان أن يخفي ويخبئ بذور الخير التي

---

(1) ينظر: الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 760)، وكذلك: الرازي = مفاتيح الغيب (31/ 177). وأيضا: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير (10/ 48).

(2) الشوكاني (1173 – 1250 هـ = 1760 – 1834 م) محمد بن علي الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكما بها. له 114 مؤلفا، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار) و(فتح القدير) في التفسير و(إرشاد الفحول) في أصول الفقه.. ينظر: الزركلي: الأعلام (6/ 298).

(3) الشوكاني: فتح القدير (5/ 547)

فطرها فاطر السماوات والأرض في نفسه، أو يهملها ويحقّرها حتى تخبو جذوتها، -بالمقابل- لا ستعدادات السوء فيه أن تنمو وتزدهر حتى يكون من الخاسرين.

يقول الإمام القاسمي[1] في معنى الآيتين "9 و 10" من سورة الشمس: (زكّىنفسهوطهّرهامنرجسالنّقائصوالآثام.

أونماهابالعلموالعمل،والوصولإلىالكمال،وبلوغالفطرةالأولى.

"وقَدْخابمندَسَّاها" أيأخملهاووضعمنها،بخذلانهإياهاعنالهدى،حتىركبالمعاصيوتركطاعة الله تعالى. هذاماقالهابنجرير،وقالغيره: أينقصتزكيتها،وأخفىاستعدادهاوفطرتهاالتيخلقتعليها؛بالجهالةوالفسوق. وهومأخوذمن (دسّالشيءفيالتراب) أيأدخلهفيهوأخفاه)[2].

وفي مفهوم "تزكية النفس" أيضا، يقول صاحب تفسير المنار:

(و تَزْكِيَةُالنَّفْستَكُونبالْعملالَّذِييجعلُهازاكيةًأَيطَاهرةًكثيرةَالْخيرِوالْبَرَكة،وأَصْلالزَّكَا:

النُّمُوُّوالْبَرَكَةُفيالزَّرْعِ،ومِثْلُهكُلُّنافِعٍ، فَتَزْكِيَةُالنَّفْسبالْفعلعبارَةٌعَنْتَنْمِيَةفضائلهاوخَلاَصِها باجتنابالشُّرورالتيتعارضالْخيرَوتعوقُه،وهذهالتَّزْكيةمحمودةٌوهيالْمرادةُبقولِهتعالى "قَدْأَفْلَحَمَنْزَكَّاهَا")[3].

إن القرآن ينظر إلى الإنسان باعتباره كائنا مزدوجالطبيعة،مزدوجالاستعداد،مزدوجالاتجاه، فلأنّ الله تعالى خلقه من طين ونفخ فيه من روحه العلوية،كان مزودا باستعداداتمتساويةللخيروالشر،والهدىوالضلال.

والرسالاتوالتوجيهاتوالعواملالخارجيةإنماتوقظفيه هذهالاستعدادات،وتشحذهاوتوجّهها هناأوهناك. ولكنهالاتخلقهاخلقًا.

---

(1)القاسمي (1283 - 1332 هـ = 1866 - 1914 م) جمالالدينبنمحمدسعيد، القاسمي: إمامالشامفيعصره،علْمابالدين،وتضلعافيفنونالأدب. مولدهووفاتهفيدمشق. من كتبه (قواعدالتحديثمنفنونمصطلحالحديث) و(محاسنالتأويل) في 17 مجلدافيتفسيرالقرآنالكريم..ينظر: الزركلي:الأعلام(2/ 135).

(2)القاسمي:محاسنالتأويل (9/ 482).

(3) محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار (5/ 123).

لأنهامخلوقةفطرة ، وكائنةطبعا ، وكامنةإلهاما.

وهناك –إلىجانبهذهالاستعداداتالفطريةالكامنة–، قوةواعيةمدركة موجِّهةفيذاتالإنسان. هيالتيتناطبهاالتبعة.

فمناستخدمهذهالقوةفيتزكيةنفسهوتطهيرهاوتنميةاستعدادالخيرفيها، وتغليبهعلىاستعدادالشرِّ. فقدأفلح. ومنأظلمهذهالقوة، وخبأهاوأضعفهافقدخاب[1]، مصداقا لقوله تعالى: .
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾..

يقول سيد قطب:

(وهنالكإذنتبعةمترتبةعلىمنحالإنسانهذهالقوةالواعيةالقادرةعلىالاختياروالتوجيه. توجيهالاستعداداتالفطريةالقابلةللنموفيحقلالخير، وفيحقلالشرسواء.

فهيحريةتقابلهاتبِعة، وقدرةيقابلهاتكليف، ومنحةيقابلهاواجب.

ورحمةًمناللَّهبالإنسانلميدَعهلاستعدادفطرتهالإلهامي، ولاللقوةالواعيةالمالكةللتصرف، نهبالرسالاتالتيتضعلهالموازينالثابتةالدقيقة، وتكشفلهعنموحياتالإيمان، ودلائلالهدىفينفسهولآفاقمنحوله، وتجلوعنهغواشيالهوى، فيبصرالحقَّفيصورتهالصحيحة..

وبذلكيتضحلهالطريقوضوحاكاشفالاغبشفيهولاشبهة، فتتصرفالقوةالواعيةحينئذعنبصيرة، وإدراكلحقيقةالاتّجاهالذييتختارهوتسيرفيه)[2]، وهذه هي الثمرة النّهائية لهذا الأساس من أسسَ الوصال مع القرآن "التزكية".

وفعل التزكية، يعني " تنظيف صفاتنا الجينية الموروثة من آبائنا وأجدادنا، إضافة إلى تطهير أنفسنا من سيئاتها وخطاياها، لأنّ تلك الصفات السلبية تمنع عنا الخير والتقدم للأمام، والتقرب إلى الله عز وجل.

فصفاتنا الجينية خاضعة لناموس الزوجية الكوني؛ ففيها زوايا القوة والخير والاستخلاف، كما تضم زوايا الضعف والشر والعجز، وتزكيتها تعني تفعيل زوايا القوة فينا وتنميتها، بالمقابل توقيف زوايا الضعف وإزالتها، وأن نحمي أنفسنا من شر

---

(1) سيد قطب: فيظلالالقرآن (3917/6-3918).

(2)سيد قطب: فيظلالالقرآن (3917/6-3918).

أنفسنا"[1].

المطلب الثالث: الذكـــر الكثير

الأساس الثالث الذي على المنيب إلى ربه؛ أن يغرسه في قلبه: "الذكر" هذه الركيزة القرآنية العظيمة التي كثيرا ما اختزلت في ذكر اللسان –على أهميته–، وأُهمل الجانب الأكبر منه وهو ذكر القلب ثم الجوارح من بعده، لذا نجد بن فارس في تعريف الذكر يقول:"... ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ"[2].

فالذكر هو ضد النسيان، وهل يَذكر وينسىَ إلا القلب؟!

وحقيقة الذكر أن يذكر المؤمن ربه، ويتذكر "ميثاق التوحيد" الذي أخذه عليه قبل أن يخلقه، فلا ينساه ولا يغفل عنه، والذي يقول فيه جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172).

في تفسير هذه الآية

يرىأهلالكلام(أنهسبحانهوتعالىأخرجالذُّريةوأنشأهم،بعدأنكانوانُطَفًافيأصلابالآباءوهمأو لادبنيآدم،فأخرجالذُّريةإلىالدنيا–علىترتيبهمفيالوجود–

وأشهدهمعلىأنفسهمبمارُكِّبفيهممنالعقول،وأراهمعجائبخلقه،وغرائبصنعه،ودلائلوحدانيته..

فلماعرفواذلكدعاهمذلكإلىالتصديقبوحدانيتهوربوبيته،فقالوا:"بلىشهدناعلىأنفسناأنّك أنتربُّناوخالقُنا"،فعلىهذاالقوليكونقولهم:"بلىشهدنا..."علىالمجازلاعلىالحقيقة،وهذاال النوعمنالمجازوالاستعارةمشهورفيكلامالعرب،فكلّمنبلغوعقل؛فقدأخذعليهالميثاقبماجعل منالسببالذييؤخذبهالميثاق،وهوالعقلوالتكليف،فيكونمعنىالآية:"وإذأخذربكمنبنيآدم..وي شهدهمعلىأنفسهم"بمارُكِّبفيهممنالعقلالذييكونبهالفهموالتكليف،الذييترتبعلىصاحبها

---

(1) أمين صبري: برنامج نبئ عبادي (سلسلة ندوات رمضانية) رمضان...، الحلقة (21)، "موضوعالتزكية". رابط الحلقة على موقع اليوتيوب: https://www.youtube.com/watch?v=81ezIzLIftM

(2) ابن فارس:معجم مقاييس اللغة،(2/ 358).

لثوابوالعقابيومالقيامة)[1].

ومعنى قوله تعالى في الإشهاد: "أَ نْ تَقُولُوا"أي: كراهةأَ نْ تَقُولُوا يَومالْقيامةإنَّاكُنَّاعَنْهذاغافلين لم نُنبِّهعليه ولم نُذَكِّر به، أَوكراهةأن تَقُولُواإنَّماأَشْرَكَآباؤُنامن قَبْل وَكُنَّاذُرِّيَّةًمنْ بَعْدهمفسرنا على طريقهم،لأننصبالأدلةعَلىالتوحيدوما نَبهواعليهقائممعهَم في فَطرَهم، وفي الرّسالات أرسلها إليهم،فلاعذرلهمفيالإعراضعنه،والإقبالعلىالتقليد،والاقتداءبالآباء[2].

ولما كانت من طبيعة ابن آدم التي جبل عليها النسيان والخطأ، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (طه: 115)، كما زيّن لنفسه حب المتعلق بالطين.. هذه المادة التي خلق منها؛ فكانت تملأ عليه وقته وجهده وفكره، في الحلال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران:14)، من أجل هذه التركيبة التي ركّب منها ابن آدم؛ أرسل الله إليه من رحمته مذكّرات تذكّره بربه ورسالته، وبالرجوع إلى صراطه المستقيم كلما حاد عنه واشتطّ، ومن أهم هذه المذكّرات:

1- كتابه العظيم "القرآن": من أسمائه "الذكر" ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: 58).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه:

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء: 50).

2- الأحداث المعيشة في الحياة اليومية: سواء منها ما يمس المؤمن في نفسه، أو ما يقع في بيئته والعالم من حوله، فمن شأن الأفراح والمسرات التي يحصل عليها – هو أو غيره–؛ أن يذكّره بالحمد لله وشكره وطلب التثبيت على الصراط المستقيم، ومن شأن الكُربات والآلام التي يمر بها –هو أو غيره– أن تذكّره بالصبر، وبذنوبه وآثامه فيستغفر ربه ويتوب إليه.

(1)الخازن:لبابالتأويلفيمعانيالتنزيل (2/ 26).

(2)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (2/ 177).

3-علاقات المؤمن بالناس من حوله: من حكمة الله في جعل الناس يحتاج إلى بعض، أن يكشف معادنهم لأنفسهم عبر العلاقات التي تنشأ بينهم، فيكتشف عيوبه ونقائصه من خلال احتكاكه بالآخرين، فيكون ذلك سببا في ذكر ربه والإنابة إليه، والاستعانة به في تزكية نفسه والقيام بعبوديته ﴿... وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ (الفرقان: 20).

4-النظر والتأمل في الملكوت: تشغل آيات الخلق ونواميس الكون مساحة كبيرة من القرآن، فيها رسالة قوية للمؤمن كي يعتبر ويتذكّر، بما يراه وما يحسه من مخلوقات الله في الكون الواسع آفاقُه الذي يحيا فيه، فمن شأن مداومة النظر والتأمل فيه أن يذكّره بربه ومصيره، ويبعث في نفسه الخشية والتقوى:

يقول تعالى: ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب(190) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: 190-191).

والله تعالى من حكمته ورحمته بنا؛ أنه عمرنا في الحياة ما يتذكّر فيها من تذكّر، وجعل من سنّته أن يمهلنا ولا يأخذنا بمعاصينا، ويؤخّر كُلاً منّا إلى أجله المسمى، ويعطيه الفرصة تلو الفرصة حتى يستدرك ويصلح عمله.. أهم ما يريده ربنا تعالى منّا: أن يسعى كلٌّ منا ويجتهد فيما يسّر فيه، وألا يصرَّ على الخطإ حين يقع فيه؛ بل يتوب من قريب كلما زلّت قدمه، أو رأى من نفسه تقصيرا في حقٍّ من حقوق الله أو حقوق العباد. يشترك الإنسان مع الكون في الأساس الأول من أسس تحقيق الوصال مع القرآن: الصلة بالله، ويتميز عنها بالذّكر والتزكية، لأنه ينسى ويخطئ، فهو بحاجة إلى توبة واستغفار، وتطهير لنفسه من الأغيار، وتزكية لمقومات الخلافة في داخل ذاته، كما عن الكون بأمر أساسيٍّ وهو الوعي وحرية الإرادة التي يقرر بها الاستسلام لمنهج ربه عدمه، على خلاف الكائنات التي ليس لها إلا الطاعة والانقياد، كما قال تعالى في شأن السماوات والأرض: ﴿... فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت: 11).

والأُسس الثلاثة تُشكّل فيما بينها حلقةً أو حركةً غير منتهية؛ مستمرةً في تصاعدٍ..

تستغرق عمر المؤمن –الحقّ– كلّه، إن هو أراد الارتقاء في درجات الإيمان،فهو أبدًا حياته في رحلة انتقال بين الصلة بربه ساجدًا مسبحا، وبين تزكية نفسه حيث ينمي صفاتها الخيّرة ويسخّرها في عمارة الأرض، وبين الذّكر والتّذكّر لرسالته وغايته فيحاسب نفسه على أعمالها، ويطهرها من أرجاسها، وهو في كل ذلك يصل حبله بحبل ربه كلما كان حاضر القلب، فإن هو غاب وغفل؛ وأخذته النفس مع حظوظها –قريبا أو بعيدًا– تذكّر واستغفر، ثم عاد يزكّي نفسه.. وهكذا في طوافإيماني، ورُقيّ روحي إلى أن يلقى ربه راضيا عنه مرضيًّا.. (إن شاء الله).

وهذا المعنى هو ما استخلصناهمن مثل هذه الآيات:

﴿إنّما يومن بئاياتنا الذين إذا ذُكّروا بها خرّوا سجّدًا وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون (15) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفا وطمعا وممّا رزقناهم ينفقون(16)﴾ (السجدة: 15-16).

﴿قد أفلح من تزكّى (14) وذكر اسم ربّه فصلّى (15)﴾ (الأعلى: 14-15).

﴿فاصبر انّ وعد الله حقّ واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والابكار﴾ (غافر: 55).

﴿فاصبر لحكم ربّك ولا تطع منهم ءاثما او كفورا(24) واذكر اسم ربّك بكرة وأصيلا(25) ومن الّيل فاسجد له وسبّحه ليلا طويلا(26)﴾ (الإنسان: 24-26).

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والابصار﴾ (النور: 37)

من خلال الآيات السابقة نرى كم يدعونا ربنا تعالى إلى تحقيق تلك المعاني أو الركائز الثلاث: من الصلة والتزكية والذكر، بمعناها الأوسع الذي يشمل حياة الفرد كلّها، ويمسُّ كيانه كله: فكرا وروحا وسلوكًا.

فالفرد المؤمن لا يحتاج إلى أن يعتزل عن الناس، وعن خضمّ الحياة في كل يوم حتى يقيم صلته بخالقه؛ أو يؤدّي تزكيته لنفسه وذكره لربه ورسالته، بل يعتبر كلُّ ذلك زاده؛ يحمله معه أينما ولّى وجهه، وحيثما مارس عملَه ووظيفته.

المبحث الرابع: التيقظ لعداوة الشيطان ومداخله إلى النفس

من الأسباب الحقيقية كذلك لعلاج الإعراض، والعودة إلى روح القرآن لصلاح حال الإنسان به؛ التيقظ لعداوة الشيطان العريقة تجاه بني آدم؛ والتي أعلنها في الملأ الأعلى منذ اليوم الأول حين خلق الله عز وجل آدم، واستخلفه وأسجد له ملائكته، لكن إبليس الذي كان من زمرة المأمورين بالسجود له أبى واستكبر، وصرح بعداوته ولبنيه إلى قيام الساعة، وقال -متحديا ربه تعالى في علاه- على لسان القرآن: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 62).

فأذن له ربه بذلك -لحكمته في تدبير خلقه عز وجل- ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾ (الإسراء: 63).

المطلب الأول: جوهر عداوة الشيطان لبني آدم

فما هو جوهر العداوة التي عادى بها الشيطان بني آدم؟ وما هي صورها وأشكالها؟

يقول الإمام الشعراوي:

«حين قال لربه تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص:82) التزم الأدب الله، فالغواية ليست مهارة مني، ولكن أغويهم بعزتك عن خلقك، وتركك لهم الخيار ليؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر، هذه هي النافذة التي أنفذ منها إليهم، بدليل أنه لا سلطان لي على أهلك وأوليائك الذين تستخلصهم وتصطفيهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة ص:83)»[1].

إذن القضية المفتاحية في مهمة إبليس التي أقسم لربه على إنفاذها (إغواء البشرية) اتخاذه لحرية الإرادة والاختيار التي مكن منها آدم، سبيلاً للوصول إليه واستفزازه، جره إلى الضلال والهلاك، إذ لو افترضنا أن الإنسان لم يكن مخيرا في تكليفه، ولا تقرير مصيره، بل خلق مجبولاً على عبادة ربه.. شأنه شأن سائر المخلوقات؛ لما وجد

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي (1 / 5609).

الشيطان إلى إضلاله سبيلاً، فلله الحكمة البالغة في خلقه.

وقد ورد التحذير من عداوة الشيطان في آيات عدة من كتاب الله.. تحذير ينبغي على المؤمن أن يضعه ضمن أولوياته في تحصين دينه وعقيدته، منها مثلا قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 168].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208].

﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف: 50].

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [ياسين:

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 62].

ومن ضمن القصص القرآني الذي نزل للاعتبار به قصة سيدنا آدم مع إبليس، وهي أول قصة قرآنية ضمن الترتيب المصحفي، وقد تكررت في سبع أو ثماني سور، ولا أن ذكرها لم يكن لغرض السرد التاريخي، وإنما لاستجلاء الصفات والخصائص التي هذا العدو حتى يحذر المؤمن من الوقوع في شراكها.

لكن رغم كل هذا الاهتمام القرآني بقصة آدم، وخروجه من الجنة –بسبب من غواية عدوه إبليس– إلا أن المولى تعالى يصرح بوضوح أن دور هذا المخلوق في الغواية دور ثانوي، وأن له هامشا ضيقا في حياة ابن آدم إذا تحقق بإنسانيته واستمسك برشده وتحصن بإيمانه. فقد أخبر المولى تعالى مرة بضعف كيده ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ ضَعِيفاً﴾(النساء: 76)، وفي مواضع أخرى ينفي عن الشيطان أي على عباده المعتصمين به:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: 42).

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

لَيس لَه سُلْطَانٌ عَلَى الذين ءامنُوا وعَلَىٰ ر بِّهم يَتَوكَّلُونَ﴾ (النحل: 98-99).

وقوله تعالى أيضا: ﴿.. وما يعدُهم الشَّيطَانُ إلاَّ غُرورا انَّ عبادي لَيس لَك عليهم سلْطَانٌ وكَفى بربِّك وكيلاً﴾ (الإسراء: 64-65).

والحجة الدامغة التي أنبأنا القرآن بتحققها في مستقبل الغيب يوم القيامة، هو تبرُّؤ العدو نفسه ممن اتبعوا نهجه من بني آدم، نافيا أن يكون له عليهم أي سلطان؛ إلا أن دعاهم دعوة. فلبوا مستجيبين له، وهي قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿وقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضي الامر إنَّ اللَّه وعدَكُم وعْد الْحقِّ ووعدْتكُم فَأَخْلَفْتكُم وما كَانَ لي علَيكُم مِّن سُلْطَان الاَّ أَن دعوتكُم فَاستجبتم لي فلاَ تَلُوموني ولُوموا أَنفُسكُم مَّآ أَنَا بمصرخكُم ومآ أَنتُم بمصرخي إنِّي كَفَرتُ بمآ أَشْركْتُمون من قَبلُ إنَّ الظَّالمين لَهم عذَابٌ اليمٌ﴾ (إبراهيم: 22).

ويبين الإمام الشعراوي-في هذا الشأن- أن السُّلطان المتبرَّأ منه يوم القيامة على إبليس نوعان: سلطان حجة، وسلطان قوة (والفرق بين سلطان الحجة وسلطان القوة القاهرة على الفعل، هو أن سلطان الحجة يقنعك أن تفعل وأنت مقتنع، أما سلطان القوة القاهرة فهو لا يقنع الإنسان ولكنه يرغم الإنسان على فعل ما، ولذلك فالشيطان يعلن لأتباعه يوم القيامة: لم يكن لي سلطان عليكم، لا حجة عندي لأُقنعكم بعمل المعاصي، ولا عندي قوة ترغمكم على الفعل، لكنكم أنتم كنتم على حرف إتيان المعاصي، ودعوتكم فاستجبتم لي)(1).

ويقول سيد قطب في شأن الرؤية الكونية للعلاقة بين إبليس وآدم: (وهذا التصور لطبيعة المعركة ودوافع الشر فيها... من شأنه أن يشعر الإنسان أنه ليس مغلوبا على أمره فيها. فإن ربه وملكه وإلهه مسيطر على الخلق كله. وإذا كان قد أذن لإبليس بالحرب، فهو آخذ بناصيته. وهو لم يسلّطه إلا على الذين يغفلون عن ربهم وملكهم وإلههم.

فأما من يذكرونه فهم في نجوة من الشر ودواعيه الخفية. فالخير إذن يستند إلى القوة التي لا قوة سواها، وإلى الحقيقة التي لا حقيقة غيرها. يستند إلى الرب الملك الإله. والشر يستند إلى وسواس خناس، يضعف عن المواجهة ويخنس عند اللقاء وينهزم أمام العياذ بالله. إنه أكمل تصور للحقيقة القائمة عن الخير والشر. كما أنه أفضل تصور يحمي

(1)الشعراوي: تفسير الشعراوي (1 / 905).

القلب من الهزيمة، ويفعمه بالقوة والثقة والطمأنينة)[1].

إن الله تعالى خلق في الإنسان استعدادا وقوة متساوية بين دافع الخير ودافع الشر، أو بين الفجور والتقوى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿و نَفْسٍ وما سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجورها و تَقْواها﴾ [الشمس 7-8]، ففي النفس إمكانية لقبول وسوسة الشيطان والعمل تماما مثل ما لها استعداد لتلقّي هداية الفطرة والالتزام بها، إنما يترجَّح أحد الجانبين على الآخر، ويغلب على المرء بمقدار اتّباعهللهوى أو مخالفته وتحكيمه لفطرته وعقله.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في هذا الشأن: (والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول الملَك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر، وإنما أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات، أو الإعراض عنها ومخالفتها، فإن الإنسان مقتضى الغضب والشهوة، ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة

وقد قدم الغزالي صورة إدراكية رائعة عن طبيعة العلاقة بين الإنسان والشيطان حين شبه القلب –وهو أصل الإنسان ومحركه في الحياة– بحصن أو قلعة، والشيطان عدو يتربص به بالخارج، فيقول:

(إن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ثُلَمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب عن وسواس الشيطَان واجبة، وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، فصارت معرفة واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد)[3].

و من مكايد الشيطان ومداخله العظيمة مراعاة جانبي الغلو والتقصير في المرء، أو الإفراط والتفريط، فهو يدرس بدقة مواطن الضعف في النفس، فإن رآها إلى الشجاعة

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، 4011/6-4012.

(2) الغزالي:إحياء علوم الدين، 27/3.

(3)المصدر السابق، 32/3.

والإقدام أميل، أوهمها بقلة ما تأتيه وعدم كفايته وأنها تحتاج معه إلى مبالغة وزيادة؛ فأوقعها في الغلو والإفراط. وإن رأى الغالب عليها الإحجام والمهانة، أخذ في تثبيطها القيام بالمأمور به، حتى تتركه جملة أو تتهاون فيه؛ فأوقعها بذلك في التسيب

ويذكر بن القيم الجوزية أمثلة واقعية لتلاعب الشيطان بالصنفين من الناس فيقول: (فقوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسوقوم.قصر بهم عن إخراج الواجب من المال، وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم وقعدوا كلاً على الناس مستشرفين إلى ما بأيديهم.

وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم

فخلق إبليس في حياة الإنسان الدنيوية لا ريب أن من ورائه حكمة عظيمة، ومصلحة جليلة أرادها الخالق عز وجل لخليفته فوق الأرض، من أوجه هذه الحكمة أن العداوة التي يحملها إبليس في نفسه حقدا وحسداً؛ تحفّز المرء إلى البحث عن البديل والملاذ الآمن، والقوة التي تحميه من مكايده.

يقول محمد فتح الله كولن في هذا المعنى: (إن الشّيطان الذي يُضلّ الناس ويفتنهم بإغوائه وتسويلاته، إن فُهمت الحكمة من خلقه فربما يكون سببا لأن يَتوجه الإنسان إلى الحق تعالى دائما ويلجأَ إليه.

غير أنه إذا ما نُظر إليه –حاشا لله– كأنه قوة مستقلة، فذلك يعني أنه قد نُسبت إليه قوة وسلطة وهّمية... وكما أنه من الإفراط أن يعتقد الإنسان أنّ بإمكان مخلوق عاجز امتلاكَ بعض القوى والقدرات الخاصة بالخالق –وهو المخلوق الذي لا يملك أيَّ سلاحَ قوة في مواجهة الإنسان سوى التسويل والتزيين–؛ فتفريطٌ كذلك التغاضي عن همز الشيطان ولمزه، والاستهانة بتسويله وتزيينه. وهذا يعني التغاضي عن بيانات القرآن والسنة النبوية، والإعراض عنها. وذلك لأن الشيطان للإنسان عدو مبين، وربما يخسر الإنسان سعادته الأبدية على يد ذلك المخلوق الغدّار المكّار إن ظل (أي الإنسانُ) في

(1) بن قيم الجوزية: إغاثةاللهفانمنمصائدالشيطان، ص93.

(2)بن قيم الجوزية: إغاثةاللهفانمنمصائدالشيطان، ص 116.

ولم يُعط إرادَته حقَّها).[1]

والشَيطان يتذرع للإنسان بالغرور، فيخدعه بالباطل ويزين له سوء عمله فيراه حسنا، كما ذكر القرآن في غير ما موضع منها قوله تعالى:﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (فاطر: 5).

ومادة الغرور في اللغة جاءت من (غره يغُرُّه غَرًّا وغُروراً وغِرّة... فهو مغرور وغرير: خدعه وأَطمعه بالباطل)[2]، وورد في مفردات القرآن للأصفهاني: (...يقال: غررت أصبت غِرَّتَهُ ونلت منه ما أريده، والغِرَّةُ: غفلة في اليقظة)[3].

وقد فُسر الغرور أنه (كل ما يَغُرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فُسر بالشيطان إذ هو أخبث الْغَارِّين،وبالدّنيا لما قيل: الدّنيا تَغُرُّ وتضر وتمرُّ)[4].

(ويقال عن الرجل الذي ليس له تجربة: إنه «غِرٌّ» فيأتي بأشياء بدون تجربة؛ فلا منها ولا تصح.. فكل مادة «الغرور» مأخوذة من إطماع فيما لا يصح ولا يحصل. سمى الله الشيطان «الغرور» لأنه يطمعنا نحن البشر بأشياء لا تصح ولا تحدث)[5].

فإبليس اتخذ لنفسه رسالة في الحياة وهي: أن يغري الإنسانَ بربه، ويصدّه عن دينه ووظيفته التي خَلق من أجلها وذلك بشتى الوسائل والطرق، ومن رحمة الله بعباده أن حذّرهم من هذا الإغراء في آيات كثيرة، يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: «ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ».. أي: (من متاع يلهي، أو شغل ينسي، أو شيطان يوسوس في الصدور. والَشيَاطين كثير. الغرور بالمال شيطان. والغرور بالعلم شيطان. والغرور بالعمر شيطان. والغرور بالقوة شيطان. والغرور بالسلطان شيطان. ودفعة الهوى شيطان. ونزوة الشهوة شيطان. وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور!)[6].

وتطبيقا لهذا المعنى في واقع الناس يجد المرء بعضا من هذه المعاني في نفسه وفي

(1) كولن، محمد فتح الله: مقال "الاتزان والاعتدال"، الموقع الإلكتروني (الجرة المشروخة).

(2)ابن منظور: لسان العرب (5 / 11).

(3)الراغب الأصفهاني: مفردات القرآن (1 / 603).

(4)المصدر السابق (1 / 604).

(5)الشعراوي:تفسير الشعراوي (1 / 905).

(6)سيد قطب: في ظلال القرآن (5 / 2798).

من الناس، لأنه أمر معاش إذ هو جزء من سنة الابتلاء الذي ابتلي به الإنسان في الدنيا، وقد صنّف الإمام أبو حامد الغزالي في موسوعته "إحياء علوم الدين" أصناف المغترين بالغرور الإبليسي إلى ثلاثة أصناف: أهل العلم، أرباب العبادة والعمل، وأرباب الأموال. وذكر أوجهًا كثيرة، وشُعبا عديدة من إغرار الشيطان بكل صنف.

فمن أوجه اغترار أهل العلم ذكر الغزالي (فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية، وتعمقوا فيها واشتغلوا بها، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها واغتروا بعلمهم، وظنوا أنهم عند الله بمكان، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم، وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله، وهم مغرورون...)(1).

وذكر من أوجه اغترار فرقة من أرباب العبادة طريقة قراءتهم القرآن (فيهذّونه هدًّا [أي يسرعون في قراءته]، وربما يختمونه في اليوم والليل مرة، ولسان أحدهم يجري به، وقلبه يتردَّد في أودية الأماني، إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره، ويتَّعظَ بمواعظه، ويقف عند أوامره ونواهيه، ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه... فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه.

ومثاله مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه، فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه، إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة، فهو مستحق للعقوبة، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور)(2).

أما أرباب الأموال؛ فقد ذكر الغزالي من أوجه اغترار فريق منهم، أنهم (يحرصون على بناء المساجد والمدارس... وما يظهر للناس كافة، ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلّد ذكرهم، ويبقى بعد الموت أثرهم، وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك، وقد فيه من وجهين: أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنّهب والرشا المحظورة، فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها، وتعرضوا لسخطه في إنفاقها.

---

(1)الغزالي: إحياء علوم الدين (3 / 388)

(2)الغزالي: إحياء علوم الدين (3 / 401).

والوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على ولو كُلّف واحد منهم أن ينفق دينارا؛ ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه؛ عليه ذلك ولم تسمح به نفسه، والله مُطّلع عليه -كُتب اسمه أو لم يكتب- ولولا أنه به وجه الناس لا وجه الله، لما افتقر إلى ذلك)[1].

المطلب الثاني: الطريق الأسلم للنجاة من إغواء إبليس

إذا نظرنا إلى ضخامة الصُّور الدقيقة التي يتلوَّن بها إغرار الشيطان لابن آدم -كما ذكرها الغزالي قديما- فإننا في الوهلة الأولى نُصدَم؛ إذ هو الواقعالذي نعيشهفي حياتنا اليوم وفي كل يوم، لكنالحقيقة التي أخبر عنها القرآن أن كيده ضعيف، ولا عاصم لنا الوقوع في أسره إلا الالتجاء إلى الله باستمرار؛ صادقين معه سبحانه ومع أنفسنا في طلب التصحيح واستدراك نقائصنا وتقوية مواطن ضعفنا، إذ أن (مفتاح الشر كله أن يزيِّن الشيطان للإنسان سوء عمله فيراه حسنا. أن يعجب بنفسه وبكل ما يصدر عنها. ألا يفتش في عمله ليرى مواضع الخطأ والنقص فيه، لأنه واثق من أنه لا يخطئ!...

هذا هو البلاء الذي يصبُّه الشيطان على إنسان، وهذا هو المِقْوَد الذي يقوده منه إلى الضلال. فإلى البوار! إن الذي يكتب اللّه له الهدى والخير يضع في قلبه الحساسية والتلفت والحساب. فلا يأمن مكر اللّه.ولا يأمن تقلب القلب. ولا يأمن الخطأ والزلل. يأمن النقص والعجز. فهو دائم التفتيش في عمله. دائم الحساب لنفسه. دائم الحذر من الشيطان. دائم التطلع لعون اللّه)[2].

إذن أهم مهمة قطع بها الشيطان العهد مع نفسه ومع ربه، هي خداع بني آدم -إلا من رحم الله-وإطماعهم في ما لا يصح ولا يحصل، وهدفه من ذلك توريط أكبر عدد ممكن له في الضلال والشقاء الأبدي والعياذ بالله، وقد بين المولى تعالى هذه الحقيقة وصرفّها في آيات كثيرة، حتى يحذر المؤمن من مكايده وتسويلاته، ويعيش في حال من اليقظة الإيمانية وعدم الغفلة عن ذكر ربه والالتزام بوظيفته وخلافته، هذه اليقظة هي صمام الأمان له، والدِّرع الواقي من سلطان عدوه، والتي تعني الالتجاء المستمر إلى الله

---

(1)المرجع السابق (3 / 407-408).

(2)سيد قطب: في ظلال القرآن (5 / 2926-2927).

وحده، والاحتماء بحماه والاستعاذة به، والتوكل عليه حق التوكل.

من بين تلك الآ يـ ..ات:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءامَنُوا وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَـ ـتـ ـوَكَّلِ الْمُومِنُونَ﴾[المجادلة: 10]

﴿فَإِذَا قَـ ـرَأْتَ الْقُرْءانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِ نَّـ ـهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَلَى رَ بِّـ ـهِمْ يَـ ـتـ ـوَكَّلُونَ﴾[النحل: 98-99]

﴿... وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا انَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَ بِّـ ـكَ وَكِيلاً﴾[الإسراء: 64-65][1].

والطريقَ الأسلم والأقوم للنجاة من إغواء إبليس وإضلاله، هو المداومة على تزكية النفس ومحاسبتها، ومراقبة بارئها في كل حركاتها وسكناتها، مصداقا لقوله تعالى: (قد افلح من زكّاها وقد خاب من دساها) [الشمس]، وما دامت صفات العبد المذمومة الظاهرة منها والباطنة؛ هي قُوت الشيطان الذي يتغذى به؛ وسلاحه الذي يقاتل به ابن آدم، أو لـ نـ ـقُل: ذنوبه وطباعه السيئة هي مداخل العدو المبين إلى قلوب الناس، فلا يكفي لطرد وساوسه وتحسينه القبائح؛ مجرد الذّكر أو الاستعاذة اللفظية من شروره، ما لم يصحب ذلك جهاد دؤوب في تطهير النفس من حب الدنيا والحرص عليها والطمع في فضول شهواتها.. وغير ذلك من أمراض الباطن، وعمارة هذا القلب بحب الله تعالى وخشيته وتقواه حق التقى، والتوكل عليه حق التوكل.

يقول الإمام الغزالي بهذا الشأن –بعد استعراضه لجملة من الصفات التي هي مداخل الشيطان إلى القلب–: (فإن قلتَ: فما العلاج في دفع الشيطان؟ وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى، وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدّ هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة... نعم: إذا قطعت من القلب

---

(1)وكذلك الآيات التالية في الموضوع ذاته:

(وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَّحْضُرُونِ) [المومنون: 97-98]

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [فصلت: 36]

(قُلَ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(1) مَلِكِ النَّاسِ(2) إِلَهِ النَّاسِ(3) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(6) [سورة الناس].

أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار، ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى، لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا له على القلب، فلا يدفع سلطان الشيطان. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: 201] خصص بذلك المتقي)[1].

ويضرب الغزالي لهذه القضية مثالا واقعيا رائعا يقرب المعنى، ويصوره في مشهد محسوس لدى الفطرة، يقول: (فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقْرب منك، فإن لم بين يديك خبز أو لحم، فإنه ينزجر بأن تقول له "اخسأْ"، فمجرد الصوت يدفعه،فإن كان بين يديك لحم، وهو جائع، فإنه يهجم على اللحم، ولا يندفع بمجرد الكلام.

فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوة إذا غلبت القلب، دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن [أي الذكر] من سويدائه، فيستقر الشيطان في سويداء القلب، وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة، فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات؛ بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: 98]، وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر)[2].

وبعيدا عن التنظير حين يعود كل واحد منا إلى ذاته ويتأمل في تقلبات أحوالها هذه المعاني واضحة لا لبس فيها، والحق تعالى يقول: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا [الذاريات: 21]. فخلاصة القول أنه لامناص لنا من العودة إلى ذواتنا، َوتأمل كلٍّ منا في مواطن ضعفه، واجتهاده في تقويتها مستعينا بالله.. ملتجئا إليه وحده في تزكية نفسه، فإنه لا يزكّيها إلا هو –جلّت قدرته– إن رأى منا صدق العزيمة، مصداقا لقوله في محكم تنزيله:

﴿يَآ أَ يـُّهَا الذينَ ءَامَنُواْ لاَ تَـتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَـتَّبِعْ خُطْوَاتِ

(1) الغزالي: إحياء علوم الدين، 1667/3.

(2) الغزالي: إحياء علوم الدين، 1667/3.

فَإِنَّهُ يَامُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ اَحَدٍ اَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَّشَآءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:21].

وما خلق الشيطان إلا لحكمة أرادها المولى.. لتحقيق مصلحتنا –لو وعينا ذلك– لعل من أوجه تلك المصلحة: أن يدفعنا نزغه ووسوسته إلى تحفيز هممنا نحو الغاية التي خلقنا لها، كلما استكنَّا إلى الدنيا، وإلى البحث الدؤوب عن الحقيقة والالتزام بها، والفرار باستمرار إلى حمى الله لاستدرار رحمته بنا، وتقويته لضعفنا وعجزنا، ومن ثم معرفته تعالى حقّ المعرفة.

يقول الغزالي في ضرورة العودة إلى الذات، لفهم حقيقة علاقة الشيطان بالإنسان، ومن ثَم تحمُّل المرء لمسؤوليته في تزكية نفسه: (أنظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان، وتأمَّل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة، فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك، كيف الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية ومهالكها؛ حتى إنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك، ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صلّيت، فالصلاة محكُّ القلوب فيها يظهر محاسنها

فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدِّم الاحتماء بالتقوى، ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك، كما فر من عمر –رضي الله عنه– ولذلك قال وهب بن منبه: "اتق الله ولا تسبَّ الشيطان في العلانية، وأنت صديقه في السِّر" أي أنت مطيع له... وكما أنّ الله تعالى قال: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذْكُر الله، ولا يهرب الشيطان منك، لِفَقْدِ شروط الذكر والدعاء)[1].

ومن أهم الأهداف التي ألزم بها الشيطان نفسه تثبيط الإنسان عن التحرر من طبعه المتجذر فيه، وأكثر من ينزعج إبليس منه: الإنسان الذي يسعى إلى أن يولد الولادة الجديدة، أي يتخلّص من ذاته المزيفة –بتوفيق الله تعالى– ويعيش ذاته الحقيقية، وأخطر من هذا عند إبليس هو الذي يسعى إلى تحرير الآخرين،بعد أن يتحرر هو في خاصة نفسهيقول الشيخ محمد رشيد رضا في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27].

(1) الغزالي: إحياء علوم الدين، 1669/3–1670.

(أي: قد مضت سنّتنا في التّناسب بين أنواع المخلوقات المتجانسة والمتشاكلة، أن يكون الشّياطين الّذين هم شرار الجنّ أولياء لشرار الإنس، وهم الكفّار الّذين لا يؤمنون بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله إيمان إذعان؛ بحيث يهتدون بوحيه ويزكّون أنفسهم بعبادته وآدابه حتّى يبعد التّناسب والتّجانس بينهم فهذا الجعل لا يدلّ على ما يدّعيه الجبريّة، وإسناده إلى الله تعالى لا يقتضي أنّه جعله خارجا عن نظام الأسباب والمسبّبات ونتائج الأعمال الاختياريّة الّتي تسند إلى مكتسبيها باعتبار صدورها عنهم، وإلى الخالق تعالى باعتبار خلقه وتقديره لذلك في نظام الكون، فسنّته في استعداد الكفّار لولاية الشّياطين باستعدادهم لقبول وسوستهم وإغوائهم، وعدم احتراسهم من الخواطر الباطلة أو الشّرّيرة من لمتهم، كاكتساب ضعفاء البنية للأمراض باستعدادهم لها، وعدم احتراسهم من أسبابها، كالقذارة وتناول الأطعمة والأشربة الفاسدة أو القابلة للفساد بما فيها من جراثيم تلك الأمراض... فأولياء الشّيطان هم أصحاب الوساوس والأوهام والخرافات والطّغيان والكفر والفسوق والعصيان، لقرنائه من أهل الطّاغوت والدّجل والنّفاق كما يؤخذ من عدّة آيات)(1).

(1)محمد رشيد رضا: تفسير المنار (8 / 331).

الفصل الثاني
مقاربة خاصة بدور التزكية في علاج الإعراض

المبحث الأول: إحلال القلب مكانته من الذات الإنسانية

المطلب الأول: مكانة القلب الحقيقية من الذات الإنسانية

يقول المولى تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: 35).

ضرب الله عز وجل مثلاً لنوره بقلب المؤمن.. فقلب المؤمن شبَّهه بالزجاجة التي بداخلها مصباح، لأنها تنشر الضوء وتوزعه وتشرق به، ووجه الشبه بين القلب وتلك الزجاجة: الشفافية والصفاء والنقاء، وإذا بحثنا عن مصدر هذا النور الوضاء الذي يشرق من قلب المؤمن، لوجدناه "القرآن" وهو الشجرة المباركة هنا في المثل المضروب، والمقصود منها بالخصوص: زيتها المبارك الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار؛ ومعنى ذلك أن قلب المؤمن يتنور ويشرق بمجرد أخذه واستسقائه -من نبع القرآن- الهدى والمنهاج الذي يسير عليه في حياته.

والنار في المثل رمز لـ"نار العلم"، أي ولو لم يتمكن صاحب هذا القلب من العلوم، ولم ترسخ قدمه فيها، فإيمانه الفطري -إن تعاهده بنور الوحي- يكفيه في أن يحيا الحياة الطيبة، وبنور الله يبصر طريقه.. فكيف إذا جمع المؤمن بين الحُسنيين معا؛ فحصل علم القرآن وهداياته، وزاد إليه علْما أو أصنافاً من العلوم الدنيوية؛ أو فنًّا من فنون الحياة.. لا شك وأنه سيكون "نورا على نور".

وهذا النور الذي ضربه الله مثلاً هو نور الإيمان في قلب المؤمن، فالمؤمنون الأبرار

الأطهار؛ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ويجاهدون في العمل الصالح ما منيبين إلى ربهم، هؤلاء هم الذين هداهم الله لنوره(1).

والمصباح في الآية الكريمة هو مصباح الفطرة المغروز بداخل كل إنسان،كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30)

يقول ابن فارس في معنى حديث الفطرة المشهور: «كلُّ مولود يُولد على الفطْر: الابْتداء والاختراع... والْمعنى أنَّه يُولد على نَوع من الْجبلة والطَّبْع الْمتَهيِّئ لقَبول الدِّين، فلو ترك عليها لاستمر على لُزومها ولَم يفارقْها إلَى غيرها، وإنَّما من يعْدل؛ لآفَة من آفَات البشر والتَّقْليد»(2).

ويقول الإمامُ مَحيي الدين بن عربي(3) في تفسير آية سورة الروم السابقة عن الفطرة: (أي الزموا فطرة الله؛ وهي الحالة التي فُطرت الحقيقة الإنسانية عليها من الصفاء والتجرد في الأزل، وهي الدّين القيم أزلاً وأبداً، لا يتغير ولا يتبدل عن الصفاء الأول، ومحض التوحيد الفطري)(4).

ويقول سيد قطب في حقيقة الفطرة:

(« فطْرَتَ اللَّه الَّتي فَطَرَ النَّاس عَلَيْها لا تَبْديل لخَلْق اللَّه».. وبهذا يربط بين فطرة النفس البَشرية وطَبيعَة هذا الدين وكلاهما من صَنع اَلله وكلاَهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي

(1)بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة النور)، ط: 1998، 304/6.

(2) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني:النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م (3/ 457).

(3)ابنالعربي (560 – 638 هـ = 1165 – 1240 م) محمد بن علي أبو بكر الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز.واستقر في دمشق، فتوفي فيها،من كتبه (الفتوحات المكية)، في التصوف وعلم النفس، و(محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) في الأدب، و(فصوص الحكم). ينظر: الزركلي:الأعلام(6/ 281).

(4)ابن عربي: تفسير بن عربي، 2/455-456.

أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرِّفه ويطب له من المرض ويقوِّمه من الانحراف. وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير. والفطرة ثابتة والدين ثابت: «لا تَبْديلَ لخَلْق انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة. فَطرة اَلبشرَ وفطرة الوجود)[1].

فالفطرة هي الزوج الأول من الأزواج الذين خلقهم الله في ذات الإنسان "الفطرة والنفس"... الفطرة هي: الحاكم-القائد-المرشد-الرسول-النبي... بالنسبة لذات الإنسالنفس هي: المحكوم-المقُود-الرعية-المرسل إليها... بالنسبة لذات الإنسان.

والفطرة حتى تقوم بدورها كاملاً وتبلّغ رسالتها للنفس، وتلقى الاستجابة منها.. لزاما عليها العودة إلى مصدرها ووقودها وغذائها ورواؤها: معين الوحي "القرآن العظيم"، الذي ينزل عليها من اللوح المحفوظ فيحييها وينيرها وينبتها نباتا حسنا؛ تماما مثل نزول ماء المطر من السماء على أرض قاحلة، فيحييها بعد موتها،ويخصِّبها بعد جدْبها، فإذا هي تُنبت من كل زوجٍ بهيج.

والآيات في ذلك كثيرة من بينها:

قوله تعالى: ﴿ومن . . اياته يريكُمُ الْبـ.ـرقَ خوفًا وطَمعًا وَيـُ نـ.ـزِّلُ من فـَيـُحْيِ به الارْض بـ.ـعْد موتهآ إنَّ في ذَٰلك لآيَات لّقوْمٍ يـ.ـعقلُونَ﴾ (الروم: 24).

وقوله تعالى: ﴿فانظُرِ الَىٰٓ أثَرِ رحمتَ الله كيْفَ يحْيي الاَرض بـ.ـعد موتهآ إنَّ ذَٰلكَ لَمُحْيي الْموتَىٰ وهو علَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرَ﴾ (الروم: 50).

(يحييالأرضبأزهارهاوأنوارهاعندمجيءالأمطار،ليخرجزرعهاوثمارها،ويحياالنفوسبعدنفا،ويوفّقهاللخيراتبعد فـَترتها)[2].

كذلك يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿والله الذي أَرسَل الرِّياحَ فـَتثيرُ سحابا إلَىٰ بـ.ـلَد مَّيِّت فأَحْـ يـ. يـ.ـنَا به الاَرض بـ . ـعْد موتهاَ كذَٰلكَ النُّشُور﴾ (فاطر: 9).

ويقولَ جلَّ شأنه أيضا: ﴿اعْلَموا أَنَّ الله يحْيِي الارْضَ بـ.ـعْد موتها قدْ بـ. يـ.ـنَّا

(1)سيد قطب: فيظلالالقرآن (5/ 2767).

(2)القشيري:لطائفالإشارات(3/ 124)

الآيات لعلكم تعقلون﴾[1](الحديد: 17).

يقول سيد قطب في معنى الآية الأخيرة:

(إن هذا القلب البشري سريع التقلب، سريع النسيان. وهو يشفُّ ويشرق فيفيض بالنور، ويرفّ كالشُّعاع، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكّر تبلد وقساَ، وانطمست إشراقته، وأظلم وأعتم! فلا بد من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بد من الطّرق عليه حتى يرقّ ويشفّولكن لا يأس من قلب خمد وجمد وقسا و تبلد. فإنه يمكن أن تدبَّ فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لذكر الله. فالله يحيي الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالنبت والزّهر، وتمنح الأكل والثمار.

وكذلك القلوب حين يشاء الله: «اعلموا أنَّ الله يحيي الأرض بعد موتها».. وفي القرآن ما يحيي القلوب –كما تحيا الأرض– وما يمدها بالغذاء والرِّي والدِّفء)[2].

ولما كانت الفطرة هي القسمة الإلهية العادلة والمتساوية بين جميع خلقه من لدن أبيهم آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، ولما كان عهد الأنبياء والرسل قد انقطع بانقطاع الوحي؛ أضحت الفطرة السليمة في كل إنسان هي رسوله الذي يبلّغه هدايات القرآن، لكن بشرط أن يعود المرء إلى نفسه.. يطهّرها، ويرفع عنها غشاوات التقليد، وحجب الطّباع، وصفاتها السيئة، ويزكّيها بآيات القرآن.

ومن بعد ذلك تقوم الفطرة بدورها في تنزيل القرآن على النفس على مكث... العمل

---

(1)وكذلك من الشواهد قوله تعالى:

﴿... وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة... لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة: 164)

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ (النحل: 65)=

= ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ (العنكبوت: 63)

﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ (الروم: 19)

﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ (الجاثية: 5)

(2)سيد قطب:في ظلال القرآن،(6/ 3489).

الذي تقوم به الفطرة تجاه النفس عمل تربوي توجيهي بنائي، يحتاج إلى مجاهدة ومرابطة، تماما مثل العمل التربوي الذي يؤدّيه المعلّم المربّي الجادُّ تجاه طلبته، فهو على رعايتهم، وتعليمهم ما ينفعهم بحبٍّ وإخلاص، يُقيل عثرتهم، ويأخذ بأيديهم، ويصحح لهم هفواتهم. كذلك الشأن إذا ضيقنا الدائرة وحَصرناها على المستوى الذاتي للإنسان: بين الفطرة والنفس، الفطرة باعتبارها القائد والراعي.. النفس باعتبارها المقُود والرعية؛ فسنة الله واحدة مطّردة، سواء على المستوى الجماعي أو الفردي البشري.

بل مسؤولية الفرد على ذاته أوكد وأوجب، لأنها نقطة الارتكاز، وشرارة لهذه المسؤولية، أو لنقُل أمانة الخلافة التي حملها الإنسان، وأشفقت منها سائر الكائنات، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الذينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُم، أَنفُسَكُم لاَ يَضُرُّكُم ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ (المائدة: 105).

أمانة الخلافة التي يقتضي تبليغها ونشرها للآخرين أن يتمثلها الإنسان في ذاته أولا، أو لا أقلَّ من أن يسعى مجتهدًا في تربية نفسه وتزكيتها؛ مصطبغًا بها حالَه وسلوكَه، وهو يبلّغ تلك الأمانة، لذا وجدنا كل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم بعثوا بعد الأربعين من العمر؛ وهو سن الرشد... بعد شطر كبير من حياتهم قضوه في تربية أنفسهم، وتهذيب ذواتهم، واستواء ملكاتهم وقُدراتهم.

يقول عز من قائل في هذا الشأن: ﴿وقَالَ الذينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: 32).

وفي مَعنى الآية يَقول الشَعراوي: (جعل الحقُّ سبحَانه لأعمال المؤمنين الاختيارية خلال الثلاثة والعشرين عاما فرصةً ليقيموا حياتهم في ضوء منهج القرآن، وصوب القرآن ما كان من خطأ، وذلك يدل على أن القرآن قد فرض الجدل والمناقشة، مجيء الشيء في وقت طلبه؛ لأن الشيء إذا ما جيء به وقت طلبه فإن النفس تَقبل وترضى به)(1).

ويقول تعالأيضا في معنى تفريق القرآن وتنزيله منجّما: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ

(1)الشعراوي: تفسيرالشعراوي (1 / 812).

لتَ ـقْرأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْث وَ نـ ـزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ (الإسراء: 106).

فقد تنزل كتاب ربنا سبحَانه (مفرَّقًا وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة، ووفق الملابسات التي صاحبت فترة التربية الأولى. والتربية تتم في الزَّمن الطويل، وبالتجربة العملية في الزَّمن الطويل. جاء ليكون منهجا عمليا يتحقق جزءا جزءا في مرحلة الإعداد، لا فقها نظريًّا، ولا فكرة تجريدية تعرض للقراءة والاستمتاع الذهني! وتلك حكمة نزوله متفرِّقا، لا كتابا كاملا منذ اللحظة الأولى)[1].

هذا المنهج الرباني في تنزيل القرآن للناس منجَّما مفرَّقًا –لا جملةً واحدةً– هو ذاته المنهج الذي ينبغي أن يطبقه الفرد على ذاته؛ أي في الإعداد والتربية التي تتلقاها النفس من الفطرة –صاحبة الرسالة؛ المسؤولة عن تبليغها–.

وفي معنى ضرورة توحيد القبلة في مملكة الذات، والتي لا تصلح لها إلا الفطرة الميسَّرة لذلك تيسيرا ربانيا؛يقول بن عربي وهو يفسر قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تـَفَرَّقُواْ وَاخْتـَلَفُواْ مِن بـَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبـَيِّنَاتُ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 105).

(﴿وَلاَ تَكُونُواْ﴾ ناشئين بمقتضى طباعكم غير متابعين لإمام، ولا متَّفقين على كلمة واحدة؛ باتباع مقدَّم يجمعكم على طريقة واحدة، ﴿كَالَّذِينَ تـَفَرَّقُوا﴾ واتبعوا الأهواء والبدع، ﴿وَاخْتـَلَفُواْ مِن بـَعْدِ مَا جَاءهُمُ﴾ الحجَج العقلية والشرعية الموجبة لاتحاد الوجهة واتفاق الكلمة، فإن للناس طبائع وغرائز مختلفة.. ويترتب على ذلك فُهومٌ متباينة وأخلاق متعادية، فإن لم يكن لهم مقتدى وإمام؛ تتحد عقائدهم وسيرهم وآراؤهم بمتابعته، وتتفق كلماتهم وعاداتهم وأهواؤهم بمحبته وطاعته؛ كانوا مهملين متفرِّقين، فرائس للشيطان؛ كشريدة الغنم تكون للذئب...

ولم يرسل نبيٌّ الله صلى الله عليه وسلم رجلين فصاعدًا لشأن؛ إلاّ وأمَّر أحدَهما على الآخر، وأمر الآخر بطاعته ومتابعته؛ ليتّحد الأمر وينتظم، وإلاّ وقع الهرج

---

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن(4/ 2253).

واضطرب أمر الدين والدنيا، واختل نظام المعاش والمعاد)[1].

وكذلك الأمر داخل مملكة الذّات، فالفطرة هي المسؤولة عن تربية النفس وتوجيهها وإرشادها، إذ لو تُرك الأمر هكذا دون قيادة وتوجيه؛ من صاحب التوجيه، لعاثت قوى النفس الأمارة في تلك المملكة فسادا وطغيانا كبيرا، مثلما هي الحال عند كل امرئ لم يزكّ نفسه، ولم يضبطها بموازين الشرع والفطرة، أفلا يكون حاله للكفر يومئذ أقرب منه للإيمان؟!

وإذا عدنا إلى الواقع الخارجي.. مهمة الرسول ووظيفته تجاه الذين أرسل إليهم: يتلو عليهم آيات الوحي، ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءاياتنا وَيُزَكّيكُمْ وَيُعَلّمُكُمُ الْكِتَابَ وَيُعَلّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151)، أو كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياته وَيُزَكّيهِمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: 164).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ءاياته وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ (الجمعة: 2).

ودورالفطرة أو القلب –في مملكة الذّات– كذلك هو دور الرسول، يتلو على آيات الرحمن، ويزكّيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة.يقول الإمام أبو حامد الغزالي في أهمية القلب، ودوره في مملكة الذات:

(... فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق؛ باستعداده لمعرفة الله سبحانه –التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدّته وذخره– وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله؛ وهو المتقرِّب إلى الله؛ وهو العامل لله؛ وهو الساعي إلى الله؛ وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات، يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة.

(1) بن عربي:تفسير بن عربي، 99/1.

فالقلب هو المقبول عند الله إذا سَلِم من غير الله، وهوِ المحجوب عن الله إذا صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطالَب وهو المخاطَب وهو المعاتب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره.

وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه، إذ كل إناء ينضح بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل، إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه.

وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته، وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى علّيين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين.

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه؛ فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:19)فمعرفة القلب، وحقيقة أوصافه أصل الدين، وأساس طريقَ السالكين)[1].

المطلب الثاني: واقع الإنسان مع قلبه (أو فطرته) في هذا العصر

مشكلة الإنسان في هذا العصر أنه بوأ عقله مكانة ليست له أصلا.. لم يخلق ولم لها، وهي مكانة الملك المتمكن من مملكة الذات.. والملك الحقيقي بالنسبة لمملكة هو القلب، والعقل هو وزير مساعد، أو مستشار مساند يسند القلب ويمده بالبرامج والخطط في سبيل تنفيذ رؤيته، أي أن العقل هو جارحة من الجوارح كاليدان والرِّجلان والعينان... رغم أنه أشرف الجوارح؛ إلا أنه ليس الملك المهيمن صاحب القرار، لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (...ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح

(1) الغزالي:إحياء علوم الدين، 3/1599-1600.

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[1].

فلما اعتمد الإنسان كُلّيةً على عقله ضلّ وشقي وصار يعيش ضنكًا وحيرة حقيقية، والسبب بسيط أن الفرق بينهما يكمن في أنَ الإيمان محلُّه القلب.. فالقلب يؤمن بالغيب والشهادة.. أما العقل لا يؤمن إلا بعالَم الشهادة؛ أي بالمحسوس الملموس الذي تطّلع عليه الجوارح، القلب يطلب الطمأنينة والسكينة واليقين والمحبة، وروح العقل قوة الاستدلال والغلبة بالحجة على حساب المحبة والرحمة، القلب يجمع الشّتات ويهتم بالرؤية الشمولية، أما العقل فيقسم ويفرق ويهتم بالتفصيل والجزئيات، يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون وإذا جاءتهم ءاية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مآ أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ (الأنعام: 123-124).

يقول الإمامَ محيَي الدين بن عربي في تفسير هذه الآية: (... وكذا في قرية وجود الإنسان التي هي البدن، جعلنا أكابر مجرميها من قوى النفس الأمارة ليمكروا فيها القلب وفتنته وإغوائه، ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن عاقبة مكرهم راجعة إليهم؛ باحتراقهم بنيران فقدان الآلات، والأسبابَ فيَ جَحيم الهوى، والحرمان عن اللّذّات والشهوات، وحصول الآلات الجسمانية عند خراب البدن وعند المعاد، والبعث في أقبح الصُّور؛ على أسوأ الأحوال)[2].

ثم فسر قوله تعالى: (﴿وإذا جاءتهم ءاية﴾ من صفة قلبية وإشراق نوري من ملَكية خَلُقية، أو علم وحكمَة... ينكرونها بالإعراض عنها ويتمنّون من قبل الوهم والخيال؛ إدراكات مثل إدراكات العقل والفكر...)[3].

ويقول سيد قطب في تفسيرها: (إنها سنة جارية أن ينتدب في كل قرية– وهي المدينة الكبيرة والعاصمة– نفر من أكابر المجرمين فيها، يقفون موقف العداء من دين

---

(1)رواه البخاري: صحيحالبخاري – كتابالإيمان، بابفضلمناستبرألدينه – حديث:52. الجامع للحديث النبوي.

(2)ابن عربي:تفسير بن عربي، 1/182-183.

(3)المصدر السابق: 1/183.

الله. ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السُّلطان الذي يستطيلون به على الناس، ومن الربوبية التي يتعبدون بها الناس، ومن الحاكمية التي يستذلون بها الرقاب، و يـردُّ هذا كلّه إلى الله وحده...

إنها سنة من أصل الفطرة.. أن يرسل الله رسله بالحق.. بهذا الحقِّ الذي يجرِّد مدَّعي الألوهية؛ من الألوهية والربوبية والحاكمية. فيجهر هؤلاء بالعداوة لدين الله ورسل الله. ثم يمكرون مكرهم في القرى، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. ويتعاونون مع شياطين الجن في المعركة مع الحق والهدى، وفي نشر الباطل والضلال، واستخفاف الناس بهذا الكيد الظاهر والخافي.

والله سبحانه يطمئن أولياءه.. إن كيد أكابر المجرمين- مهما ضخم واستطال- يحيق إلا بهم في نهاية المطاف. إن المؤمنين لا يخوضون المعركة وحدهم فالله وهو حسبهم، وهو يرد على الكائدين كيدهم)(1).

فهي سنَّة إلهية واحدة تنطبق على نظام الكون كما تسري على الحياة الإنسانية،أن يخلق الله من كل شيء زوجين اثنين، الخير والشر.. النور والظلمة.. الليل والنهار.. الذكر والأنثى، فحتى تنتظم حركة الكائنات، وتنتظم حياة الإنسان المكرَّم والمكلَّف بحمل الأمانة، لا بد من حدوث التفاعل في تلك الزَّوجيات، أن يجعل الله في كل قرية أكابر مجرميها، يعارضون الحقَّ، ويبثُّون فسادهم وطغيانهم؛ بما ملّكهم الله من سلطان العلم والمال وسائر القوى، حتى يتحرك أهل الحق يدفعون الباطل عن الحق الذي يمثّلونه؛ ويبتلي الله نفوسهم وإيمانهم بتلك الدعوة.. دعوة الحقّ وتمسُّكهم بها، هذا على المستوى الجماعي في أي قرية، وهي المدينة أو أي تجمع سكاني كبيروالسُّنة ذاتها تنطبق على نطاق كل فرد فيما بينه وبين نفسه... بين فطرته التي تهديه إلى طريق الحق، وبين نفسه التي تنازعه، وتفرض عليه أهواءها ورغباتها ومألوفاتها. تعالى أيضا في تلك السُّنّة التي تنطبق على الأمم كما تنطبق على الأفراد:﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ فَدَمَّرۡنَاهَا تَدۡمِيرٗا﴾ (الإسراء: 16).

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن(3/ 1202).

(فكذلك هلاك المدينة وزوالها؛ بحدوث انحراف فيها عن الجادة المستقيمة؛ هي صراط الله وهي الشريعة الحافظة للنظام، فإذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك؛ وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله، فلما تعلّقت إرادته بإهلاكها، تقدّمه أولا بالضرورة فسق مترفيها من أصحاب التّرف والتّنعم، بطرا وأشرا بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي، وذلك بأمر من الله وقدرٍ منه؛ لشقاوة كانت تلزم استعداداتهم، وحينئذ وجب إهلاكهم)[1].

يقول الشيخ محمد عبده، بمناسبة تفسير آية الإسراء السابقة: (إنّ الرُّوح الّذي أَوْدعه الله جميع شرائعه الإِلَهيَّة، من تَصْحيح الْفكْر، وتسديد النَّظْرة، وتأْديب الْأَهواء، وتحديد مطامح الشّهوات، والدُّخول إلى كُلّ أمر منْ بابه، وطَلَب كُلّ رغيبة من أَسْبابها، وحفْظ الْأمانة، واستشْعار الْأُخوّة، والتّعاون على الْبرّ...ذلك الرُّوحُ هو مصْدر حياة الْأُمم، ومشْرق سعادتها في هذه الدُّنيا قبل الآخرة..

ولن يسلُب الله عنها نعمته ما دام هذا الرُّوح فيها، يزيد الله النّعم بقوّته، وينقصها بضعفه، حتّى إذا فارقها ذهبت السّعادة على أثره وتبعته الرّاحة إلى مقرّه، وغيّر الله عزّة الْقوم بالذّلة، وكثْرهم بالْقلّ، ونعيمهم بالشّقاء، وراحتهم بالْعناء، وسلّط عليهم الظّالمين أو الْعادلين فأخذهم بهم وهم في غفْلة ساهون.

﴿وإذا أردنا أنْ نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها فدمّرناها تدميرا﴾، أمرناهم بالْحقّ ففسقوا عنه إلى الْباطل، ثُمّ لا ينفعهم يجديهم الْبكاء، ولا يفيدهم ما بقي من صور الْأعمال، ولا يستجاب منهم ولا كاشف لما نزل بهم؛ إلا أنْ يلجئوا إلى ذلك الرُّوح الْأكْرم، فيستنزلوه الرّحمة، برسل الْفكْر والذّكْر والصّبر والشُّكْر)[2].

ويقول المولى تعالى في إحاطة علمه بنفس الإنسان، وبكل ما يجري بداخلها من أفكار ومشاعر، ونوايا وعزائم.. في ألفاظ وجيزة، من مقاصدها دفع الإنسان نحو تحمل المسؤولية عن ذاته: ﴿ولقدْ خلقْنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه

---

(1)ابن عربي: تفسير بن عربي، **315/1**.

(2)محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار (**4/ 135**).

أَ قْ.رَبُ إِلَيْه منْ حَبْلِ الْوَرِيد﴾ (سورة ق: 16).

(فهكذَا َيَجد الإنسان َنفَسه مكشوفةً لا يحجبها ستر، وكل ما فيها من وساوس وخافية معلوم لله، تمهيدا ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده! «وَنَحْنُ أَ قْ.رَبُ إِلَيْه منَ الْوَرِيد».. الوريد الذي يجري فيه دمه. وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة، وَالرَقَابة المبَاشَرة. وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد أن يرتعش ويحاسب. ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها. بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول. وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة)[1].

وفي موضوع ضرورة إحلال القلب مكانته من الذّات، وإرجاع موازين النفس إلى نصابها، وانتشالها من غفلتها، بعد تمكّن القوى الأمارة بالسوء فيها من السيطرة، يقول عطاء الله السكندري: (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْء مُقْتَدراً﴾(الكهف: 45).

أي من استغرب أن يخلّصه الله من شهوته التي أسرته، وَأن يُخرجه من وجود غفلته التي استهوته أياما وشهورا وربّما سنوات، فقد استعجز: أي نسبالقدرة الإلهيةإلىالعجز– تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا–، فهو سبحانه متّصف بالاقتدار على كل شيء، ومنه الإنقاذ من الشهوات، والإخراج من الغفلات، كما قال عز من قائل: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْء مُقْتَدراً﴾ (الكهف: 45).

فعلىً العبدَ المسيء،الذي استشعر غفلته وشقاءه بها، أن يلزم باب مولاه بالذلة والافتقار، فإنه يسهِّل عليه كلَّ ما استصعبه، ويرفعه إلى منازل الأبرار، فإن الله تعالى إذا أقبل على أهل الخطيئات، بدّل سيئاتهم حسنات[2]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿و ي.قُولُ الانسانُ أ.ذَا ما متُّ لَسوفَ أُخرج حيًّا(66) اوَلا يذْكُر الانسانُ أَنّا خَلَقْناهُ من قَ.بْل ولَم يك شيئا(67)﴾ (مريم: 66-67).

وتصحيح هذه الحال بالنسبة لإنساننا في هذا العصر –كما أي إنسان في كل

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن(6/ 3362).

(2)شرح الحكَم العطائية (1 /134-136).

ومكان- لا يكون إلا بإعادة الأمور إلى نصابها، بأن يبوأ القلب مكانه الأصيل الذي خَلق من أجله، ويتأخّر العقل عن المنصب الذي قُلّده وهو ليس أهلاً له، وربما هذه الحال جزءا مما يقصده الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله، حين عن تضييع الأمانة وكيفيته، فقال: "... فإذا ضَيِّعت الأمانة فانتظر الساعة "، قال: كيف إضاعتها ؟ قال: " إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة "(1).

فحين نكون بصدد الحديث عن ذات الإنسان ألا يكونَ تبوُّأ العقل مكان القلب، نوعَا من توسيد الأمر إلى غير أهله؟

خصوصا إذا أدركنا وتذكرنا أن منظومة الإيمان في الإسلام تبتدأ بالإيمان، وتنتهي بالعمل الصالح، باعتبار أن العمل والسلوك والحال الخارجي لحضارة الإنسان.. كلُّ ذلكم هو ترجمان لما استقر في القلب من قيَم وحقائق إيمانية، فالقلب هو المسؤول والمحرك الحقيقي للذات وليس العقل... وَليس كما هو شائع وسائد -ولو في اللاوعي الجمعي- في الحضارة الإنسانية المعاصرة.

وإذا قلنا إن العقل تبوَّأَ مكانة القلب، فإن من ورائه النفس، أي النفس الأمارة بالسوء، إذ الكيان الإنساني هو ذلك المجموع المتكامل من القلب (الفطرة) والنفس هي في الأصل محل التكليف والابتلاء؛ ولذا خلقها الله مزدوجة الاستعداد: فجورا وتقوى، فسادا وصلاحا، يقول تعالى: ﴿و نَفْسٍ وما سَوَّاهَا(7) فَأَلْهَمَهَا فُجورَها و تَقْواها(8)﴾ (سورة الشمس: 7-8)، فالنفس [والعقل كذلك] بالنسبة للقلب: الرعية، المطيعة، المنفّذة، لأنها هي أهل للتربية والتزكية..بالمقابل: القلب (أو الفطرة) هو الراعي، الحاكم، المربي وا لمزكّي.

والخطاب الموجَّه في القرآن إلى الأنبياء والرسل -عموما- في شأن رسالتهم إذا ضيقنا دائرته على مستوى الذّات، نجدهيخاطب القلب في ذات الإنسان مباشرةً؛ باسم الرسول أو النبي، على أساس أنه هو المتلقّي للوحي والرسالة، ويدعوه إلى تربية النفس و تزكيتها بهذا القرآن على مكث، والتدرج معها عبر مراحل وأطوار.. إذ أن

(1) رواه البخاري: صحيحالبخاري -كتابالعلم،بابمنسئلعلماوهومشتغلفيحديثه، حديث:59. الجامع للحديث النبوي.

تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل خَلْقَه مُركبًا من قبضة الطين ونفخة الروح؛ ما يعني ازدواجيته (المادة والروح) حتى يستطيع تحقيق الخلافة في الأرض، أراد له خالقُه عزَّ في عَلاه.

وعهِدَ إليه–إلى فطرته– أن تقوم بمجاهدة هذه النفس، وتربيتها على قيم الوحي الأعلى، في عمل مستمر دؤوب يستغرق عُمر المرء، ويكتنفه الصبر والمصابرة،والمثابرة والمرابطة، من أجل أن يؤدي هذا المخلوق [الإنسان في كليته: نفسا وفطرة] عبوديته ورسالته التي خَلق لأجلها في هذه الحياة.

المبحث الثاني: الوعي بسُنّة الله في الابتلاء إيمانًا بالقَدَر

قد رأينا في الفصل الخاص بدراسة الأسباب(1)؛ أنّهمن الأسباب الرئيسةللإعراض عن روح القرآن والعمل به؛ فقدان إنسان هذا العصر لبوصلة حياته، فأصبحت حياته متذبذبة بين التعلق بالماضي،أوالترقب للمستقبل، أو كليهما معا، وخسر بذلك تواجده في الوحيدة التي يملكها، ويملك العيش فيها مطمئنًّا مستقرًّا، مستمتعا بنعم الله عليه، شاعرا مدركا لها: وهي اللحظة الحاضرة (الآن).

وفي الحقيقة بُعد الإنسان وإعراضه عن الحضور أو اللحظة الحاضرة؛ هو جزء من فهمه للقَدَر، وضعف إيمانه بحقيقته، فلو كان إيمانه به حقيقيا لما تعلّق بأي حدث أو موقف مضى عليه، وبالتالي لا يعرف معنًى للخوف أو الحزن في حياته، انطلاقًا من أنه يقع إلا ما أراده الله، وكل شيء بقدَر وحكمة إلهية، مؤمنا واثقًا بقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)﴾ [الحديد: 22-23].

فما من مصيبة تصيب الإنسان في نفسه أو ماله أو أهله.. إلا وهي مقضيَّة ومقدّرة

(1)وهو الفصل الثالث من الباب الأول، من هذا البحث، بعنوان "الأسباب الرئيسة لإعراض الإنسان عن العمل بالقرآن"، وقد درسنا هذا السبب الذي نقصده الآن في المبحث الرابع منه، بعنوان "سوء الفهم للقَدَر، وعدم رسوخ الإيمان بحقيقته في القلوب"، ص 117 وما بعدها.

في علم الله الأزلي.. في لوحه المحفوظ من قبل أن تُخلَق، ومتى اعتقد المرء هذه اطمأنّ قلبه، وسكنت نفسه، وقلّت همومه، وقل لومه؛ لنفسه وللنّاس[1].

ونرى أنّ من أهمِّ مفاتيح الحضور، أو دخول الإنسان اللحظة الحاضرة، أن يعي بسنّة الله في ابتلاء عباده والحكمة منها، وذلك هو ما يصحح فهمه ورؤيته لمختلف أحداث ووقائع الحياة الشّخصية التي تخصه، أو العامة التي يعايشها، وهذا من شأنه أن يَعالج ذاتَه من الإعراض عن العمل بهدْي القرآن؛ ويرسِّخ الإيمان بالقَدر في قلبه، ويجعله أكثر اطمئنانًا ورضًا بالحياة، وبالتّالي أكثر اتّصافًا بالإنسانية الحقّة، وأداء لرسالته التي خَلق من أجلها.

وهذا ما سنتطرق إلى دراسته–إن شاء الله– من خلال المطلبين الآتيين، الأول عن الوعي بأهمية الابتلاء والرِّضا به علاجا للإعراض، ثم الثاني عن نماذج من سيرة أنبياء الله تعالى في تعاملهم مع سنّة الابتلاء.

المطلب الأول: الوعي بأهمية الابتلاء والرِّضا به علاجًا للإعراض

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيءُ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب:1).

يقول ابن عربيفي معنى الآية: (﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ يعلم ذنوب الأحوال ﴿حكيما﴾ في ابتلائك بالتلوينات؛ فإنها تنفع في الدعوة وإصلاح أمر الأمة، إذ لو لم له تلوين لم يعرف ذلك من أمته، فلا يمكنه القيام بهدايتهم).

الله تعالى من حكمته أن يبتلي الإنسان بأنواع من الابتلاء في صحته، ماله، قوته، سلطانه، أهله، وأولاده... وفي أي نعمة أنعمها عليه، أو موهبة مادية أو معنوية وهبها إياه، فمن وهب مثلاًعلما –في أي اختصاص علمي كان– أو مُكن من قوة الإقناع الاحتجاج أمام الغير ، فلا بدّ أن يبتلى بالشوائب والشرور أو زوايا السوء التي تُصاحب تلك الموهبة، كالاعتلاء على الغير وعَجب النفس بعلوم صاحبها، ومهاراته التي يتقنها

(1)بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الحديد)، ط: 2013 م، 380/22 و383.

ويبدع فيها.. وغير ذلك.

ومن وهب السلطة والقيادة لغيره، في أي مستوى كان؛ من منصب الملك أو الوزير إلى أدنى سلطة في هرم المجتمع؛ وما بين ذلك من قيادة مؤسسة اقتصادية أو جمعية ثقافية أو اجتماعية، إلى مسؤولية رب الأسرة عن أهله، فلا مناص من أن يفتتن في مسؤوليته بما مقامه، من حب السيطرة على الآخرين والتحكم في عقولهم، أو استخفافها كما فعل فرعون مع قومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:54).

كما أخبر المولى تعالى الوالدينَ في كل أسرة؛بأنهماَ سيفتتنان ببعضهما البعض، وبأولادهما أيضًا، واعتبر –تعالى– الأزواج والأولاد في زاوية منهم، أو باعتبار كونهم حجابا للمرء عن ربه في أحوال معينة.. بهذا الاعتبار: "هم عدوٌّ له فليحذرهم.." قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(15)﴾(التغابن: 14-15).

منَ معاني (فَاحذروهم) (أي احفظوا أنفسكم عن محبَّتهم، وشدّة التَّعلق بهم والاحتجاب، وعاقبوهم عند الْتماسهم ذلك، أي إيثار حقوقهم على حقوق الله في كل شيء من المحبة وغيرها)[1].

ومن بسط الله عليه أبواب الرزق يخضع للقانون ذاته، يبتلى بأوجه السُّوء والضعف والقصور التي تلازم المال، من شدة تعلق النفس به، والحرص على جمعه وكنزه، والخوف من تلفه أو نقصانه، وإمساكه عن الغير ممن له حاجة به، أو صلة قرابه معه، فيبتلى صاحب المال بهذه السلبيات وغيرها... يعيشها حالاً في نفسه، يذوق ألمها ويعتصر مرارتها في قلبه، بحسب مقامه الإيماني، واستعداده الروحي للتَّرقّي في الكمالات، والتقرب إلى ربه عز وجل، ولا يكلف الله في ابتلاء نفس إلا وسعها.

فتكونَ تلك الفتن –إن هو أراد ذلك وتهيَّأ له– سببا مباشرا لمعرفة قيمة النعمة التي رزقه الله بها، ويعرف بتجارب عملية في واقع الحياة –لا بدروس نظرية– الأوجه السيئة والسلبية لنعمة المال؛ فيتَّقيها ويعرض عنها، فلا ينفق ماله –حين يفهم ويعي مهمَّته– إلا

(1) ابن عربي:تفسير بن عربي،622/2.

في أوجه الخير الـمـيسَّرةله والتي تُرضي ربه، تماما كما لا يكتسب هذا المال إلا من الحلال المشروعة.

وهنا يأتي دور التزكية في حماية المرء نفسه من شرور نفسه؛ أي من شرور زوايا القوة والخير التي مُكن منها، وبالمقابل دور التزكية في تفعيل الملكات والمواهب وتنميتها وتطويرها ، والبحث عن أحسن السُّبل التي يتم بها تشغيلها، وذلك من تمام شكر النعمة، شكرا عمليًّا.

فإذا ما وعى الإنسان مهمته في الحياة، وأدرك مواهبه التي ميزه الله بها –كما ميز كل إنسان ورزقه تفرده– وكان له استعداد بعزيمة صحيحة، وإرادة صادقة في الترقي صعدا نحو الكمالات، والسير في طريق الله على درب الأنبياء والصالحين، فليتقبَّل ولْ يـ.ـرض – بقلب مطمئنٍّ– دروس الحياة وابتلاءاتها،أوأشواكها ومشاكلها –كما تُسمى في الواقع–.

ذلك أنّ كلَّ ما يصيب المرء بعد استعداده ذاك –مهما تشعب، وتفاوتت درجاته وو قْـ.ـعه في النفس– إنما يصدر ويتحكّم فيه الواحد الأحد: الله جل جلاله، وحكمته تعالى من ذلكأن يصنع على عينه.. كلَّ من سلك هذه السبيل –مريدًا وجه ربه ورضوانه– ويؤهِّله للمقامات التي يريد بلوغها عند ربه.

فإذا أدركنا هذه الحقيقة من أعماق قلوبنا؛ حينها سنسجد حقًّا.. بل لا نملك إلا أن نخرَّ للأذقان سجَّدًا لربنا؛ شاكرين نعمه؛ ونعم الابتلاء والشدة والعسرة بصفة خاصة، إذ لولاها لَن نعرف ربنا حقّ المعرفة، وحينها سنشكر كلَّ من تسبب لنا في الشُّرور والخسائر–حسب رؤيتنا الظاهرية للأحداث–، من الأقربين ومن البعيدين أيضًا، ممن نعرف وممن لا نعرف.

المطلب الثاني: نماذج من سيرة الأنبياء في تعاملهم مع الابتلاء

ولنا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أسوة حسنة وقُدوةٌ عظيمة، في قيمة وأثر الشّدائد والمحن في صقْل مواهبهم وملكاتهم، بما مكّن كُلاً منهم من أداء مهمته ورسالته التي كلفه بها ربُّه عز وجل، نحو قومه ومن أُرسل إليهم.

أولاً / سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام:

من أمثلة ما نحن بصدده قصة عبوس النبي في وجه الصحابي الجليلالذي جاءه

يسترشده ويستنصحه؛وذلك لأجل اشتغاله صلى الله عليه وسلّم بدعوة كبار قريش وعلية القوم، فنزلت في شأنه سورة عبس، وهذه روايتها كما ذكرها بن حبان في صحيحه: عن عائشة، قالت: أنزلت: "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى، قالت: أتى النبي الله عليه وسلم فجعل يقول: يا نبي الله أرشدني، قالت: وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا فلان أترى بما أقول بأسا " فيقول: لا، عبس وتولى)(1).

والشاهد الذي نريد بيانه من هذه السورة هو آياتها العشرة الأولى: ﴿عبس أَنْ جآءه الأعمى (2) وما يدريك لعله يزكى (3) أو يذكر فتنفعه الذكرى (4) أما استغنى (5) فأنت له تصدى (6) وما عليك ألا يزكى (7) وأما من جاءك وهو يخشى (9) فأنت عنه تلهى (10) كلا إنها تذكرة (11)﴾ (عبس: 1-11).

فمن الدّروس التي تعلّمها نبينا صلى الله عليه وسلّم من هذه الحادثة؛ أنّمثلكخصوصالاينبغيلهأنيتصدّىللغني المستغني بماله،ويتلهعنالفقير(2) المريد للتّزكية.

وقد ذكراللهتعالىابنمكتومبصفةالعمى،ليظهرالمعنىالذيمن شأنطبع البشراحتقاره وازدراؤه،وبينأمرهبذكرضدّهمنغنىذلكالكافر(3)؛ الذي من شأنهم [أي البشر] تبجيله وتعظيمه كما قال تعالى: ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ (الفجر: 20).

وفيالإخبارعمّا فرطمنرسولالله، بأسلوب الغائب "عبس وتولى..."، ثمّالإقبالعليهبالخطاب "وما يدريك لعله يزكى" دليلعلىزيادةالإنكار، كمنيشكوإلىالنّاسجانياجنىعليه،ثمّيقبلعلىالجاني إذاحميفيالشّكايةمواجهاله بالتّوبيخ،وإلزامالحجّة(4).

إذا تأملنا هذه القصة وأطلنا في تدبّر مقاصدها وأبعادها، نرى كيف عاتب ربنا تعالى

(1)رواه بن حبان: صحيحابنحبان – كتابالبروالإحسان، ذكرمايستحب للمرءالإقبالعلىالضعفاء،حديث:536. الجامع للحديث النبوي.

(2)الزمخشري:الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (4/ 702).

(3)ابنعطية:المحررالوجيزفيتفسيرالكتابالعزيز (5/ 437).

(4)الرازي:مفاتيحالغيبأوالتفسيرالكبير (31/ 53).

نبيه وصفيه من خلقه (عليه أفضل الصلاة والسلام)، بسبب إعراضه عن رجل أعمى وفقير؛-باعتبار أنه ضمن إيمانه وصلاحه- وتصدِّيه لمن استغنى عن الهداية؛ طَمعا في وإيمان قومه من بعده. ولا شكّ أن هذا العتاب والتأديب كان له وقْعه الشّديد، على النبي الرحيم، إلا أنّ هذا الدرس التأديبيَّ له -ولنا نحن أمته من بعده- كان لابد أن يرضى به صلى الله عليه وسلّم، ويتقبَّله وينفتح له قلبه، حتى يعرف أكثر قيمة الهداية، وكيفية مواجهة استعدادات الناس لها، فكان درسا عمليًّا له في الميدان.. ميدان الحياة وواقع الدعوة.

وقد جاء في إحدى روايات تلك القصة ما يلي: (تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال، ورجا أن يؤمن، وجاء رجل من الأنصار أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم، فجعل يسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم، فكرهه نبي الله صلى الله عليه وسلم، وتولّى عنه، وأقبل على الغني، فوعظ الله نبيَّه، فأكرمه نبيٌّ صلى الله عليه وسلم، واستخلفه على المدينة مرتين؛ في غزوتين غزاهما)(1).

فقد (كان صلى الله عليه وسلم في حجْر تربية ربِّه؛ لكونه حبيبا، فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق، حتى تحركَ بنفسه لا بالله.. عوتب وأُدّب كما قال: "أدبني ربي فأحسن تأديبي " إلى أن تخلّق بأخلاقه تعالى، فإن التخلّق بأخلاقه كان بعد الوصول والفناء، والتحقّق به حال البقاء، وهو الاستقامة وقت التمكين..

فلما نظر بظاهر الحال إلى الكُبراء.. وأعرض عن الفقير اعتناء بالقوم؛ وتقوِّي بهم إن آمنوا... نُبِّه بأنّ مثلك لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الحال، فيتشاغل عن الطّالب الضّعيف، بالغني القوي، بليجب أن يكون نظرك مقصورا على الاستعداد وقبول الإيمان، فتعتبر ذلك دون غيره، ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن؛عسى أن يكون الفقير المتلهّى عنه عاملاً بالتّزكية والتّحلية؛ بالغًا حدَّ الكمال، فيصير مهديًّا هاديا لغيره، والغنيٌّ المتصدّى له لم يؤمن، لعدم استعداده أو لاستكباره وعناده)(2).

ثانيا / سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام:

(1) الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن (24/ 219).

(2)ابن عربي: تفسير بن عربي 668/2.

وهب الله تعالى سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ملكًا عظيما، وسخّر له الجن وعلّمه منطق الطّير وآتاه من كل شيء. فحتى يقيه ربُّه جانبا سلبيًّا من جوانب تلك النعمة – وهو "الاشتغال بجمع المالوكنزه؛ عن ذكر الله وشُكره"– ابتلاه سبحانه في اختبار عمليٍّ.

فقال تعالى في شأن ابتلاء سليمان: ﴿... إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ(33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ(34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ الْوَهَّابُ(35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ وغَوَّاصٍ(37) وَءاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(38)﴾ (سورة ص: 31–38).

فكانهناكابتلاءمناللهوفتنةلنبياللهسليمانَ– عليهالسلام–

فيشأنيتعلقبتصرفاتهفيالملكوالسلطان، كمايبتلياللهأنبياءهليوجههمويرشدهم،ويبعدخطاهمعنا ل. ثم

إنسليمانأنابإلىربهورجع،واتجهإليهبالدعاءوالرجاء:«قالَربِّاغْفِرليوهَبْليمُلْكالا يَنبَغيلأَحَدمِنْ كَأَ نْتَالْوَهَّاب».

وأقربتأويللهذاالطلبمنسليمان– عليهالسلام–

أنهلميردبهأُ ثَرة،إنماأرادالاختصاصالذييتجلىفيصورةمعجزة.

فقدأرادبهملكًاذاخصوصيةتميِّزهمنكلملكآخريأتيبعده.

وذاطبيعةمعينةليستمكررةً،ولامعهودةًفيا لملكالذييعرفهالناس.

وقداستجابلهربه،فأعطاهفوقالملكالمعهود،ملكاخاصًّالايتكرَّر (1):

«فَسَخَّرْنَالَهُالرِّيحتَجْرِيبِأَمْرِهِرُخَاءًحَيْثُأَصَاب· وَالشَّيَاطِينَكُلَّ بَنَّاءٍوَغَوَّاصٍ· وَآخَرِينَمُقَرَّنِينَفِيالْأَصْفَاد»

وَإنماسألاَ لملكَلسياسةالناس،وإنصافبعضهممنبعض،والقيامبحقّالله،ولميسألهحرصاو ميلاًإلىالدنيا.. وهوكقول سيدنايوسف: «اجْعَلْنيعلَىخزَائنالأَرْضإنِّيحَفيظٌعَليمٌ». ويقالليمطلبالملكالظاهر،وإنماأرادبهأنيملكنفسه،فإنالملك– علىالحقيقة–

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن (5/ 3020).

منيملكنفسه،ومنملكنفسهلميتبعهواه[1].

يقول الإمام ابن عاشور عن العبرة من قصة سليمان عليه السلام:

(إنَّماذُكرمنمناقبسليما نـلميخلُمنمقاصدائتساءوع بـ.رةوتحذير،علعادةالْقُرآنفيابتدارو لإرْشادبالـ تَّـ.رغيبوالـ تَّـ.رهيب، فكَذَلككَكانتالْآياتالْمـ تـ.علّقةُبندَمهعلىالاشتغالبالْخيلعنذكرالله؛م ةبهفيمبادرةالـ تَّـ.وبة،وتحذيرمنالْوُقُوعفيمثلغفلته،وكذلكجاءـ تـ.هذهالآياتمشيرةإلَىفـ تـ.نةعر مَّاأعقب تـ.هاإنابةٌ،ثُمَّأعقبـ تـ.هاإفاضةنعمعظيمة)[2].

ثالثا / سيدنا يوسف عليه الصلاةُ والسلامُ:

ابتلى الله سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلامبالسجن؛ مدّةَ سبع سنوات، بعد التُّهمة التي وجَّهتهاإليه امرأة العزيز، هذه الضّائقة الشّديدة كانت فيها ليوسف دروسا عمليةً شتَّى، عاش من خلالها أَلَم الظلم والتّعدّي على أعز حقٍّ ونعمة يملكها الإنسان –بعد الحياة– وهي نعمة الحرية، وما أدراك ما الحرية..

فهذا من شأنه أن يزكّي في ذاته الموهبة الفطرية التي وهبها الله إياه.. موهبة القيادة لغيره، وتولي زمام مملكةورئاستها، ويقيه شرَّ تلك الموهبة وهو:"التعدي على حقوق الناس، والتعسف في استعمال السلطة"، ويـ.قوي في ذاته "حب قيمة العدل، ونشره بين الناس، وأداء الأمانات إلى أهلها" ، فلا يمكن لهذه القيم أن تنغرس في نفس يوسف، وفي نفس كل من أوتي تلك الموهبة، إلا بذلك النوع من الدروس الحياتية.. ونافلةً من القول أن درجات الابتلاء بتلك الدروس تختلف بتفاوت الاستعدادات بين الناس، وعلى حسب حال الشخص ومقامه عند ربه، وبمقدار إيمانه بالله، وصدق عزمه وطلَبه.

ومن بين المواهب التي وهبها الله يوسف عليه السلام "تأويل الأحاديث": يَجتَبيكَ ر بـ.ُّكَ و يـ.علّمُكَ من تـ.اويل الاَحاديث...﴾ (يوسف: 6)، الأحاديث حديث، وهو كل واقعة أو حادثة حدثتَ بعد أنَ لمَ تكن. يقول بن فارس في معنى "حدَث": (هو كَونُ الشَّيء لَم يكُن. يـ.قَالُ حدَثَ أَمر بـ.عد أَنْ لَم يكُن)[3].

وتأويل الأحاديث: معرفة نهاية كلٍّ منها وآخرته أو دبره، على وجه اليقين.. أو هي

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات (3/ 256)

(2) ابن عاشور:التحريروالتنوير (23/ 259)

(3)ابن فارس: مقاييساللغة (2/ 36).

(معاني المغيبات)[1]، ومن هذا الباب تأويل الرؤيا، كما أول يوسف رؤيا الفتيين اللذين دخلا معه السِّجن، وكذا رؤيا الملك بعد ذلك.

تلك الموهبة التي وهبها يوسف الصدّيق؛ لم يكن ربُّه ليدعها له دون أن يفتنه بما من شرورها، ويطهره من دنسها، فكان السجن ذاته الذي دخله بسبب تهمة امرأة العزيز؛ سببا لتزكية قوته في "تأويل الأحاديث"، فلم يكن السجن مجرد مرحلة عابرة في حياة يوسف، بل مدرسةً حقيقية عالية الطراز لتزكية مواهبه، تخرج منها، كما قال تعالى على لسان يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (يوسف:100)،ويبقى السجن في قصته بعد ذلك؛ رمزا لنا للتخرج من سجن الأزمات، والترقّي في مدرسة الشدائد والابتلاءات.

لقد تم خلال المدة التي قضاها النبي الصدّيق يوسف؛ وراء القُضبان: تصفيته من الحال والمقام الذي بلغه، وتنقيته من زوايا السوء فيما مكّن فيه من علم التأويل، فيذكر القرآن أن السبب المباشر للبثه في السجن بضع سنين–بعد أن أمَّل وتمنَّى كثيرا هو التماسه من الذي ظن نجاته من الفتيين اللذين دخلا معه السجن؛ أن يذكر مظلمته عند سيده –وهو ملك مصر– حتى يفرج عنه، لكنه تعالى أدّبه فأحسن تأديبه، إذ تُرك في ضائقته مدة أخرى أطول من الأولى "بضع سنين"، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾(يوسف:42).

قال ابن عاشور في تفسيره للآية: (وذَلِكَ أَنَّ نسْيَانَ يُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَنْ يسأَلَ اللهَ إِلْهَامَ الْملك تَذَكُّر شَأْنه، كَانَ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيته، وَكَانَ ذَلِكَ سببا إِلَهِيًّا فِي نِسْيَانِ السَّاقِي تَذْكِيرَ الْمَلِكِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِتَابًا إِلَهِيًّا لِيُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– عَلَى اشْتِغَالِهِ بِعَوْنِ الْعِبَادِ، دُونَ اسْتِعَانَةِ رَبِّهِ عَلَى خَلَاصِه)[2].

---

(1) ابن عربي:تفسير بن عربي 278/1.

(2) ابن عاشور:التحريروالتنوير (12/ 279).

فلنتأمل كيف أراد الله بلطفه أن ينتزع من قلب حبيبه يوسف كل الأغيار، حتى لو كان شيئا يسيرا في نظرنا نحن، من أجل أن يطهّر جوهره، والعلم الذي علّمه إياه؛ من كل الشوائب والحظوظ النفسية –حتى لو كانت فكّ رقبته من الأَسر– وتبقى نعمته التي أنعم بها عليه خالصة الوجهة، ثم لا يكون اعتباره وتوكّله بعد ذلك على أحد –حتى لو ملكًا من عظماء الملوك– إلا على رب العالمين جلّ وعلا.

رابعا / سيدنا موسى عليه السلام:

سيدنا موسى عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله أعطاه الله بسطةً في العلم، و قُوةً في وحدّة انفعال في طبعه، هذه القوة الفطرية تجاوز في استعمالها مرةً لما كان في ريعان قبَل أن يكلّفَ بالرسالة، إذ استنصره ذات يوم رجل من شيعته على آخر من قوم فرعون؛ فضربه موسى بجمع كفّه، فقضى عليه–وهو ما قصد قتله بل دفاعا عن الإسرائيلي– لكن استخدامه المفرط للقوة التي وهبها الله إياه؛ كانت سببا في سقوط الرجل القبطيّ ميّتا، قال تعالى في شأنه: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص:15)، هذا الاختبار –أو السجن والضائقة النفسية– كان لابد لنبي مثل موسَى أن يجتازها ويعيش ألمها، ويذوق وخز الفطرة في ذاته؛ حتى تتزكّى موهبته وتُطهَّر من شوائبها، وتؤهَّل للاستعمال في محلّها، استعمالاً راشدًا بما يحقّق المصلحة، وبما يحقّق شكر نعمته بعد ذلك.

هذا الموقف جعله يتذكّر فورا وينيب إلى ربه –وهو حال الأنبياء والمقرَّبين– ويستفيد من الدرس العملي.. ثلاث إشارات في غاية الأهمية دلّنا عليها موسى (عليه السلام)في طريق تزكية النفس، وعلاج إعراضها:

أولا/ نسب الفعل إلى عدو بني آدم الأول بإضلاله له.

ثانيا/ اعترف بظلمه لنفسه.

ثالثا/ عزم بقلبه على عدم العودة لفعلته، أي للجانب السلبي من الملَكة التي وهبها الله إياه. قال تعالى على لسان موسى: ﴿... قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ(15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ(17)﴾ (القصص: 15-17).

فقدتمنىموسىأنلودفع القبطيعن الرجلبأيسرممادفعه به حتى لا يقع فيما وقع فيه،ولمينسبالقتلإلىالشيطان،لكنه دفعهعنهبالغلظةنسبهإلىالشيطان؛وذلك بوسوسته وإغوائهوحملهعلىتلكالحدَّة والانفعال(1).

(وهكذا...

إذاأراداللهأمراأجرىأسبابايحصلبهامراده،ولولاأنهأرادفتنةموسىلماقبضروحالرجلبمثلتلكالو كزة،فقديضربالرجلبالكثيرمنالضربوالسياطثملايموت،فموتالقبطيبوكزة؛إجراءلماقضاهوأراد (2).

ذات الموهبة والقوة التي دفعت بموسى أن يتسبب في قتل رجل يوما ما، هي الصفة التي ميزته وأهّلته لرسالة لم يقم بها أحد غيره –لكن بعد أن رباه مولاه سبحانه فأحسن تربيته– وتتمثل في أربع مهمات عظمى قام بهن موسى في عصره؛ وهن:

1- أن يسمع كلام الله مباشرة بجبل الطور في سيناء.

2- أنيرى عصاه وهي في يده تتحول بقدرة الله وإعجازه إلى ثعبان، كي يواجه بها بعد ذلك تحدّي فرعون والسَّحرة الذين كانوا معه.

3- يواجه فرعون في تألهه وتجبره، ويدعوه إلى الحق والاستسلام لرب العالمين.

4- يتولى قيادة وإدارة قوم من أشدّ الأقوام طباعا وهم بنو إسرائيل.

المبحث الثالث: وعي الإنسان بذاته وموهبتها علاجًا للإعراض

المطلب الأول: ضرورة الوعي بالذات وموهبتها

من أهم مداخل العلاج لمسألة الإعراض عن العمل بالقرآن كذلك: معرفة الإنسان للموهبة التي وهبه الله إياها، ونقاط القوة والملكات والقُدرات التي مكّنه –سبحانه وتعالى– منها؛ والتي تؤهله للقيام بوظيفته التي هو ميسّر لها في الحياة، ذلك أن هذه

---

(1)القشيري:لطائفالإشارات(3/ 57).

(2)المصدر السابق نفسه.

والوعي الذّاتي يجعله يعيش من أجل معنَى حقيقي، ويستثمر أيام عَمره في اكتشاف وصقلها وتنميتها، في سبيل الإنتاج والعطاء والنّفع لعباد الله.

وبالمقابل فالواقع الإنساني يشهدبأن كثيرا من الناس في مجتمعات مختلفة؛ يشتغلون وظائف، ويندمجون في أنشطةلم تُخلق لهم، ولم يـيسَّروا لها أصلاً، والرسول صلى الله وسلم في هذا الباب يقول: (اعملوا فكل ميسَّر لما خَلق له)[1].

ونتيجة وضعهؤلاء أن يعيشوا مرهَقين مكرهين في أعمالهم، لسبب واحد: أنهم لم يتّبعوا سنة الله في أنفسهم، إذ الأصل أنّ كل فرد في العائلة البشرية خَلق كيانًا مستقلاً، متفردا ومتميزا بذاته، وبالتبع لذلك مهمَّته لن يقوم بها أحد نيابةً عنه؛ بل هي فرض عين في ذمته، مثل فرض الصلاة والصيام وغيرهما من الشعائر، وبها يحقق رسالته في الحياة وعبوديته لله عز وجلوالسبيل إلى معرفة الموهبة أو الملَكَة، هو أن يتعرف الإنسان على ذاته، زوايا القوة فيها فيشغلّها وينميها ويستثمر فيها كل جهده وطاقته ووقته وماله، ويشتغل بالعمل الذي يوظّف فيه تلك القوة، كما يتعرف المرء على زوايا الضعف والقصور في ذاته، ويحاول تقويتها والاستعانة بغيره في تكميلها، والانخراط في أنشطة اجتماعية في شتى المجالات، من أجل إثراء خبراته وخبرات الآخرين معه.

ومعرفة الموهبة والتعرف على الذات يحتاج من المرء شروطًا من أهمها: أن يتحرر فكره ووجدانه من التقليد الأعمى للسائد والموروث في المجتمع؛ من عادات وطباع وأوضاع، وأن ينفتح قلبه على العالم من حوله: مما خلق الله من بشر مثله يعيشون في مجتمعات، ويعتنقون ديانات ومذاهب شتى، ومما خلق تعالى أيضا من مظاهر الكون الرائع الذي يعيش فيه ويتنفس هواءه، ويمتد بصره إلى آفاقه.

وإذا عدنا إلى كتاب الله عز وجل، وجدناه يعتبر اجتهاد الإنسان في معرفة ذاته أولى الأولويات التي هو مطالب بها، تحقيقًا للرسالة التي خَلق من أجلها، فمثلاً نجده تعالى في مطلع سورة الأعلى يقول: ﴿سبِّحِ اسم ربِّكَ الأعلَى (1) الذي خَلَقَ فَسوَّى (2) والذي قدَّر فهدَى (3)﴾ (الأعلى: 1-3).

---

(1)رواه البخاري: صحيحالبخاري – كتابتفسيرالقرآن، سورةالبقرة – بابفسنيسِّرهللعسرى، حديث:4670. الجامع للحديث النّبوي.

جاءت الآيات بياناً لعظمة الخالق في إبداعه وإيجاده،وتوجيهه لكل الكائنات إلى ما الحكمةمن وجودها، فهو سبحانه الذي (خلق كل شيء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذي يناسبه.. والذي قدّر لكل مخلوق وظيفته وغايته، فهداه إلى ما خلَقَه لأجله، وألهمه غاية وجوده، وقدّر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضا)[1].

فإذا كان الله تعالى قد هدى كل مخلوق خلَقَه إلى غاية خلْقه ووظيفته التي يسّر له؛ من عوالم الحيوانات والنباتات والكائنات الأخرى، أفلا يهدي خليفته في الأرض؛ وهو الإنسان المكرم إلى وظيفته التي خَلق من أجلها؟ بل ما أُوجدت سائر المخلوقات إلا مسخّرةً لتيسِّر له أداء رسالته تلك؟!

ونجد في القرآن أنه عند محاورة موسى عليه السلام لفرعون؛ ودعوته إلى سأله فرعونُ عن ربِّه، فكان جوابه عليه السلام ﴿قَالَ رَبُّنَا الذي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه:50). والهداية كلمة جامعة تشمل كل ما خَلق الله من أكوانٍ من أصغر الذّرات إلى الأجرام والمجرات الكبرى، فما من شيء إلاّ وخلقه الله على الصورة التي يريدها عليه تعالى، ثم هداه وألهمه إلى وظيفته التي خَلق من أجلها وكيفية أدائها كاملةً[2].

وفيسورة طه ذاتها ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (طه:82).

(وإنّيلغفّارلمنتاب) يخاطبنا تعالى: وإنيلذوغفْرلمنتابمنشركه، (وآمن) أي: وأخلصليالعبادة، (وعملصالحًا) بمعنى: وأدّىفرائضيالتيافترضتهاعليه،واجتنبمعاصيَّ، (ثُمَّاهتدى) يقول: ثملزَمذلكفاستقام،ولميضيعشيئامنه[3].

وفي المراد بقوله تعالى:﴿ثم اهتدى﴾ يذكر المفسرون أوجها، أَحدُها: الْمرادُ مِنْهالاستمرارعلىتلْكالطريقة،إذالْمهْتديفيالْحاللايكْفيهذلكفيالْفوزبالنَّجاة،حتَّى يستمرَّويثبت عليْهاإلى آخر عمره،ويؤكّدهقوله تعالى: ﴿إنَّالَّذينقالُوا ربُّنااللَّهثُمَّاستقامُوا﴾[فُصِّلتْ: 30]،

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن(6/ 3883).

(2) بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورتي مريم وطه)، 286/3.

(3)الطبري:جامعالبيانفي تأويل القرآن(18/ 347).

وكلمة ثم للتراخي في هذه الآية، لتباين الوقتين فكأنه تعالى قال: إلا تبيان التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ مما قد يتفق لكل أحد ولا صعوبة في ذلك، إنما الصع اومة على ذلك والاستمرار عليه.

والوجه الثاني للمراد من قوله: ﴿ثم اهتدى﴾: أي يعلم أن ذلك بهداية الله هو توفيقه، وقوته، وبقي مستعينا بالله في إدامة ذلك، من غير تقصير، وهذا الوجه من المعنى مرويٌّ عن ابن عبَّاس(1).

أمّا الوجه الثالث للمعنى: هو ما يتعلق بتطهير القلب من رذائل الأخلاق، وهو المسمَّى بالطريقة في لسان الصوفيَّة، ثمَّ انكشاف حقائق الأشياء لقلب المرء، وهو المسمَّى بالحقيقة في لسانهم، فهاتان المرتبتان هما المرادتان بقوله:

ونلاحظ بين الفعل (هَدَى) في الآية الأولى، والفعل (اهتدى) في الآية الثانية: الهدى من الله، والاهتداء من الإنسان، فكل ما يرسله الله إلينا من ابتلاءات نعيشها، وأقدار نبصرها ونسمع عنها؛ في حياتنا كل يوم، تُعتبر هدايات من الله تعالى، يريد منا أن نستجيب له، ونهتدي بعلاماتها، لأنها ستوصل كلاً منا إلى برِّ أمانه... إلى ما هو مُيسَّرٌ له.. إلى تفعيل مواهبه التي بها يحقّق مهمته في رحلة الدنيا القصيرةَ، لكن بشرط أساسي وهو أن يتفتح قلبه لهذه الهدايات؛ حتى ينتفع بها حين يستجيب.

وفي موضوع معرفة الإنسان لنفسه ولموهبتها، نجد ربُّنا تعالى يبشّر كليمه موسى السلام، بالاصطفاء على الناس برسالته –سبحانه– التي سيؤدّيها إلى فرعون وإلى بني إسرائيل، كما يبشّره بتكليمه مباشرةً، فيخاطبه: ﴿قَالَ يا موسىٰ إنِّي اصطَفَيْتُكَ على النَّاس بِرِسالَتِي وبِكَلامِي فَخُذْ مآ ءاتيْتُكَ وكُن مِّنَ الشَّاكرين﴾ (الأعراف: 144).

(أما أمر الله تعالى لموسى بأخذ ما آتاه، والشكر على الاصطفاء والعطاء، فهو أمر التعليم والتوجيه لما ينبغي أن تقابل به نعمة الله. والرسل –صلوات الله وسلامه عليهم– قدوة للناس، وللناس فيهم أسوة، وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشُّكر؛ استزادةً من النعمة، وإصلاحاً للقلب، وتحرزاً من البطر، واتّصالاً بالله)(3).

---

(1) الرازي: مفاتيح الغيب (22/ 85).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن (3/ 1370).

وإذا تأملنا في أبعاد الأمرين على واقع كل إنسان بعد ذلك، نجد ما يلي:

﴿فَخُذْ مَآ ءاتَيْتكَ﴾ إشارة إلى وجوب معرفة الذات على كل فرد؛ فيرى مواطن قوته، والملكات التي ميزه بها ربه عن غيره، ومن ثَمَّ يتقبل ذاته كما هي بقُوتها وبضَعفها أيضا؛ لأن هذا جزء أساسي من إيمانه بالقضاء والقَدَر، فإذا تقبَّل ذاته ورضي بها؛ بحث عن أفضل السُّبل لتفْعيل مواهبه في الحياة وترقيتها، وتزكيتها أيضا.

وفعل "أخَذَ" أصله: (حوْزُ الشَّيْء، وجَبْيه وجمعه)[1]، فيبدو –والله أعلم– الأمر الإلهي للإنسان في الآية:" فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتكَ " يتضمن –مما يتضمن من دلالات– أن يعي جيّدا مواطن قوَّته،ويستجمع نقاط تفُرده في ذاته، ويبحث عما هو ميسر فيه من الوَظائف؛ لأن رسالته تكمن هناك، لا فيما قد يتصوره هو بمجرد هواه؛ أو بإملاءات المجتمع والعادات والأعراف، أو بمقتضى مشتهيات النفس من البحث عن أقرب طريق للرِّبح المادي السريع، أو المنصب الاجتماعي والسياسي المُغري بامتيازاته؛ أو غير ذلك.. مما لا علاقة له البتَّة بما يسر له ذلك الإنسان في كتاب الأزل.

أما قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكرينَ﴾ أي اعمل على شكر النعمة التي أنعمت بها عليك، ومن أهم ما يتمُّ به ذلك الشُّكر:إبراز المواهب، وتشغيل الملكات في واقع الحياة، وهنا يجدر بنا بحثمفهوم الشكر في القرآن، فما هي حقيقته؟

إنّ الفهم السائد للشّكر يقصره على وظيفة اللسان؛ حين يثني ويذكر بالخير من أسدَى له معروفًا، لكن حقيقة الشّكر هي أعمق من ذلك.. تشمل لسان المقال، وقبل ذلك لسان الحال كلّه، على أنّ بعضهم يسمي شكر اللسان "حمدًا" أخذًا من قوله تعالى على لسان النبِيّيْن الكريمين "داوودَ وسلَيمانَ": ﴿ولَقَدْ آتَيْنا دَاوودَ وسُلَيْمانَ علْماً وقَالاَ الذي فَضَّلَنا عَلَى كَثير مِّنْ عباده الْمُومنينَ﴾ (النمل: 15).

فالحمدباللسانَ ليس هوَ الشُّكرَ، بل يعتبر طرفًامنه[2]،... لأنّ الشُّكر هي حالة روحانية يتّصف بها المؤمن فتشمل الكيانَ كُلهُ، وتستغرقُ العُمرَ جلّه، فينطلق هذا

(1)ابن فارس: مقاييساللغة (1/ 68).

(2)الطبري:جامعالبيانفي تأويل القرآن (20/ 369)

من القلب، إيمانًا بالخالق واعترافًا بنعمته وفضله، ويسري على سائر الأعضاء تُرجمانًا عمليًّا لهذا الاعتراف؛ فتؤدِّي كلٌّ منها ما خَلقت له طاعةً للباري عز وجل، ويكون ثناء اللسان أو حمده حينها جزءا من القضية، وليس هو كل شيء.

فالشُّكْربِاللّسانإنَّمايحسنموقعه؛إذاكانمسبوقًابعملالْقَلْبوهوالْعزمعلىفعلالطّاعةوتَرْكِ مَعْصِية،وبعملالْجوارحوهوالاشْتغَالبالطّاعات،ولمَّاكَانَالشُّكْربِاللّسانيجبكونهمسبوقًابعمل القلبِ والجوارح كليهما،صارمعنى آية النمل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾، كأنَّهتعالى قال: "ولَقدْآتيناهماعلْمًا، فعملابهقلْباوقالبا،وقالابِاللّسانالْحمدللهالذيفعلكَذاوكَذا"[1].

ومن الآيات التي توضّح الحَقيقة القرآنيّة للشّكر بصورة أكثر دقّةً وبيانًا قوله تعالى مخاطبا آل داود: ﴿... اعْمَلُوا ءالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13).

والمعنى: ياآلداوداعملوابطاعةاللهتعالى؛شكراعلىنعمه[2].

فالشُّكْرحقيقَته: الاعترافبالنِّعمةللْمنعم—سبحانه وتعالى—واستعمالُهافيطاعته،والْكُفْرانُ: وهواستعمالُهافيالْمعصية[3].

والشّكورصيغة مبالغة في القيام بحقوق الشُّكر، ومعناه (المتوفّرعلىأداءالشكر،الباذلوسعهفيه: قدشغلبهقلبه،ولسانه،وجوارحه،اعتقاداواعترافًاوكدحا،وأكثرأوقاته.

وعنابنعباسرضاللهعنهما: "منيشكرعلىأحوالهكلّها" [في السراء والضّراء]. وعنالسُّدّي: "منيشكرعلىالشُّكر". وقيل: "منيرىعجزهعنالشكر")[4].

بعدما تقصينا دلالات الشكر من خلال النصوص السابقة،نصل إلى أنّ هذا المصطلح له مفهومان محوريان في حياة الإنسان: أحدهما عام، والآخر خاص.

أما المفهوم العام للشكر فهو:

الحال التي يعيشها المؤمن مستشعرا لنعم ربه معترفًا بها، حيث ينطلق قلبه بالثناء

---

(1)الرازي: مفاتيحالغيب(24/ 546-547).

(2)الخازن: لبابالتأويلفيمعانيالتنزيل (3/ 444).

(3)القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (14/ 276)

(4)الزمخشري: الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل (3/ 573)

قبل لسانه، وتنقاد جوارحه كلها مطيعةً له؛ كلٌّ منها بما خَلقت وهَيِّئتْ له، بنية والتّقرب إلى المعبود حقًا.

وأما المفهوم الخاص له فهو:

"أن يتعرف المؤمن على مواهبه التي فُطر عليها، ويستعملَها فيما خَلقت لأجله".

أو باختصار: "أن يعمل في ما يسِّر له؛ مخلصا وجهته لله تعالى".

ويبين الله في كل مرة في كتابه الكريم، أنه هو صاحب العطاء والفضلِ والإنعام علينا، ويريد منا مقابلة أفضاله وعطاياه بشيء واحد... بالشكر حقًا، ولا يتم ذلك إلا بقَبول ما يؤتينا من نعَمٍ، وإدراك قيمته، واستشعار أثره في كياننا وحياتنا، ثم استعماله بعد ذلك فيما خَلق لَهَ، وما يرضيه عز وجل.

المطلب الثاني: نماذج من تحقيق الشكر عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

لنا دائما في أنبياء الله تعالى القُدوات العليا في كل مجال من المجالات الإنسانية، والنماذج منهم متنوعة في ما نحن بصدده من مسألة "المعرفة بالنفس، أو الوعي بالذات وموهبتها"، وتحقيق شكرهم لله بفضل هذه المعرفة الذّاتية، ثم أثر ذلك في صلاح نفوسهموأحوالهم.

فهذا سيدنا موسى كما تطرقنا إليه في الآية السابقة يخاطبه ربه تعالى: ﴿قَالَ يا موسىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾(الأعراف: 144).

وَهَذا سيدنا سليمان يدعو ربه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنَ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنَ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل:19). ولما أُحضر بين يديه عرش بلقيس ملكة سبأ قال:﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَآشْكُرُ أَمَ اَكْفُرُ...﴾ (النمل:40).

وبملاحظة الأنبياء في القرآن الكريم نجد كلاً منهم تميّز بشيء من الإمكانات المادية والمعنوية لم توهب لغيره، وبالتالي كان لتلك الإمكانات أثر في رسالته التي بعث بها، بل كان تبليغه للرسالة على وفق تميُّزه وتفرده، أو لنقل على حسب مواهبه وملكاته.ذكر تعالى مثلا النبي داود وابنه النبي سليمان عليهما السلام، وما آتاهما من

ملك وملكات؛ وكيف استثمرا ما أُوتيا في مرضاته عز وجل، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(11) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(13)﴾ (سبأ: 10-13).

وَفِي موضع آخر من سورة النمل يبين تعالى عطاءه لداود وسليمان، وكيف كان حالهما من الشكر في استشعار منة الله عليهما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ(15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(16)﴾ (النمل: 15-16).

نعود بالتأمل مع الخطاب الموجه للكليم عليه السلام، فقوله تعالى:﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾هذا المقطع يبيّن مرحلة هامة من مرحلتي: مسيرة الإنسان مع رسالته ومهمته التي يسر لَها، وهي مرحلة الأخذ والتحمل للرسالة وتقبلها، ثم تعهد النفس بها، والتخلّق بصفاتها.. والقوة هنا هي قوة العزيمة، وصدق الإرادة والتوجه، إضافةً للقوة البدنية والمادّية.

أما قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ وهذه المرحلة الثانية: هي مرحلة أداء الأمانة وتبليغ الرسالة.

فالمرحلة الأولى تمثل الأخذ، وهذه تمثل العطاء، وهي سنّة الله في مسيرة يأخذ أولاً، ثميعطي آخراً"، فالله تعالى يرزقُه ويهبه كلَّ المقومات التي يحتاجها في ويكلّفه بعد ذلك أن يَعطي الآخرين، وينفق عليهم مما رزقه ربُّه، رزقًا ماديًّا كان أو معنويًّا،﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:7).. (إنّ الله تعالى يقول لنا: كيف تبخلون وأنتم خلفاء على مالي؟! فالمال مالي وضعتُه بين أيديكم لزمان محدود، فأنفقوا منه قبل أن منكم، وإنّكم إذا أنفقتم منه أخلفته لكم، وأثبتكم أجراً كبيرا، فاغنموا فُرصة الإنفاق،

وإلاّ فإنكم ستندمون، لأن المال كلّه سيعود إليَّ لا محالة).[1]

ويقول تعالى أيضا–على لسان سليمان–:﴿... وقَالَ ربِّ أَوْزِعْني أَنَ اشْكُرَ نعْمتكَ التي أ نـْعَمْتَ عَليَّ وعلَى والديَّ وأَنَ اعْمل صالحا تـرْضاه وأَدْخلْني فَي عبادكَ الصَّالحين﴾ (النمل:19).

لَماذَا مصطلَحَ "أوزع" في هذه الآية بالضبط؟ وما دلالتها؟ شرحها البعض بمعنى الإلهام الذي يلهمه القلب لشكر النعمة، كما ورد في لسان العرب: (وأَوزَعه الشيء: أَلْهمه إياه. وفي التـَّنْزيل: ﴿رَبِّ أَوْزعْني أَنْ أَشْكُر نعمتكَ الَّتي أ نـْعَمْتَ عليَّ﴾؛ أَوْزعْني أَلْهمني وأَولعني به، وتأْويلُه في اللُّغة: كُفَّني عن الأَشياء إلا عن شُكْرِك وكُفَّني عمَّا يباعدُني عَنْك)[2].

لكن معنى الوزع لشكر نعمة الله يبدو أعمق من ذلك، وهو ما وجدناه عند سيد قطب في تفسيره للآية إذ قال: (..«أَوْزِعْني» اجمعني كُلّي. اجمع جوارحي ولساني وجناني، وخواطري وخلجاتي، وكَلمَاتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي. كلي. اجمع طاقاتي كلّها، أولها على آخرها، وآخرها على أولها (وهو المدلول لكلمة أوزعني) لتكون كلّها في شكر نعمتك عليَّ، وعلى والديَّ)[3].

وقال في موضع آخر من تفسيره لسورة الأحقاف –وفي السياق ذاته تقريبا– عن دعوة الولد الصالح؛ في شأن شكر نعمة ربه عليه وعلى والديه: (... دعوة القلب الشّاعر بنعمة ربه، المستعظم المستكثر لهذه النعمة التي تغمره، وتغمر والديه قبله، قديمة العهد به، ا لـمستقلِّ المستصغر لجهده في شكرها. يدعو ربه أن يعينه بأن كلّه: «أَوْزعْني».. لينهض بواجب الشكر، فلا يفرق طاقته ولا اهتمامه في مشاغل أخرى؛ غيرَ هَذا الواجب الضخم الكبير)[4].

المبحث الرابع: انفتاح القلب وصدق العزيمة علاجًا للإعراض

---

(1) بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الحديد)، ط: 2013 م، 22/306-307.

(2)ابن منظور: لسانالعرب (8/ 391).

(3)سيد قطب:في ظلال القرآن(5/ 2636-2637).

(4)المصدر السابق (6/ 3263).

المطلب الأول: حقيقة انفتاح القلب

انفتاح القلب هو الحال التي يعيشها المرء حيث تشتغل فطرته وتقوم بوظيفتها التي خَلقت لها، فتتلقّى وتستقبل موجات الرسائل الكونية، وتنتفي عنها الحجب التي تصنعها النفس الأمارة بالسوء (الأنا)، بما يجعلها تتسمع إيقاعات حمد الوجود، وتسبيحه لخالقه، وتشعر أنها جزء أصيل من الكون الوسيع الفسيح؛ لا تملك ولا يسعها إلا أن تشاركه في سجوده لبارئهوتعالىجب النفس كثيرة: نزوة الشهوة والهوى حجاب، التقليد والتعصب للرأي والموروث حجاب، طبائع النفس ومشاعرها السلبية (من غضب وخوف وحقد وأثَ.رة وطمع وحرص ويأس...) كذلك حجاب، ولا ملجأ ولا منجى من تلك الحجب التي تأسر الإنسان وتُكبلَه في سجن نفسه؛ وتمنعه من رؤية نور الحقيقة، إلا بدوام الصلة والإنابة إلى المولى عز وجل؛ وتزكية النفس باستمرار من غشاواتها، والمواظبة على الذكر في كلقولحينيد قطب عن فئة أصحاب رسول الله؛ والميزة التي تميزوا بها في تعاملهم مع كتاب ربهم: (الفئة التي كانت قَدرا من قَدر الله؛ يسلّطه على من يشاء في الأرض، ويثبت في واقع الحياة والناس؛ ما شاء الله من محو ومن إثبات. ذلك أنها لم تكن تتعامل ألفاظ هذا القرآن، ولا مع المعاني الجميلة التي تصورها.. وكفى.. ولكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي تمثلها آيات القرآن، وتعيش في واقعها بها، ولها..

وما يزال هذا القرآن بين أيدي الناس، قادرا على أن ينشئ بآياته تلك أفرادا وفئات تمحو وتثبت في الأرض- بإذن الله- ما يشاء الله.. ذلك حين تستقر هذه الصُّور في القلوب، فتأخذها جدًّا، وتتمثّلها حقًّا.. حقًّا تُحسُّه، كأنها تلمسه بالأيدي وتراه بالأبصار)(1).

المطلب الثاني: تجليات انفتاح القلب في القرآن الكريم

(السجود لسماع القرآن – وجل القلب لذكر الله – مصطلح الإيمان عموما)

أولا: السُّجود لسماع القرآن

قال تعالى في هذا الشّأن: ﴿أُولَئِكَ الذين أَ نْ.عَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبيئِينَ من ذُرِّيَّةِ وَمِمَّنْ حمَلْنَا مع نُوحٍ ومن ذُرِّيَّة إ بْ.رَاهيم وَإِسرآئيل ومِمَّنْ هد يْ.نا واجْتَ بْ. يْ.نَآ إِذَا

(1)سيد قطب:في ظلال القرآن(5/ 2924).

تـ ـتـلى عليهم ءايات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ (مريم:58)

فسبحانه وتعالى (لم يقل: "سجدوا"، بل سقطوا بوجوههم سريعاً إلى الأرض. وهذا انفعال قسري طبيعي، لا دخل للعقل فيه ولا للتفكير، فالساجد يستطيع أنْ يسجد بهدوء ونظام، أما الذي يخرُّ فلا يفكر في ذلك... وهذا الانفعال يسمُّونه «انفعال نزوعي» ناتج عن الوجدان، والوجدان ناتج عن الإدراك، وهذه مظاهر الشعور الثلاثة: الإدراك، ثم الوجدان، ثم النزوع.. فهذه وسائل إدراك المحسات، فإذا أدركتَ شيئاً بحواسِّك تجد له تأثيراً في نفسك، إما حباً وإماً بـغضاً، إما إعجاباً وإما انصرافاً، وهذا الأثر في نفسك هو الوجدان، ثم يصدر عن هذا الوجدان حركة هي «النزوع».

[فمن] تسمع لكلام الله وقرآنه، يدرك القرآن بسمعه، فينشأ عنه حلاوة ومواجيد في نفسه، وهذا هو الوجدان الذي ينشأ عنه انفعال نُزوعي،فلا يجد إلا أنْ يخر ساجداً لله تعالى، والنزوع هنا لم يكن نزوعا ظاهرياً بل وأيضاً داخلياً،ففاضت أعينهم بالدمع)[1].

وقال تعالى في انفتاح القلب للحق: ﴿إنَّما يومن بئاياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها سجَّدا وسبَّحوا بحمد ربـهم وهم لا يستكبرون﴾ (السجدة:15).

وقال أيضا: ﴿...إنَّ الذين أُوتوا الْعلْم من قـبـله إذا يـتـلى عليهم يخرُّون للاذْقان سجَّدا(107) ويـقولون سبحان ربـنآ إن كان وعد ربـنا ويخرُّون للاذْقان يـبكون ويزيدُهم خُشوعا(109)﴾ (الإسراء: 107-109). فإن كفر بالقرآن من كفر به لجهالته وسفاهة عقله، فقد آمن به قوم علماء لـما اكتشفوا الحقَّ الذي جاء به، حيث لم يتمالكوا حين سمعوا القرآن يتلى عليهم؛ أن خرُّوا على وجوههم سُجَّداً تأثُّـرا به وبإعجازه، وتواضعا للقوة الربانية التي أبدعته[2].

يقول ابن عربي في تفسير آيات الإسراء: (﴿يخرُّونَ﴾ أي ينقادون له ويعترفون به، ويعرفون حقيقته؛ لعلمهم به ومعرفتهم إيَّاه بنوريَّة الاستعداد، ومناسبته له، وبنور لتجردهم وعلمهم بأنه كان كتابا من عند الله موعودا؛ ليس هو إلا إياه، لَمَّا وجدوه

(1)الشعراوي: تفسيرالشعراوي(1 / 5575-5576).

(2)بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء)، ط2: 2009م، 1/238-239.

مطابقًا لما اعتقدوه يقينا، فإن الاعتقاد الحق لا يكون إلا واحدًا ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ باللِّين والانقياد لحُكمه؛ لتأثُّرهم به، وحُسن تلقِّيهم لقبوله).

ثانيا: وجلُالقلب لذكر الله

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:2)

يقول صاحب روح المَعاني في تفسيرها: (أي فزعت استعظاما لشأنه الجليل، وتهيُّبا جل وعلا، والاطمئنان المذكور في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ﴾ (الرعد:28) لا ينافي الوجل والخوف، لأنه عبارة عن ثلْج الفؤاد، وشَرَح الصَّدر بنوَر التوحيد، وهو يجامع الخوف)[1].

ويقول القشيري في تفسير آية الأنفال: (الوجل شدّة الخوف، ومعناه هاهنا أن يخرجهم الوجل عن أوطان الغفلة، ويزعجهم عن مساكن الغَيبة. فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة، وفاءوا إلى مشاهد الذكر؛ نالوا السكون إلى اللّه –عز وجل– فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقًا على تصديق، وتحقيقًا على تحقيق، فإذا طالعوا جلال قدره، وأيقنوا قصورهم عن إدراكه، توكّلوا عليه في إمدادهم بالرعاية في نهايتهم، كما استخلصهم بالعناية في بدايتهم.

و يقال سنّة الحقّ – سبحانه – مع أهل العرفان أن يردِّدَهم بين كشف جلال، جمال، فإذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم، و إذا لاطفهم بجماله سكنت قلوبهم... (وجلت قلوبهم) بخوف فراقه، ثم تطمئنُّ وتسكن أسرارهم بروح وصاله. وذكْرُ الفراق يفنيهم، وذكْر الوصال يصحيهم ويحييهم)[2].

ويقول تعالى في الموضوع كذلك: ﴿... وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا يُنفِقُونَ (35)﴾ (الحج: 34-35).

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (المُخْبِتُون هم الصّادقون المخلصون المتواضعون لله،

---

(1) الألوسي: روحالمعاني (5 / 155).

(2) القشيري: لطائف الإشارات (1 / 602).

والكلمة جاءت من الخَبت، والخَبَتُ هو المكان المنخفض من الأرض)[1].

(فمن كان خاضعا متذلِّلاً مسلِما وجهه لله، ليس به كِبْر ولا فخرٌ ولا خُيلاء ترفُّع، يتقبل أمرِ الله مَستسلما راضيا مختارا، لا على كُره أو مضض، فهو المُخبِت، الذي يبلغ به التواضع والخضوع لله النهايةَ القصوى)[2].

ويقول تعالى في الموضوع أيضا: ﴿والذين يوتُون مآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وجِلَةٌ إلى ربِّهم راجعونَ﴾ (المومنون:60).

في معنى الآية الأخيرة روى الحاكم النيسابوري في "المستدرك" عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (قل: يا رسول الله، قول الله عز وجل: الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل؟ قال: " لا، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدّق؛ وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل")[3].

وروى الإمام البيهقي عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء قالت: " إنماالوجل في قلب ابن آدم كاحتراق السَّعفة، أما يجد لها قُشعريرة؟ " قالوا بلى، قال: "فادعوا إذا وجدتم ذلك، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك"[4].

وقد فسر الإمام ابن عربي "وجل القلوب" بأنه انفعالها وتأثرها بتصوّر العظمة، والقهر والكبرياء، وقبولها إشراق أنوار التجلّيات.. تجليّات تلك الصفات الإلهية

ويقول صاحب تفسير المنار في معنى الوجل: (بأنّهالْفَزَعُ، وَشُعُورُ الْخَوْفِ يُلِمُّ

---

(1) بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورتي الأنبياء والحج)، ط: 1997م، 447/4.

(2) المصدر السابق، 448/4.

(3)رواه الحاكم: المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب التفسير، تفسير سورة المؤمنون - حديث:3421، ورواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب: ومن سورة المؤمنون حديث:3181. الجامع للحديث النبوي.

(4)رواه البيهقي: شعب الإيمان للبيهقي- ذكر فصول في الدعاء يحتاج إلى معرفتها، حديث:1143. الجامع للحديث النبوي.

(5)ابن عربي: تفسير بن عربي، ج1/ص210. وكذلك: ج2 / ص389.

بالْقَلْب، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْخَوْفُ مَنَ الْعَاقبَة الْمَجْهُولَة، وَقَدْ يَكُونُ مَنَ الْإجْلَال وَالْمَهَابَة)[1]. فتلك الأعراض والحالاَت الشُّعُورَيَّة التي تعتَري القلب المؤمَن، هَي من انفتاحه على الحقّ وحبِّه له، وبحثه الدّؤوب عن الحقيقة لأجل الالتزام بها.

ويقول الشيخ بيوض[2] في معنى "وجل القلوب": (قلوبهم وجلة: خائفةٌ من أن يكونوا لم يُوفُّوا العمل حقّه، أو أن يكون عملُهم غير مقبول، لأنّ العمل وإن كان في ظاهره كاملاً، إلاّ أنّ النيّة بيد الله... وهكذا قلب المؤمن شفوقٌ أبدًا، لأنّه يرى نفسه وكأنّه ماثل بين يدي الله يوم القيامة)[3].

أما سيد قطب فيعتبر "وجل القلب" تلك الحساسية التي يكون عليها تجاه العظمة الربانية، فيقول معقّبا على آية سورة المؤمنون السابقة:

(إن قلب المؤمن يستشعر يد اللّه عليه. ويحسُّ آلاءه في كل نَفَس وكل نَبضة.. ثَمَّ يستصغر كل عباداته، ويستقلُّ كل طاعاته، إلى جانب آلاء اللّه ونعمائه. كذلك هو يستشعر -بكل ذَرة فيه- جلالَ اللّه وعظمته، ويرقب بكل مشاعره يد اللّه في كل شيء من حوله.. ومن ثَم يشعر بالهيبة ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى اللّه وهو مقصِّر في حقه... إنما هي الحساسية الناشئة من الشعور باللّه والاتصال به، ومراقبته في السر وهي في حدود الطاقة الإنسانية، حين يشرق فيها ذلك النور الوضيء)[4].

ثالثا: مصطلح الإيمان عموما

إن مصطلح الإيمان -عموما- في القرآن، والذي يعبر عن مفهومه، وعن الصفات

---

(1)محمد رشيد رضا: تفسيرالمنار (9 / 491).

(2) بيوض، إبراهيم بن عمر (1313هـ=1899م – 1401هـ=1981م): من علماء الإصلاح في الجزائر. ولد بالقرارة وتعلّم فيها على يد شيوخه الذين من بينهم "عبد الله أبو العلا، الحاجعمر بن يحيى.."،والذي خلفه فيتبنّيالحركةالعلميةوالنهضةالإصلاحية في القرارة ووادي ميزاب، تولّى مهمةالوعظوالإرشاد والتدريسمبكّرا، وأنشأ معهد الشّباب لعلوم الشريعة واللغة العربية، ولا يزال إلى يومنا باسم "معهد الحياة"، من بين آثاره: تفسيره للقرآن الكريم "في رحاب القرآن"، مئات الدّروس المسجديَّة المسجَّلة، وقد طُبع عددٌ منها. ينظر: معجمأعلامالإباضية (قسمالمغرب) لجمعيةالتراث، غرداية–الجزائر (1/ 21).

(3) بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة المؤمنون)، ط: 1998، 176/5.

(4)سيد قطب:في ظلال القرآن(4 / 2472-2473).

والأفعال المترتِّبة عنه، وعن الأشخاص المتّصفين به.. كل ذلك يمكن اعتباره من انفتاح القلب في الاستعمال القرآني، فحيثما ذُكر الإيمان والمؤمنون والذين آمنوا؛ إلا من ورائه إنسانا منفتحا قلبه على الحقيقة متلهفًا لها، متهيِّئًا ومستعدًّا لتقبلها وتكييف ذاته وفقها، حالاً وسلوكًا وعملاً.. وهذا تماما مثلما أنّ نقيض الإيمان "وهو الكفر" يستعمل الدّلالة على فئة من الناس حجبت نفوسها عن الحقّ، واستغلقت قلوبها عن تقبُّله والخضوع له.

المطلب الثالث: صدق العزيمة وأثره في انفتاح القلب وعلاج الإعراض

إن مسألة"انفتاح القلب" هي شرط ومبتغى راق يصبو إليه كلُّ ذي لُبٍّ وبصيرة، يبتغي لنفسه الاهتداء بمنهج ربه في كتابه العظيم؛ والفلاح بنوره في الآخرة والأولى، لكن هذا المبتغى بحد ذاته في حاجة إلى صحة في الإرادة، وصدق في النية والعزيمة، والإرادة والنية والعزيمة أوجه متقاربة لمعنى واحد.. فما هو مفهوم كُلٍّ من المصطلحات الثلاثة؟

أولاً/ مفهوم النيّة

جاء في معجم مقاييس اللغة: (قال أهل اللغة: النَّوى "التَّحوُّل من دار إلى دار"، هذا هو الأصل، ثم حمل عليه الباب كلُّه فقالوا: "نوى" الأمر ينويه، إذا قَصدَ له. وممَّا يصحِّح هذه التأويل قولُهم: نَواه الله، كأنَّه قَصدَه بالحفْظ والحياطة. قال:

يا عمرو أحسن نواكَ اللهُ بالرَّشَد *** واقرأ سلاماً علَى الدَّلْفاء بالثَّمَد

أي: قصدك بالرَّشدَ. والنِّيَّة: الوجهَ الذي تَنويه. ونويُّكَ: صاحبُك؛ نيَّته

وقال الغزالي في مفهوم النية: (... إن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد؛ وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل، {العلم} يقْدمه لأنه وشرطه، {والعمل} يتبعه لأنه ثمرته وفرعه، وذلك لأن كل عمل؛ أعني كل حركة وسكون اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وإرادة وقدرة، لأنه لا يريد الإنسان مالا يعلمه، فلابد وأن يعلم، ولا يعمل ما لم يرد، فلا بدّ من إرادة، ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض؛ إما في الحال أو في المآل)(2).

(1)ابن فارس: معجم مقاييس اللغة(5 / 366).

(2)الغزالي: إحياء علوم الدين (4/ 365).

ثانيا / مفهوم العزيـمـة

يعرف ابن فارس العزيمة بقوله:

(عزم) الْعين والزَّاء والْميم أَصْل واحدٌ صَحيحٌ؛ يدُلُّ علَى الصَّرِيمَة والْقَطْع.. قَالَ الْخَلِيلُ: الْعزْم: ما عقد علَيْه الْقَلْب من أَمر أَنْتَ فَاعلُه، أَي مـتـيـقّنه. و يـقَالُ: ما أَيْ ما يـعزم علَيْه، كَأَنَّه لَا يمْكنه أَنْ يَصرم الْأَمر، بل يَخْتَلطُ فيه و يـتـردَّد)[1].

ويعرفها ابن مَنظور في لسَان العرب بقوله: (العزْم الَجدُّ، عزم على الأَمر يـعزم واعتَزم عليه: أَراد فعلَه، وقال الليث: العزمما عَقد عليه قـلْبك من أَمرٍ أَنَّك فاعلُه)[2].

ثالثا / مفهوم الإرادة

يعرِّف الشيخ محمد فتح الله كولن الإرادة بقوله: (الإرادة هي قابلية الطلب، الرجاء، القدرة على تحقيق الرغبات والطلبات، أو الترجيح بين شيئين.

وقد عرِّفت لدى الذين يحيون في مستوى القلب والروح،بأنها استعلاء على مطالب النفس، وعصيان على الرّغبات البدنية، وإيثار رضاه تعالى على مطالبه ورغباته، والفناء فيه سبحانهَ وفي مراده، في كل الأمكنة والأزمنة.

والمريد، هو المتجرد عن حوله و قُـوته، المستسلم المنقاد لإرادة القدير الـمـطلَق الذي بيده مقاليد كل شيء، من الذّرات إلى المجرَّات.

أما المراد، فهو الرُّوح السعيد المشحون بما يريده تعالى، ا لـمُنغلق كلّيا عما سواه، تبق لديه رغبة ولا شهية غير رضاه تعالى، فغدا مراد الله ومطمح نظره سبحانه)[3].

نخْلُص من هذه التعريفات لقضية "النية والعزم والإرادة" إلى أهمية هذا الموضوع.. كونه الشرط الأساس، والمحرك الرئيس، والطّاقة اللازمة لأيِّ عملٍ ومشروع؛دنيويًّا كان أم أخرويًّا، وإذا جئنا إلى دور انفتاح القلب في علاج الإعراض عن كتاب الله،وتحقيق الصلاح الإنساني، فشرط صحة العزم فيه أولى و أوكد.

فإذا كان الإنسان اليوم –عموما، ونحن المسلمون خصوصا– نؤمن بأن النجاح

(1)ابن فارس: مقاييساللغة (4/ 308).

(2)ابن منظور:لسانالعرب (12 / 399).

(3) كولن، محمد فتح الله: التلال الزمردية (نحو حياة القلب والروح)، دار النيل، القاهرة، ط4: 2010، ص 192.

في الدنيا –مثلا– مرهون بقوة الإرادة، والإتيان بسلسلة الأسباب المادية التي تضمن ذاك النجاح، فلماذا لا نسلُك مع آخرتنا، ومع"تزكية نفوسنا" من أجل بلوغ "الذّات علاجا لقضية الإعراض.. تلك العزيمة، وتلك الأسباب –إلا من رحم الله–؟ على أنّ الفصل بين الدنيا والآخرة؛ أمر لا يستقيم إلا لتقريب المعنى.

والإرادة الإنسانية خاضعة لألطاف الله تعالى وخذلانه، على أنَّ لكلٍّ من هذا اللطف والخذلان سنة كونية تتَّبع الأسباب التي يكتسبها المرء بذاته..يقول الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (رحمه الله) في هذا الشأن:

(فمن عقد العزم منذ أول الطريق على أن لا يعاند الحق إذا رآه، وألاّ يعطِّل عقله الذي وهبه الله إياه، حتى إذا آمن بالله وأدرك أنه إله وهو عبد له، أخذ يبسط يده بالذّل نحوه، ويسأله مُقبلاً عليه في دُعاء منكسر واجف أن يُعينه في أمره، وأن يُوفّقه للتمسّك بأحكامه، وأن يضيف إلى طاقته عنايةً من رحمتهً – أدركته ألطافُ الله ورعايته، فيزيد طاقته طاقةً أخرى من توفيقه، ويزيد إلى عقله عقلا آخر من هدايته، ويضع في إرادته العزيمة والإصرار. وعن هؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:17).

أما من عقد العزم منذ أول الطريق على معاندة من لا يرغب فيه من المبدإ والسلوك؛ وإن كان حقًّا في ذاته، وأن يتصامم عن وحي العقل الذي في رأسه، وأن لا يلبّي إلاّ نداء شهواته وأهوائه، ثم يمضي يسلُكُ نفسه في هذا الطريق طبْق هذا العزم والتصميم، مُشعرا كلَّ من يحاول أن يذكّره بطرف من الحقّ الإلهي؛ أنه مقَررا سلَفًا أن لا يفهم شيئا مَما يلقى إليه في هذا الباب –فإن سُنّةَ الله جرت بالنسبة لهؤلاء أن يزج بهم في مزيد من الغواية والضلالة العقلية، وأن يذيب إرادتهم فيما يضْرم عليهم من سعير الشهوات والأهواء المتأجِّجة، وأن يبتليهم بمزيد من الانصراف عن موعظة المُذكّرين وآيات الله في العالمين وعن هؤلاء يقول ربنا جلَّ جلاله(1): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

(1) البوطي، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيات الكونية، ط: 2002م، دار الفكر دمشق، ص 166-167.

وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف:57).

بعد كل هذا البيان لتلك السنة الإلهية في ما يتعلق بعزم الإنسان وإرادته، يلخِّص الشيخ معناها بقوله: (لكنَّه سبحانه كتب على نفسه –تفضُّلاً منه وإحسانًا– أن لا يُضلّ من الناس إلا من تعرض لأسباب الغواية، وصرف نفسه عن وسائل الهداية وأسبابها، وأن يقرب أسباب الهداية والتوفيق؛ لكل من عزم على استجابة أمر الله وتكاليفه، وبسط يد العبودية نحوه يسأله العون والتأييد)(1).

إذًا... عزيمتنا وإرادتنا الداخلية هي مربط الفرس، وهي الجوهر الذي ينبغي لنا أن نعيد التواصل معه من أجل النظر فيه... ما يكتنفه من قيم ودوافع خفية تحرِّك جميع أعمالنا في الحياة، سنجد في قيمنا الخفية كثيرا مما هو من صفات الأنا "النفس الأمارة"، وما هو من الموروث السلبي الجماعي (للأسرة والمجتمع ومختلف المنظومات) ،أو لنقُل سائر القيم المتعلقة بالحياة الدنيا وحظوظها، هنا تأتي أهمية العودة إلى الذات، ومعرفة مواطن قوتها (مواهبها وملكاتها)ومواطن ضعفها وقصورها، وكذا قيمها الخفية التي تتحرك وفقها، من أجل إعادة تصحيح مسارها، وتثبيت القيم الحقيقية فيها، هذا ما يسميه القرآن "تزكية النفس"، نزكّيها بأن نحاكمها ونحاكم قيمها إلى منهج الله تعالى، وأهم ما نحاكمه في كل هذا هو إرادتها ونواياها من وراء الأعمال.. أهي الدنيا أم الآخرة؟ولا عيب في أن نصحو من غفلاتنا المرة تلو الأخرى؛ فنكتشف انحراف نوايانا في كثير من الأعمال كنا نقوم بها، ونظنها ظاهريًّا لوجه الله والدار الآخرة، لكن بواطنها: حظوظ النفس والهوى، أو الاحتماء بأُطُرنا ووجهات نظرنا وطرق تفكيرنا في الحياة.. حينها لا مناص لنا ولا نجاة إلاّ أننسارع إلى تدارك الأمر، وتصحيح المقصد والإرادة، فتدركنا رحمة ربنا وعفوه ولطفه –بإذنه تعالى–.

وبمقدار صدق العزيمة والإرادة فينا (إرادة التغيير والتحول نحو الإنسان المستخلَف حقًّا) ستنفتح قلوبنا على الحقيقة،وبمقدار انفتاحنايكون مستوى من الأنا أو الذات المزيفة التي تتحكم في أغلبيتنا –إلا من رحم الله–ويستتبع

(1) المرجع السابق، ص 167–168.

تلاشي إعراضنا عن القرآن،وصلاح أحوالنا في الدنيا قبل الآخرة – إن شاء الله–، ولا شك مطلب عال وغال يطمح إليه كل عاقل بصير، وقد وضع الله له شروطَه، وسنن تحقُّقِه.. التي من أهمها: مجاهدة النفس، والاستعانة عليها بالصبر، والصلة برب العالمين.

يقول تعالى في صدق الإرادة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا(18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا(19)﴾ (الإسراء: 18–19).

يذكّرنا مولانا سبحانه في هذا النص؛ بقيمة ما يعتمل في القلب من نية وعزم وإرادة، فجهاد المؤمن الموصول بربّه وكتابه، أن تكون الآخرةُ دوماً من وراء أيِّ عمل يؤدّيه أو يُقبل عليه، فإنها إن لم تحصل هذه الإرادة، وهذه النيّة لم ينتفع بذلك العمل، ولأن المقصود منا استنارة القلب بمعرفة الله تعالى ومحبّته، وهذا لا يحصل إلا إن نوى المرء بعمله عبوديّة الله تعالى، وطلب طاعته[1].

ويقول تعالى أيضا في صدق الإرادة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ(20)﴾ (الشورى: 20).

في معنى آية الشورى يقول ابن عربي: (﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ بقوة إرادته، وشدّة طلبه لزيادة نصيب اللطف، وتوجهه وإقباله إلى الحق؛ لحيازة القُرب ﴿نَزِدْ لَهُ﴾ في نصيبه؛ فنصلح حال آخرته ودنياه، لأن الدنيا تحت الآخرة، وظلُّها ومثالها، وصورتها تتبعها.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ وأقبل بهواه إلى جهة السُّفْل، وتعلّق همُّه نصيب القهر، وبَعُد عن الحق ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما هو نصيبه وما قُسم له وقُدِّر، لا عليه، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لإعراضه عنها، وعقْد همّه بالأدون، ووقوفه معه، وجعله حجابا للأشرف، وإدباره عن النصيب الأوفر، فلا يتهيأ لقبوله، ولا

(1)الرازي: مفاتيح الغيب (20/ 317).

يستعدّ لحصوله، إذ الأصل لا يتبع الفرع)[1].

ويقول واين داير في آخر فصل من كتابه ا لـمتميز "قوة العزيمة"، بعنوان (ملامح شخص متَّصل بمجال العزيمة).. يقول عن أهمية الصدق في العزم والإرادة:

(إن هؤلاء الأشخاص الذين أُطلق عليهم اسمالمتّصلين، في إشارة إلى انسجامهم مع مجال العزيمة؛ هم الأشخاص المنفتحون على النجاح. ويستحيل أن تحملهم على التشاؤم بشأن إنجاز كل ما يرغبون في تحقيقه في حياتهم، بدلاً من استخدامهم للُغَة تشير إلى إمكانية عدم تحقُّق رغباتهم؛ سوف تجدهم يتحدثون عن يقينهم الداخلي الذي يكشف عن معرفتهم العميقة والبسيطة بأن المصدر الكوني سوف يمدُّهم بكل شيءفلن تسمع أيًّا منهم يقول مثلا: "إن حظّه العاثر سوف يعوق نجاحه"،إنما سوف تسمعه –على الأرجح– يقول عبارة كالتالية: "إنني عازم على فعل هذا الأمر، وأنا أعلم أنني سوف أنجح". ومهما بذلتَ من جُهد لكي تُثنيه بالإشارة إلى مـ..رراتتنتقص من تفاؤله وإقباله، فسوف يتخطّى ببساطةً ورضا كل هذه المعوِّقات، سوف يبدو هذا الشخص وكأنه يعيش في عالم آخر؛ عالَم لا يعرف أسباب الفشل.

وإن اشتركت معه في حوار حول هذه الفكرة، فسوف يجيبك ببساطة قائلاً: "أنا أرفض التفكير فيما لا يمكن حدوثه؛ لأنني سوف أجتذب تحديدًا ما أفكّر فيه، لذا فإنني أفكر فقط في الشيء الذي أعرف أنه سوف يحدث"، إنه لا يكترث بما حدث من قبل، ويعرف مفهوم الفشل أو الاستحالة، كما أنه ببساطة لا يتأثر بمبررات التشاؤملقد أعدّ هذا الشخص نفسه وهيأها للنجاح، وهو يعرف ويثق بالقوة غير المرئية المانحة لكل شيء؛ فضلا عن أنه مرتبط ارتباط وثيقًا بالمصدر المانح لكل شيء، وكأنه يملك هالة طبيعية تحيط به، وتحول دون كل ما يمكن أن ينال أو يضعف من تواصله مع الطاقة ا لـمبدعة التي هي قوة العزيمة.

بالنسبة للمتَّصِل ليس هناك ما يعرف بالصُّدفة، فهو ينظر إلى كل شيء وكل حدَث –حتى إن بدَت الأحداث متنافرةً– وكأنّها قد نُسقت بناء على انسجام مثالي. إنه يؤمن بالتّزامن، كما أنه لا يندهش إن ظهر الشّخص المثالي الذي يحتاج إليه في

---

(1) ابن عربي:تفسير بن عربي، 527/2.

موقف ما، أو عندما يتّصل به شخص كان يفكّر فيه، هكذا بلا سبب؛ أو عندما يصله كتاب على غير توقُّع في البريد لكي يُمدّه بالمعلومة التي كان يبحث عنها...

إنه يقبل فكرة عدم وجود المصادفَة في كون يملك قوةَ طاقة غير مرئية تتمثل في المصدر؛ الذي يخلق بشكل مستمرٍّ، ويُمدُّ كلَّ من يتفهّم قُدرته بمدَد لانهائي من كل ما يحتاج إليه. سوف يقول لك ببسَاطة ووضوح إن سألته: "إن كُل ما عليك فعلَه للاتّصال بمجال العزيمة، هو أن تعيش حالة توافق تام مع مصدر كل شيء؛ وقد اخترتَ أن أتوافق قدر الإمكان مع المصدر".

بالنسبة للمتصل؛ كل شيء يظهر في حياته يظهر بسبب قوة العزيمة التي قدّرت الشيء أن يوجد، لذلك فهو يعيش حالة امتنان دائم، كما يشعر بالرضا، ويحمد الله على كل شيء، حتى الأشياء التي تبدو له على أنها عوائق.إنه يملك القدرة والرغبة رؤية المرض المؤقت على أنه نعمة، وهو يعرف في صميم قلبه أن هناك بكل تأكيد جيدًا في هذه الانتكاسة، كما أنه يجد كل ما يبحث عنه في كل شيء يظهر في حياته.ومن خلال شكره، يسعد ويعتز بكل ما لديه؛ بدلاً من أن يسأل المصدر شيئا بعينه، لأن هذا يبدو كأنه يمنح القوَّة لما هو مفقود وناقص...)[1].

---

(1) واين داير: قوة العزيمة، ص 275–278.

خاتمة

في ختام هذا البحث الذي حاولنا أن نخوض به غمار موضوعٍ وإشكالية غايةٍ في الأهمية والخطورة، لتعلّقها بمصير كل إنسان، وحياته الأبدية في الأولى ثم في العقبى، قضية الإعراض عن كتاب الله تعالى، وأهمية الوعي بدور القرآن وانفتاح قلب الإنسان على الحقيقة.. في علاج هذا الإعراض.

اجتهدنا من خلال الدراسة في تشخيص أهم أسباب ونتائج إعراض الإنسان عن القرآن، بعد توضيح لمفهوم الإعراض والمصطلحات المتعلقة به من خلال كتاب الله، ثم آخرا تقديم رؤية ومقاربة في علاج تلك القضية..وهذه أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة:

- منظومة الإيمان في الإسلام تبتدأ بالإيمان وتنتهي بالعمل الصالح، باعتبار أن العمل والسلوك والحال الخارجي لحضارة الإنسان هو ترجمان لما استقر في القلب من قِيم وحقائقَ إيمانية، فالقلب هو المسؤول والمحرك الحقيقي للذات؛ وليس العقلَ. كما هو سائد –ولو في اللاّوعي الجمعيِّ للحضارة الإنسانية المعاصرة.
- العمل بالقرآن الكريم بعد الإيمان به، هو ذلك الجهاد والسّعي الدّؤوب الذي يسعاه المؤمن بكتاب ربه؛ من أجل أن يترجم هداياته إلى أفعال وممارسات على أرض الواقع –ما استطاع إلى ذلك سبيلاً–، هذا السَّعي الذي تكتنفه التجربة البشرية الواقعية بكل ما تحمله من طول المكابدة وكثرة المحاولة.. مسدِّدةً ومقاربةً؛ بين ما تؤمن به من قَيم عُلْيا، وما تُمارسه سلوكًا في الحياة، إلاّ أنّها تُصيب الحقَّ مرات، وتحيد عنه فتتعثّر مرّات أُخَر.
- بعد قراءة وتتبُّع للآيات الواردة في موضوع بحثنا، وجدنا أن مفهوم الإعراض في القرآن الكريم –على اختلاف السياقات– تدور كلها حول معنى واحد وهو: "ضعف صلة العبد بخالقه أو غيابها،وانصراف قلبه عن آخرته، وصرف كل همته في دنياه، وعبادته لهواه ".

ذلك أنّالإعراضهو نتيجةٌ لانقطاعٍ أو ضعْف صلةالعبد بالخالق، وجعّل همِّه الأول حياتُه الدنيا، وإرضاء حظوظ النّفس. فالمصطلح لا يعني فقط من كفر بالله تعالى جهرةً، إنما هو يمس من قريب أو بعيد كلَّ إنسان عاقل، أخلد إلى الأرض،وضل عن مهمته التي خَلق من أجلها، وأهمل محاسبة نفسه، ومن ثَمَّ تزكيتها والجهاد بها.

- إنّ ظاهرةَ"الإعراض" قبل أن تكون منصبّةً على منهج الله تعالى "القرآن العظيم" كانت منصبَّةً في الأساس على الفطرة، أعرض الإنسانُ عن فطرته.. عن بوصلته الداخلية التي تحدد له الوجهة في خضمِّ الحياة... عن الوعاء المتلقّي لغيْث الوحي، ونور الحقيقة.. أعرض عنه فعطّله عن التشغيلوالتوظيف.. فلم يعد نور القرآن يضيء لهطريقه، ولا ماؤُه يروي ظمأه أويسقي حرثه.

- إن الخطوة الأولى نحو استدراك علاقتنا بكتاب الله هو تصحيح الإيمان به وتثبيته في قلوبنا، إذ الشرط الأول للتلقي عنه وفهم خطابه، هو الجهاد في تزكية القلب –مركز الإيمان– من أمراضه، والثقة بهداية القرآن وشفائه، وبكونه مصدرا أساسيًّا للحياة الطيبة به في الدنيا والآخرة.. وتزكيةُ القلب، تكون برفع الحجب التي علّته؛ منالموروثات السلبية التي نشأ فيها المرء،ومن تكاثف طباع نفسه الأمارة (الأنا).

وبمجرد انطلاقه بهذه العزيمة سيبدأ القرآن بتغييره.. وبالتدريج سترتفع الحجب عن فطرته، وتزكو نفسه شيئا فشيئا، في طريق عبوديته لله، إلى أن يحقّق الخلافة الإلهية في الأرض، كما يريدها له خالقه عز وجل.

- الصلة بالله، تزكية النفس، والذكر الكثير:أُسس ثلاثَة لتحقيق الوصال مع كتاب الله؛ تُشكّل فيما بينها حلقةً أو حركةً غير منتهية؛ مستمرّةً في تصاعُد.. تستغرق عُمُر المؤمن –الحق– كلّه، إن هو أراد الارتقاء في درجات الإيمان، فهو أبدًا يعيش حياته في رحلة انتقال بين الصلة بربه، و تزكية نفسه حيث ينمي صفاتها الخيرة ويسخّرها في عمارة الأرض، وبين الذّكر والتّذكّر لرسالته وغايته، فيحاسب نفسه على أعمالها، وهو في كلِّ ذلك يصل حبله بالله كلما كان حاضر القلب، فإن وقع في الغفلة، وأخذته النفس مع حظوظها، تذكّر واستغفر، ثم عاد يزكّي نفسه..وهكذا في طواف إيماني، ورُقيّ روحيٍّ مستمرٍّ، إلى أن يلقى ربه راضيا عنه مرضيًّا.

• ما خَلق الشيطان إلا لحكمة أرادها المولى تعالى... لتحقيق مصلحة ابن آدم –لو وعى ذلك– لعل من أوجه تلك المصلحة: أن يدفعه نزغُه ووسوسته إلى تحفيز همَّته نحو الغاية التي خَلق من أجلها، كلما استكان إلى الدنيا، ويجعله دائما في بحثدؤوب عن الحقيقة والالتزام بها، والفرار باستمرار إلى حمى الله لاستدرار رحمته به، وتقويته لضعفه وعجزه، ومن ثَم معرفته تعالى وتقواه؛ حقّ المعرفة والتقوى.

• الخطاب الموجَّه في القرآن إلى الأنبياء والرسل في شأن رسالتهم للبشر، إذا ضيّقنا دائرته على مستوى الذّات، نجده يخاطب القلب في ذات الإنسان مباشرةً؛ على أساس أنه هو المتلقّي للرسالة، ويدعوه إلى تربية النفس بهذا القرآن على مُكث.. إذ أن الله تعالى خلق الإنسان خَلْقًا مُركّبًا منمادَّة وروح، وعهد إلى فطرته أن تقَوم بمجاهدة هذه النفس، وتربيتها على قيم الوحي، في سعيٍ دؤوب يستغرق عمر المؤمن، ويكتنفه الصبروالمرابطة، من أجل أن يؤدي هذا المخلوق عبوديته ورسالته التي خَلق لأجلها في هذه الحياة.

• سنَّةٌ إلهية واحدة تنطبق على نظام الكون كما تسري على الحياة الإنسانية، أن يخلق الله من كل شيء زوجين اثنين: الخير والشر.. الليل والنهار.. فحتى تنتظم حركة الكائنات، وتنتظم حياة الإنسان المكرَّم والمكلّف بحمل الأمانة، لابدَّ من حدوث التفاعل بين تلك الزّوجيات، أن يجعل الله في كل قرية أكابر مجرميها، يعارضون الحقَّ ويبثُّون فسادهم، بما مُكنوا من العلم والمال وسائر القوى، حتى يتحرك أهل الحق يدفعون الباطل عن الحق الذي يمثّلونه؛ ويبتلي الله نفوسهم بتلك الدعوة.. دعوة الحقّ وتمسُّكهم بها، هذا على المستوى الجماعي في أي مجتمعٍ بشري .والسُّنة ذاتها تنطبق على نطاق كل فرد فيما بينه وبين نفسه.. بين فطرته التي تَهديه إلى طريق الحق، وبين نفسه التي تنازعه، وتفرض عليه أهواءها ومألوفاتها.

• إنّ من أهمِّ مفاتيح الحضور، أو دخول الإنسان اللحظة الحاضرة، أن يعي الله في ابتلاء عباده والحكمة منها، وذلك هو ما يصحح فهمه ورؤيته لمختلف ووقائع الحياة الشّخصية التي تخصه، أو العامة التي يعايشها، وهذا من شأنه أن يعالج ذاته من الإعراض عن العمل بهدْيِ القرآن؛ ويُرسِّخ الإيمان بالقَدَر في قلبه، ويجعله

اطمئنانًا ورضًا بالحياة، وبالتّالي أكثر اتّصافًا بالإنسانية الحقّة، وأداء لرسالته التي خَلق من أجلها.

● الدور الأساس للتزكية يتمثّل في حماية المرء نفسه من شرور نفسه؛ أي من شرور زوايا القوة والملكات التي مُكن منها، وبالمقابل كذلكيتمثل دور التزكية في تفعيل تلك الملكات والمواهب وتنميتها، والبحث عن أحسن السُّبل التي يتم بها توظيفها، وذلك من تمام شكر النعمة، شكرا عمليًّا. فإذا ما وعى الإنسان مهمته في الحياة، وأدرك مواهبه التي ميزه الله بها –كما ميز كل إنسان ورزقه تفرده– وكان له استعدادٌوإرادة للتَّرقّي في الكمالات، والسير في طريق الله على درب الأنبياء والصالحين، فلا مناص من أن يتقبَّلَويرضى –بقلب مطمئنٍّ– كلَّ دروس الحياة وابتلاءاتها.

● معرفة الإنسان لذاته،والموهبة التي ميزه الله بها، ورسالته التي يتَجسَّدُ فيها إبداعه،توجبعلى المرء شروطًامن أهمها: أن يتحرَّر فكره ووجدانُه من التقليد الأعمى للسَّائد والموروث في المجتمع من عادات وأوضاع، وأن ينفتح قلبه على العالم من حوله: مما خلق الله من شعوب وقبائل شتَّى، ومما خلق تعالى أيضًا من مظاهر الكون الرائع الذي يعيش فيه ويتنفس هوَاءه، ويمتد بصره إلى آفاقه.

● عزيمتنا وإرادتنا هي الجوهر الذي ينبغي لنا أن نعيد التواصل معه من أجل النظر فيه.. في ما يكتنفه من قيم ودوافع خفية؛ تحرِّك جميع أعمالنا في الحياة، سنجد في قيمنا الخفيَّة كثيرا مما هو من صفات الأنا "النفس الأمارة"، وما هو من الموروث السلبي الجماعي، أو لنقُل سائر القيم المتعلقة بالحياة الدنيا، هنا تأتي أهمية العودة إلى الذات، ومعرفة مواطن قوتها (مواهبها وملكاتها) ومواطن ضعفها وقصورها، وكذا قيمها الخفية التي تتحرك وفقها، من أجل إعادة تصحيح مسارها.

ولا عيب في أن نصحو من غَفَلاتنا المرة تلو الأخرى؛ فنكتشف انحراف نوايانا في كثير من الأعمال كنا نقوم بها، ظانِّين الإخلاص فيها، لكن بواطنها: حظوظ النفس والهوى، أو الاحتماء بأُطُرنا وطرق تفكيرنا في الحياة.. حينها لا مناص لنا، ولا نجاة إلاّ أن نسارع إلى تدارك الأمر، وتصحيح المقصد، فتدركنا رحمةُ ربِّنا ولطفه –بإذنه تعالى–.

• إذا صدقت العزيمة والإرادة فينا (إرادة التّغيير نحو الإنسان ا لـمستخلَف حقًّا) ستنفتح قلوبنا على الحقيقة، وبمقدار انفتاحنا يكون مستوى تحررنا من الذات المزيفة التي تتحكم في أغلبيتنا –إلا من رحم الله–ويستتبع تحرُّرنا.. تلاشي إعراضنا عن القرآن، وصلاح أحوالنا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا ولا شك مطلب عال وغال يطمح إليه كل عاقل بصير، وقد وضع الله له شروطه وسنن تحقُّقه التي من أهمها: المجاهدة بالنفس، والاستعانة بالصبر والصلة الحقيقية برب العالمين.

هذا ما أمكن لنا أن نقدمه في الموضوع من خلال جهدنا القاصر، فإن أصبنا فبمحض توفيقه تعالى وفضله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان..نسأله عز وجل أن يغفر لنا سهونا وقصورنا وتقصيرنا، وأن يبعث لنا ولأمتنا أمرا رشدًا.

وصلّى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

رقم الآية	نص الآية	الصفحة
34	﴿وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلآ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾	75
38	﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا ياتينّكم منّي هدًى فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾	155
48	﴿وا تّقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا﴾	140
78	﴿ ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلآ أماني وإن هم إلاّ يظنّون﴾	89
63-64	﴿وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطّور خذوا مآ ءاتيناكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون ثمّ تولّيتم مّن بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم مّن الخاسرين﴾	116
83	﴿وإذ اخذنا ميثاق بني إسرآئيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للنّاس حسنا وأقيموا الصّلاة وءاتوا الزّكاة ثمّ تولّيتم إلاّ قليلا مّنكم وأنتم مّعرضون﴾	56، 116
84-85	﴿وإذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمآءكم ولا تخرجون أنفسكم مّن دياركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون ثمّ أنتم هؤلآء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقامّنكم مّن ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان﴾	118
85	﴿... أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾	92

75	﴿... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	87
119	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن	93
55	﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾	100
54، 55	﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	101
160	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	120
144	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	121
17	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾	125
160	﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ	145
200	﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ	151
70	﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	152
155	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا	166 -

	كذٰلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾	167
163، 145، 155	﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾	168
156	﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا	170
102	﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾	171
163	﴿يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾	208
168	﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾	256
167	﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾	277
66	﴿ومن يكتمها فإنه ءاثم قلبه﴾	283

سورة آل عمران

14	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ، حُسْنُ الْمئَابِ﴾	179
23	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلىا كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ	57
32-31	﴿قُلْ ان كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ اطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	156
58	﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الايَاتِ وَالذِّكْرِ	179
78	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْلَفَرِيقاً يَلْوُونَأَلْسِنَتَهُمبِالْكِتَابِ﴾	66
105	﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ	199
106	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ، أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	71
135	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً اوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَّغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	110
144	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ الاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾	54
164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُومِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ	200

	انفسهم يتلو عليهم ءاياته و يزكيهم و يعلمهم والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾	
187	﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾	55
190-191	﴿انّ في خلق السّماوات والارض واختلاف الّيل والنّهار لآياتٍ لأولي الالباب(190) الذين يذكرون الله قياما و قعودا وعلىٰ جنوبهم و يتفكرون في خلق السّماوات والارض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النّار(191)﴾	180

سورة النساء

60	﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم ءامنوا بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك يريدون أن يّتحاكموا إلى الطّاغوت وقد امروا أن يّكفروا به ويريد الشّيطان أن يّضلّهم	31
76	﴿إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفا﴾	183
82	﴿افلا يتدبّرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾	93، 151
115	﴿ومن يّشاقق الرّسول منۢ بعد ما تبيّن له الهدىٰ و يتّبع غير سبيل المومنين نولّه ما تولّىٰ ونصله	156
123-124	﴿ليس بأمانيّكم ولآ أمانيّ أهل الكتاب من يّعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليّا ولا نصيرا ومن يّعمل من الصّالحات منذكر او انثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيرا﴾	23
135	﴿يآ أيّها الذين ءامنوا كونوا قوّامين بالقسط شهدآء ولو علىٰٓ أنفسكم أو الوالدين والاقربين إن يّكن غنيّا او	66

	فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾	
143	﴿مذبذبين بين ذالك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾	59
174	﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾	44

سورة المائدة

8	﴿يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وا تقوا الله إن الله خبير	67
12	﴿وقال الله إني معكم لئن اقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاة وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا﴾	167
15-16	﴿... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه، سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم، إلى صراط مستقيم﴾	44، 91
48	﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا... ﴾	160
49	﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم، أن يفتنوك عن بعض ما	161

	اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَ.وَلَّوْاْ فَاعْلَمْ انَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُ.بِ.عْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾	
105	﴿يَآ أَ يُّهَا الذين ءامَنُواْ عَلَيْكُمْ، أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْ.تُم، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَ يُ.نَ.بِّ.ئُ.كُم بِمَا كُنتُمْ تَ.عْمَلُونَ﴾	198

سورة الأنعام

21	﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ ا فْ.تَ.رَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا اوكَذَّبَبِئَايَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُ.فْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	73
31	﴿قَدْ خَسِرَ الذين كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِحَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ تْ.هُمُ السَّاعَةُ بَ.غْتَةً قَالُواْ يَاحَسْرَ تَ.نَاعَلَىٰ مَا فَ.رَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾	73
38	﴿مَّا فَ.رَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ...﴾	89
39	﴿وَالذين كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَّشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَّشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	74
43	﴿ فَ.لَولاإِذْجَاءهُمبَأْسُنَاتَضَرَّعُواولَكِ نْ.قَسَ تْ قُلُو بُ.هُم﴾	126
50	﴿قُل لآَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلآَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلآَ أَقُولُ لَكُمْ، إِنِّي مَلَكٌ انَ اتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَ.تَ.فَكَّرُونَ﴾	158
99	﴿... وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِ نْ.وَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ اعْنَابٍ وَالزَّ يْ.تُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَ يْ.رَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَ يَ.نْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ	35

104	﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾	104
106	﴿اتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	158
116	﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾	162
123-124	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ	202
142	﴿...كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	163
148	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلآ ءَابَآؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ	107
153	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	157

سورة الأعراف

3	﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	164

18	﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	163
27	﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	192
35-36	﴿... فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	75
52	﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	35
131	﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾	126
144	﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾	220، 223
147	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	107
157	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	45
170	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾	167
172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾	178

186	﴿من يُضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾	105
188	﴿..ان انآ إلاّ نذير وبشير لقوم يومنون﴾	34
201	﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾	191
203	﴿قل انّمآ أتّبع ما يوحى إليّ من رّبّي هذا بصآئر من رّبكم وهدى ورحمة لقوم يومنون﴾	35، 158

سورة الأنفال

2	﴿إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾	20، 146، 227
4-2	﴿إنّما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم، ءاياته زادتهم، إيمانا وعلى ربّهم يتوكّلون...أولئك هم المومنون حقّا لهم درجات عند ربّهم ومغفرة	97
11	﴿وإذ يغشاكم النعاس أمنة منه﴾	16
20	﴿ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون﴾	60
21	﴿كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾	147
22	﴿إنّ شرّ الدّوآبّ عند الله الصّمّ البكم الذين لا	121
23	﴿ولو اسمعهم لتولّوا وهم مّعرضون﴾	60
23-22	﴿إنّ شرّ الدّوآبّ عند الله الصّمّ البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو	60، 84

	اسمعهم لَ تـ.ولَّوا وهم مُّعرضون﴾	
24	﴿يآ أ يـ.ـُّها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرَّسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنَّ اللَّه يحول بـ.ـين المرء و قـ.ـلبه وأ نـ.ـَّه إليه تحشرون﴾	37
31	﴿وإذا تـ. تـ.ـلى عليهم، ءايا تـ.ـنا قالوا قد سمعنا لو نشآء لقلنا مثل هذآ إنْ هذآ إلآ أساطير الاوَّلين﴾	147
56-55	﴿إنَّ شرَّ الدَّوآبِّ عند اللَّه الذين كفروا فـ.ـهم لا يومنونالذين عاهدتَّ م نـ.ـهم ثُمَّ ينقضون عهدهم في كُلِّ مرَّة وهم لا يـ. تـ.ـَّقون﴾	121
76-75	﴿وم نـ.ـهم مَّنْ عاهد اللَّه لئن . اتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكوننَّ من الصَّالحين فـ.ـلمَّآ ءاتاهم مِّن فضله بخلوا به و تـ.ـولَّوا وَّهم مُّعرضون﴾	57

سورة التوبة

103	﴿خذمنأموالهمصدقةتطهِّرهمو تـ.ـزكِّيهمبها﴾	174
121	﴿ولا ينفقون نـ.ـفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يـ.ـقطعون واديا الاَّ كتب لهم ليجز يـ.ـهم اللَّه أحسن ما كانوا	107
76-75	﴿وم نـ.ـهم مَّنْ عاهد اللَّه لئن . اتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكوننَّ من الصَّالحيـ نـ.ـفلمَّآ ءاتاهم مِّن فضله بخلوا به و تـ.ـولَّوا وَّهم مُّعرضون﴾	120

سورة يونس

12	﴿وإذا مسَّ الانسان الضُّرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا او قآ ئـ.ـما فـ.ـلمَّا كشفنا عنه ضُرَّه، مرَّ كأن لم يدعنآ إلى	96

	ضرٍّ مَّسَّه، كَذَٰلك زُيِّن للْمسْرفين ما كَانُوا	
15	﴿وإذَا تُتْلى عليهم، ءايا تُنا بَيِّنات قَالَ الذين لا يَرجون لقآءنا ايت بقُرءان غَيْر هذَآ أَو بدِّلْه قُلْ ما يَكُونُ لي أَنْ أبدِّلَه، من تلْقَآء نفْسي إِنَ اتَّبع إِلاَّ ما يوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عصيتُ ربِّي عذَاب	158
57	﴿يآ أَيُّها النَّاس قَدْ جَآءتكُم مَّوعظَةٌ مِّن رَّبكُم وشفَآء لِّما في الصُّدُور وهُدى ورحمَةٌ لِّلْمومنين﴾	39
109	﴿واتَّبع ما يُوحىٰ إِلَيْكَ واصبرْ حتَّىٰ يحكُم اللهُ وهُو خيْر الْحاكمين﴾	158

سورة هود

10-9	﴿ولئن اذَقْنا الانسانَ منَّا رحمةً ثُمَّ نَزَعناها منه إِنَّه، لَيئُوس كفُورولئن اذَقْناه نعْمآء بعد ضرَّآء مسَّتْه لَيَقُولَنَّ ذهَب السَّيِّئاتُ عنِّي إِنَّه، لَفرِح	42، 96، 122
11-10	﴿...إِنَّهلَفرحفخورإلاَّالذينصبروا وعملُواالصَّالحات﴾	126

سورة يوسف

6	﴿وكَذَٰلك يجتَبيك ربُّك ويُعلِّمك من تَاويل	214
17	﴿وماأَنتبمؤْمنلَّنا﴾	17، 19
42	﴿وقَالَ للَّذي ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِّنهما اذْكُرني عند ربِّك فأَنساه الشَّيطَانُ ذكْر ربِّه فَلبثَ في السِّجن بضع	215
100	﴿وقَد احسن بي إذ اخْرجني من السِّجن﴾	215
105	﴿وكَأَيِّن مِّن ءاية في السَّماوات والارض يمرُّون	86

	عليها وهم عنها معرضون﴾	

سورة الرعد

80	﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشآء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾	13
170	﴿ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال﴾	15
228	﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾	28

سورة إبراهيم

45	﴿ألر كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد﴾	1
70	﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي	7
184	﴿وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الآ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم مآ أنا بمصرخكم ومآ أنتم بمصرخي إني كفرت بمآ أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب اليم﴾	22
167	﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلاة وينفقوا ممّا رزقناهم سرًا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لاَّ بيع فيه ولا خلال﴾	31

سورة الحجر

42	﴿إِنَّ عِبادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ الاَّ مَن اتَّ. بِعَكَ من	183
91-90	﴿كَمآ أَنزلْنَا عَلَى الْمُقْتَسمين الذين جَعَلُوا الْقُرءانَ عضين﴾	92

سورة النحل

23-22	﴿إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالذين لاَ يُومنُونَ بالآخرة قُلُوبُهم مُّنكرةٌ وهم مُّسْتَكْبِرونَ لاَ جرمَ أَنَّ اللهَ يَعلَم ما يسرُّونَ ومَا يُعلنونَ إِنَّه لاَ يُحبُّ الْمُستَكبِرين﴾	75
49	﴿ولله يسْجُدُ ما في السَّماوَات ومَا في الأرْضِ من دآبَّةَ والْملآئكَةُ وهم لاَ يستَكْبِرُونَ﴾	170
97	﴿منْ عمِلَ صالحًا مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثى وهُوَ مومنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حياةً طَيِّبَةً﴾	29
98	﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾	191
99-98	﴿فإِذَا قَرأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بالله منَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّه لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الذينَ ءامَنُوا وعَلَىٰ رَبِّهِم	183، 209
106	﴿إِلاَّمنْأُكْرِهَو قَلْبُهُمطْمَئنٌّبالإيمان﴾	20

سورة الإسراء

16	﴿وإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عَلَيْها الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاها	203
19-18	﴿من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَه فيها ما نشآءُ لمن نُّرِيدُ ثُمَّ جعلْنَا لَه، جَهَنَّمَ يصلاها مذْمُوما مَّدْحُورا ومن اراد الاخرةَ وسعىٰ لَها سعيَها وهو مومنٌ فأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهم مَّشْكُورا﴾	235
44	﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّماوَاتُ السَّبْعُ والأرْضُ ومَن فيهنَّ وإِن	80، 81

	مِّن شَيْءٍ الاَّ يُسبِّحُ بحمده ولَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تسبيحهمْ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	
62	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾	182
63	﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾	182
64	﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾	164
65	﴿انَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾	164
65-64	﴿.. وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا انَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾	184، 190
75-74	﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾	162
67	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الانسَانُ	97، 124
82	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾	39، 43
83	﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الانسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾	42، 63، 125
85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾	36

100	﴿قُل لَّو أ نتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِ ن رَحْمَةِ رَ بِّي إِذًا لأَمسَكْتُم خَشْيَةَ الانفَاق وَكَانَ الانسانُ قَ تُورا﴾	97
106	﴿و قُرءا نا فَرقْ ناه لتَ قْرأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْث و نَزَّلْنَاه تنزيلاً﴾	198
-107 109	﴿... قُل ءامنُوا به أَوْ لاَ تُومِنُوا إِنَّ الذين أُوتُوا الْعِلْمَ من قَبْله إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِم يخرُّونَ للاذْقَان سُجَّدًا و يَقُولُونَ سبحانَ رَبِّنَآ إن كَانَ وعْدُ رَبِّنَا لَمفعولاًويخرُّونَ للاذْقَان يَبكُونَ ويزيدهم خُشُوعًا﴾	146، 227

سورة الكهف

6	﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾	28
29	﴿وقُلِ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُومِنْ وَّمَن شَآءَ	104
45	﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾	205
50	﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ من دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِيسَ للظَّالمين بدَلاً﴾	183
57	﴿وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّر بِئَايَاتِ رَبِّه فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَّفْقَهُوهُ وَفِي ءاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ	62، 233

سورة مريم

58	﴿أُولَئِكَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبيئينَ من ذُرِّيَّةِ ءادمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمن ذُرِّيَّةِ إِبْراهيمَ وإسرآئيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِم ءاياتُ الرَّحمنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	146، 226

67-66	﴿ويقولُ الانسانُ أإذا ما متُّ لسوفَ أُخْرجُ حيًّا أولا يذْكُرُ الانسانُ أنَّا خلقناه من قبل ولم يك	97، 205
73	﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قالَ الذين كفروا للذين ءامنوا أيُّ الْفريقين خير مَّقاما	147
76-75	﴿قُلْ من كانَ في الضَّلالَة فليمدد لهُ الرَّحمن مدًّا حتَّىٰ إذا رأوا ما يوعدونَ إمَّا الْعذاب وإمَّا السَّاعة فسيعلمونَ من هو شرٌّ مَّكانًا وأضعفُ جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدًى..﴾	105

سورة طه

3-1	﴿طه مآ أنزلْنا عليْكَ الْقُرْءانَ لتشْقىٰ إلاَّ تذْكرةً لِّمن يَخْشىٰ﴾	27
2	﴿مآ أنزلْنا عليْكَ الْقُرْءانَ لتشْقىٰ﴾	29
4-1	﴿طه مآ أنزلْنا عليْكَ الْقُرْءانَ لتشْقىٰ إلاَّ تذْكرةً لِّمن يَخْشىٰ تنزيلاً مِّمَّن خلقَ الأرْضَ والسَّماوات الْعُلى﴾	9
50	﴿قالَ ربُّنا الذي أعْطىٰ كُلَّ شيْءٍ خلْقهُ ثُمَّ هدىٰ﴾	219
70	﴿فأُلْقي السَّحرةُ سُجَّدًا﴾	146
82	﴿وإنِّي لغفَّارٌ لِّمن تاب وءامن وعمل صالحًا ثُمَّ اهتدىٰ﴾	219
115	﴿ولقدْ عهدنآ إلىٰ ءادم من قبْلُ فنسي ولمْ نجدْ لهُ	179
123	﴿فإمَّا يأتينَّكُم مِّنِّي هُدًى فمن اتَّبع هُداي فلا يضلُّ ولا	29، 155
124	﴿ومن أعْرض عن ذكْري فإنَّ لهُ معيشةً ضنكًا ونحْشُرُهُ يوم الْقيامة أعْمىٰ﴾	101، 102، 179

سورة الأنبياء

64، 101، 102	﴿اقْترب للنَّاس حسابهم وهم في غفلة مُّعرضون ما ياتيهم مِّن ذكر مِّن رَّبِّهم مُّحدث الاّ استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾	3-1
140،61	﴿أم اتَّخذوا من دونه ءالهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من مَّعي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحقَّ فهم	24
41	﴿خلق الانسان من عجل سأريكم ءاياتي فلا	37
179	﴿وهذا ذكر مُّبارك انزلناه أفأنتم له منكرون﴾	50
80	﴿ ففهَّمناها سليمان وكلاًّ اتينا حكما وعلما وسخَّرنا مع داود الْجبال يسبِّحن والطَّير وكنَّا	79

سورة الحج

126	﴿ومن النَّاس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطْمأنَّ به وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدُّنيا والاخرة ذالك هو الْخسران	11
170	﴿أَلَم تر أنَّ الله يسجد له من في السَّماوات ومن في الارض والشَّمس والْقمر والنُّجوم والجبال والشَّجر والدَّوآبُّ وكثير مِّن النَّاس وكثير حقَّ عليه الْعذاب ومن يُّهن الله فما له من مُّكرم انَّ الله يفعل ما يشآء﴾	18
228	﴿... وبشِّر الْمخبتينالذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم والصَّابرين علىٰ مآ أصابهم والْمقيمي الصَّلاة وممَّا رزقناهم ينفقون﴾	35-34
20	﴿الَّذينإذاذُكراللَّهوجلتقلوبهم﴾	35
147	﴿وإذا تتلىٰ عليهم ءاياتنا بيِّنات	72

	الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين عليهم، ءاياتنا... ﴾	

سورة المؤمنون

66-64	﴿حتى إذآ أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرو ن.قد كانت ءاياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم	148
66	﴿قد كانت ءاياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾	54
-103 105	﴿حتى إذآ أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون قد كانت ءاياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم	148

سورة النور

21	﴿يآ أيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يامر بالفحشآء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته، ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشآء والله	163، 191
35	﴿الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشآء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء	194

37	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ	181
41	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا	80، 171
47-49	﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُومِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَاتُوا إِلَيْهِ	58
50	﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ امِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	59

سورة الفرقان

20	﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً اَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ	180
32	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾	198
44	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	83

سورة الشعراء

5-6	﴿وَمَا يَاتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ	102

سورة النمل

14	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا	22

221	﴿ولقد ءاتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين﴾	15
224	﴿ولقد ءاتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين﴾	16-15
223، 224	﴿... وقال رب أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾	19
71، 223	﴿هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر أم اكفر...﴾	40
126	﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾	47

سورة القصص

216	﴿ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى	15
216	﴿... قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين﴾	17-15
162	﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوآءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾	50

145	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءاياتنا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾	59

سورة العنكبوت

126	﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	65

سورة الروم

196	﴿وَمِنْ ءاياته يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	24
195	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	30
71	﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ	44
196	﴿فَانظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	50
169	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾	54

سورة لقمان

147	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءاياتنا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن	7

	يسمعها كأنَّ في أُذُنيه وقرا فبشره بعذاب	
71	﴿ولقد ءاتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني	12
156	﴿وإذا قيل لهم اتبعوا مآ أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءابآءنآ أولو كان الشيطان يدعوهم، إلىٰ عذاب السعير﴾	21
109	﴿إنَّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس مَّاذا تكسب غدا وما تدري نفس بأيِّ أرض تموت إنَّ الله عليم خبير﴾	34

سورة السجدة

168، 227	﴿إنَّما يومن بئاياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾	15
181	﴿إنَّما يومن بئاياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهموهم لا يستكبرون تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وممَّا رزقناهم	16-15

سورة الأحزاب

208	﴿يآ أيها النَّبيء اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إنَّ الله كان عليما حكيما﴾	1
159	﴿واتبع ما يوحىٰ إليك من رَّبك إنَّ الله كان بما تعملون خبيرا﴾	2
97	﴿ولما رأى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم، إلآ إيمانا	22
154	﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا	36

	أَنْ يكُونَ لَهمُ الْخ يـ.ـرةُ من أَمْرهِم﴾	
72	﴿انَّا عرضْنا الامانَةَ علَى السَّماوات والارْض والْجبال فأَبـ.ـين أَنْ يَّحملْنـ.ـها وأَشْفقْنَ مـنـ.ـها وحملَها الانسانُ إنَّه كَانَ ظَلُوما جهُولاً﴾	41

سورة سبأ

13	﴿...اعْملُوا ءالَ داوُودَ شُكْراً وقَليلٌ مِّنْ عبادي الشَّكُورُ﴾	222
13-10	﴿ولَقَدْ ءاتـ.ـيـ.ـنا داوودَ منَّا فضْلاً يا جبَالُ أَوِّبي معهُ والطَّـيـ.ـر وأَلَنَّا لَهُ الْحَديدَ أَن اعْملْ سابغَات وقَدِّرْ في السَّرْد واعْملُوا صالَحا انِّي بما تـ.ـعملُونَ بصير ولسلَيْمانَ الرِّيح غُدُوُّهَا شَهْر ورواحُها شَهْر وأَسَلْنـا لَهُ عيْنَ الْقطْر ومن الْجنِّ من يـ.ـعْمل بـ.ـين يديه بإذْن ر بـ.ـِّه ومن يَّزغْ مـنـ.ـهم عن امرنا نُذقْهُ منْ عذَاب السَّعير يـ.ـعملُونَ لَهُ، ما يشآءُ من مَّحاريب وتماثيل وجفَان كَالْجوابي وقُدُور راسيات اعْملُوا ءالَ داوود شُكْراً وقَليلٌ مِّنْ عبادي الشَّكُورُ﴾	224
21	﴿وما كَانَ لَهُ عليْهم مِّن سُلْطَان الاَّ لنـ.ـعلَم من يُّومن بالاخرة ممَّنْ هو مـنـ.ـها فيِّ شَكٍّ ور بـ.ـُّك علَىٰ كُلِّ شيْءٍ حَفيظٌ﴾	164

سورة فاطر

5	﴿يآ أَ يـ.ـُّها النَّاسُ إنَّ وعْدَ اللَّه حقٌّ فَلاَ تـ.ـغُرَّ نـَّـكُم الْحياةُ الدُّ نْيا ولاَ يـ.ـغُرَّ نـَّـكُم باللَّه الْغَرُورُ﴾	187

6	﴿إنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا انَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ اَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	183
9	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ	196
18-26	﴿... وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَمَا يَسْتَوِي الاَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُولاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الاَحْيَآءُ وَلاَ الاَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَّشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ... وَإِنْ يُّكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ	89
28	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ﴾	88
29	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً	145

سورة يس

60	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	183
77	﴿أَوَلَمْ يَرَ الانسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	41

سورة الصافات

96	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	92

سورة ص

151	﴿كتَابٌ انزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّ بَّرُوا ءاياته وليتذَكَّر أُوْلُوا الاَلْبَاب﴾	29
213	﴿... إِذْ عُرِضَ عليه بالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجيادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بالْحجابِرُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحا بالسُّوقِ والاعْنَاقِ ولَقَدْ فَتَنَّا سليمانَ وأَلْقَينَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِر لي وهَبْ لي مُلْكًا لاَّ ينبغِي لأَحدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تجري بأَمرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وغَوَّاصٍ وءاخرين	31-38
182	﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	82
182	﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين﴾	83

سورة الزمر

42	﴿وإِذَا مَسَّ الانسانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا الَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وجَعَلَ لله أَندادا لِّيُضِلَّ عَنْ سبيله قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً انَّكَ مِنْ اَصْحَابِ النَّار﴾	8
169	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الارْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا اَلْوانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا انَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُولِي	21
42	﴿فَإِذَا مَسَّ الانسانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	49

سورة غافر

181	﴿فَاصْبِرْ انَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بحمدِ رَبِّكَ بالْعشيِّ والابْكَار﴾	55
192	﴿ادعوني استجب لكم﴾	60

سورة فصلت

62	﴿كتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بشيرًا وَنَذيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهم فَهم لا يسمعون﴾	3-4
90	﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمكتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُم لا يسمعون وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْه وفي ءاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ اِنَّنَا عَامِلُونَ﴾	2-5
170	﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلارْضِ ايتيا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾	11
104	فَلَنُذِيقَنَّ الذين كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الذي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَالِكَ جزَآءُ اعدَآءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فيها دار الْخُلْدِ جزَآءً بما كَانُوا بئاياتنا يَجْحَدُونَ﴾	27 – 28
219	﴿إِنَّالَّذِينَقَالُوارَبُّنَااللَّهُثُمَّاسْتَقَامُوا﴾	30
39، 42	﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُومِنُونَ فِي ءاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِم عمى اُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بعيد﴾	44
42	﴿لاَ يَسْأَمُ الانسَانُ من دُعَآءِ الْخَيْرِ وإن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾	49
125	﴿لاَ يَسْأَمُ الانسَانُ من دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ اذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا من بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لي وَمَآ أَظُنُّ	49 –

51	قَآئمةً ولَئِن رُّجِعتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذين كَفَرُوا بِما عَمِلُوا ولَنُذيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَليظ وإِذَآ أَنْعَمنَا عَلى الانسان أَعْرَض ونَأَى بِجَانِبه وإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾	
51	﴿وإِذاأَ نْعَمناعلىالإِنسانأعرضونأىبجانبهوإذامسّهالشّرّفذودعاءعريض﴾	124، 127

سورة الشورى

15	﴿..فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ واسْتَقِم كَمَآ أُمِرْتَ ولاَ تَتَّبِع اَهوآءَهُم وقُل ءَامنتُ بِمآ أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَاب وأُمِرتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُم اللهُ رَبُّنا وربُّكُم لَنَآ أَعْمالُنَآ ولَكُم، أَعمالُكُم لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُم اللهُ يَجمَعُ بَيْنَنا	161
20	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الاَخِرَة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِه ومَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوتِه مِنْهَا وما لَهُ فِي الاَخِرة من نَّصيب﴾	235
28	﴿وَهُوَ الذي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحمَته وهو الْوَلِيُّ الْحَميدُ﴾	49
48	﴿..وإِنَّآ إِذآ أَذَقْنَا الانسانَ مِنَّا رَحمَةً فَرِحَ بِهَا وإِن تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَت اَيديهم فَإِنَّ الانسانَ كَفُورٌ﴾	42
52	﴿.. ولَكِن جَعَلْنَاهُ نُورا نَّهْدِي بِه مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبادنا وإِنَّكَ لَتَهْدي إِلَىٰ صِراط مُّسْتَقيم﴾	45

سورة الزخرف

7-6	﴿وكَم اَرْسَلْنَا مِن نَّبِيءٍ في الاَوَّلين ومَا يَاتيهِم مِّن نَّبِيءٍ الاَّ كَانُوا بِه يَسْتَهْزِئُون﴾	157

23	﴿وكذالك مآ أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوهآ إنا وجدنآ ءابآءنا على أمة وإنا على ءاثارهم	94، 95
54	﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما	209
62	﴿ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾	183

سورة الجاثية

3-6	﴿إن في السماوات والارض لآيات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دآبة . ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار ومآ أنزل الله من السمآء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ءايات لقوم يعقلون تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله	87
18	﴿ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهوآء الذين لا يعلمون﴾	159
30-31	﴿فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذالك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن ·اياتي تتلى عليكم	148

سورة الأحقاف

3	﴿ما خلقنا السماوات والارض وما بينهمآ إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عمآ أنذروا	102
9	﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن اتبع إلا ما يوحى إلي ومآ أنا إلا نذير	159

سورة محمد

17	﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى وءاتاهم تـ.قواهم﴾	233
24	﴿أَفلا يـتدبّـ.رون القُرءان أم على قُـ.لوب	93، 151

سورة الحجرات

14	﴿قالت الأعراب آمنّا قُل لَّم تـ.ؤمنوا ولكن .قولوا أسلمنا﴾	17
15	﴿إنّما المُؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يـ.رتابوا﴾	20

سورة ق

16	﴿ولقد خلقنا الانسان و نـ.علم ما تـ.وسوس به نـ.فسه ونحن أ قـ.رب إليه من حبل الوريد﴾	204
37	﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.. ﴾	152

سورة الذاريات

21	﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	191

سورة النجم

41-39	﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾	106

سورة القمر

40	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	32

سورة الحديد

7	﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	224
17	﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	196
20	﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾	70
23-22	﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	108، 207

سورة المجادلة

10	﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ	190

	بضآرهم شيئا الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل	

سورة الحشر

19	﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾	201
24	﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الاسمآء الحسنىايسبح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم﴾	80

سورة الجمعة

2	﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم، ءاياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾	200
5	﴿مثلالذينحملواالتوراةثملميحملوهاكمثلالحماريحملأسفا	90

سورة التغابن

15-14	﴿يآ أ يها الذين ءامنوا إن من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا و تغفروا فإن الله غفور رحيم إنمآ أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر	209

سورة التحريم

4	﴿إنتتوباإلىاللهفقدصغتقلوبكما﴾	20

سورة الملك

2	﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا	103

	﴿الْعزيز الْغفُور﴾	

سورة المعارج

17	﴿تدْعو من أَدْبر وتولّى﴾	53
18-17	﴿.. من ادْبر وتولّى وجمع فأَوْعى﴾	128
21-19	﴿إنَّ الانسانَ خُلِقَ هلُوعًا اذَا مسَّهُ الشَّرُّ جزُوعًا وإذَا مسَّه الْخَيْر منوعا﴾	42
23-19	﴿إنَّ الانسان خُلق هلُوعًا اذا مسَّهُ الشَّرُّ جزُوعًا وإذا مسَّهُ الْخَيْر منُوعًا الاَّ الْمُصَلِّينالذين هُمْ علَىٰ صلاتهم	127
35-22	﴿..الاَّ الْمُصلّين الذين هُمْ علَىٰ صلاتهمْ دآئمُون والذين في أَمْوالهم حقٌّ مّعلُومٌ لّلسَّآئل والْمحروم والذين يصدِّقُون بيوم الدِّين والذين هم مِّنْ عذاب ربِّهم مُّشفقُون... أُولَئك في جنَّات مُّكْرمون﴾	43

سورة المزمل

7	﴿انَّ لَكَ في النَّهار سبحا طَويلاً﴾	171

سورة المدثر

23	﴿ثُمَّ أَدْبر واستكْبر﴾	53

سورة الإنسان

26-24	﴿فَاصْبِرْ لحُكْم ربِّكَ ولاَ تُطعْ منْهُمْ ءاثمًا اَوْ كَفُورًا واذْكُر اسم ربِّك بكْرةً وأَصيلاً ومن اللَّيْل فاسجدْ لَه وسبِّحه لَيلاً طَويلاً﴾	181

سورة عبس

11-1	﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها	211
7-5	﴿أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا	76

سورة الأعلى

3-1	﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾	218
14	﴿قد أفلح من تزكى﴾	41
15-14	﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾	181

سورة الفجر

20	﴿وتحبون المال حبا جما﴾	211

سورة الشمس

8-7	﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾	185، 206
10-7	﴿ونفس وما سواهافألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾	68، 175
10-9	﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾	41، 175، 177

سورة الليل

77	﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾	10-4

سورة التين

17	﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾	3

سورة العلق

77	﴿إِنَّ الانسانَ لَيَطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾	7-6
77	﴿أَرَأَيْتَ الذي يَنْهَىٰ عَبْدًا اذا صَلَّىٰ﴾	10-9

سورة العاديات

130	﴿انَّ الانسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾	6

سورة العصر

126	﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	1

سورة الهمزة

55	﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾	4

سورة قريش

16	﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.	4

سورة الماعون

3-1	﴿أَرَأَيْتَ الذي يُكَذِّبُ بالدِّين فَذَٰلكَ الذي يَدُعُّ الْيَتيم ولا يحضُّ عَلَىٰ طَعام الْمَسْكين﴾	74

فهرس الأحاديث والآثار

نـص الـحديـث والأثـر	الـصفحة
فقلت : لوجئتالكعبةفطفتبهاسـ ـعاأوسبعين،قال:فجئتالمسجدأريدأنأطوفبالكعبة،فإذارسولالل هصلىاللهعليهوسلمقائميصلي ... قال: فجئتالكعبةمنقبلالحجرفدخلتتحتثيابهافجعلتأمشيرويداً، ورسولاللهصلىاللهعليهو سلمقائميصلييقرأالقرآن، حتىقمتفيقبلتهمابينيوبينهإلاثيابالكعبة،قال:فلماسمعتالقرآنرقَّ لهقلبي،فبكيتودخلنيالإسلام، فلمأزلقائمافيمكانيذلكحتىقضىرسولاللهصلىاللهعليهوس لمصلاتهثمانصرف.	46
لَقَدْعِشْنَا بُرْهَةًمِنْدَهْرِنَاوَأَحَدُنَا يُؤْتَىالإِيمَانَقَبْلَالْقُرْآنِ،وتَنْزِلُالسُّورَةُعَلَىمُحَمَّدٍ-صلىاللهعليهوسلم- فَيَتَعَلَّمُحَلاَلَهَا،وحرامها،وآمرها،وزاجرها،وما يَنبغيأنيقفعندهمنها . كَما تَعَلَّمُونَأَنْتُمالْيَومالْقُرْآنَ،ثُمَّلَقَدْرَأَيْتُاليَومرجَالاً يُؤْتَىأَحَدُهُمالْقُرآنَقَبْ لَالإيمان؛ فَيَقْرَأُمَا بَيْنَفاتحتهإلَىخاتمتهمايدريماآمرهولازاجره،ولاما يَنبغي	34
مثلالذييقرأالقرآن،وهوحافظلهمعالسفرةالكرامالبررة،ومثلالذييقرأ،وهويتعاهده،وهو عليهشديدفلهأجران.	149
اعملوافكلميسَّرلماخلقله.	217
ألاوإنفيالجسدمضغة:إذاصلحتصلحالجسدكله،وإذافسدتفسدالجسدكله؛ألاوهيالقل	2

01	
106	إنَّالرَّجُلَلَيَعْمَلُعَمَلَأَهْلِالْجَنَّةِ،فيما يَبْدُوللنَّاسوهومنأَهْلِالنَّار،وإنَّالرَّجُلَلَيَعْمَلُعَمَلَأَهْلِالنَّار،فيما يَبْدُوللنَّاسوهومنأَهْلِالْجَنَّة.
106	إنَّاللهعزَّوجلَّخلقخَلْقَهُفيظُلْمة،ثُمَّأَلْقَىعليهممننوره يومئذ،فمنأصابهمننوره يومئذ،اهتدى،ومنأَخْطَأَه،ضَلَّ " فلذلكأقول : جَفَّالْقَلَمُعَلَىعِلْماللهعزَّوجلَّ.
174	أَنَّالنَّبِيَّصلىاللهعليهوسلمكانيَخْطُبُإلىجِذْع، فلمَّاصنعالْمِنْبَر فتحوَّلإليه،حنَّالْجِذْع،فأتاهرسولاللهصلىاللهعليهوسلمفاحتضنه،فسكن.
73	أنرسولاللهصلىاللهتعالىعليهوسلمقرأسورةالرحمنعلىأصحابهفسكتوافقال : مالىأسمعالجنأحسنجوابالربهامنكم،ماأتيتعلىقولاللهتعالى" :فَبِأَيِّآلاءِرَبِّكُمَاتُكَذِّبَان " إلاقالوا : لابشيءمننعمكربنانكذّب؛فلكالحمد.
48	إنّمثلمابعثنياللهبهعزوجلمنالهدىوالعلم، كمثلغيثأصابأرضا،فكانتمنهاطائفةطيبة،قبلتالماءفأنبتتالكلأوالعشبالكثير ، وكانمنهاأجادبأمسكتالماء،فنفعاللهبهاالناس،فشربوامنهاوسقواورعوا،وأصابطائفةمنهاأخرى،إنماهيقيعانلاتمسكماء،ولاتنبتكلأ،فذلكمثلمنفقهفيدينالله،ونفعهبمابعثنياللهبه،فعلموعلّم، ومثلمنلميرفعبذلكرأسا،ولميقبلهدىاللهالذيأرسلتبه.
150	إنّهذاالقرآنمأدبةاللهفاقبلوامنمأدبتهمااستطعتم،إنهذاالقرآنحبلالله،والنورالمبين،والشفاءالنافع،عصمةلمنتمسكبه،ونجاةلمنتبعه،لايزيغفيستعتب،ولايعوجفيقوم،ولاتنقضيعجائبه،ولايخلقمنكثرةالرَّد،اتلوهفإناللهيأجركمعلىتلاوتهكلحرفعشرحسنات،أماإنيلاأقولالمحرف،ولكنألفولامميم.
45	أوصيكبتقوىاللهعزوجل،فإنهأَزْيَنُلأمركله " قلت :زدنيقال " عليكبتلاوةالقرآن، وذكراللهعزوجل،فإنهذكرلكفيالسماءونورلكفيالأرض.
14	أيكميحبأنيغدوكليومإلىبطحان،أوإلىالعقيق،فيأتيمنهبناقتينكوماوينفيغيرإثم،ولاقطعرح

حم؟"،فقلنا :يارسولاللهنحبذلك،قال " : أفلايغدوأحدكمإلىالمسجدفيعلم،أويقرأآيتينمنكتاباللهعزوجل،خيرلهمنناقتين،وثلاثخ يرلهمنثلاث،وأربعخيرلهمنأربع،ومنأعدادهنمنالإبل.	9
الإيمانبضعةوسبعونباباً؛أدناهاإماطةالأذىعنالطريق.	1 9، 2 4
تصدّىرسولاللهصلىاللهعليهوسلملرجلمنمشركيقريشكثيرالمال،ورجاأنيؤمن،وجاءرجل منالأنصارأعميقالله : عبداللهبنأممكتوم،فجعليسألنبياللهصلىاللهعليهوسلمفكرههنبياللهصلىاللهعليهوسلموتول عنه،وأقبلعلىالغني،فوعظاللهنبيه،فأكرمهنبياللهصلىاللهعليهوسلم،واستخلفهعلىالمدينةمرت ينفيغزوتينغزاهما. 76،	7 6، 2 1 2
جاءَ ثَعلَبَةُ بْنحَاطِببصدَقَتِهإلَىعمر فَلَم يَقْبَلْهاوقَالَ :لَم يَقْبَلْهاالنَّبِيُّ - صلّىاللّهعلَيهوسلّم - ولاأَبوبَكْر،ولاأَقْبَلُها.	5 8
دخلرسولاللهصلىاللهعليهوسلمبيتالمدْراسعلىجماعةمنيهود،فدعاهمإلىالله،فقالالهنعيمب مبنعمرو،والحارثابنزيد :علىأيِّدينأنتيامحمد؟فقال":علىملةإبراهيمودينه . فقالافإنإّبراهيمكانيهوديًّا !فقالالهمارسولاللهصلىاللهعليهوسلم : فهلمُّواإلىالتوراة،فهيبينناوبينكم !فأبياعليه،فأنزلاللهعزوجل : " ألمترَإلىالذينأوتوانصيبامنالكتابيدْعونإلىكتاباللهليحكمبينهمثميتولّىفريقمنهموهممع عرضونإلىقوله :ماكانوايفترون.	5 7
دُعِيَرسولُاللهصلّىاللهُعَلَيْهِوسلّمإلَىجنازَةصبيٍّمنالأنْصارِ، فَقُلْتُ : يارَسُولَاللهطُوبَىلهذَا،عصفُورمِنْعصافيرالْجَنَّةلَم يَعمَلالسُّوءَولَميُدرِكْهُ،قَالَ : أَوَغَيْرَذَلك،ياعَائشَةإنَّاللهخلَقَللْجنَّةأَهلاً،خلَقَهملَهاوهمفيأَصلابآبائهم،وخلَقَللنَّارأَهلاً،خلَ قَهملَهاوَهمفيأَصْلابآبائهم.	1 0 6
عنعائشة،قالت:أنزلت" عبسوتولى "	2

11	فيابنأممكتومالأعمى،قالت:أتىالنبيصلىاللهعليهوسلمفجعليقول:يانبياللهأرشدني،قالت:و وعندالنبيصلىاللهعليهوسلمرجلمنعظماءالمشركين،فجعلالنبيصلىاللهعليهوسلميعرضعنهو ويقبلعلىالآخر،فقالالنبيصلىاللهعليهوسلم: " يافلاناأترىبماأقولبأسا " فيقول:لا،فنزلتعبسوتولى.
206	فإذاضُيِّعتالأمانةفانتظرالساعة،قال:كيفإضاعتها؟قال:إذاوُسِّدالأمرإلىغيرأهله،فانتظرالساعة.
149	قرأرجلٌالكهف،وفيالداردابةفجعلتتنفر،فنظرفإذاضبابة،أوسحابةقدغشيته،قال: فذكرذلكللنبيصلىاللهعليهوسلم،فقال: اقرأفلان،فإنهاالسكينةتنزلتعندالقرآن،أوتنزلتللقرآن.
195	كلُّمولوديولدعلىالفطرة.
34	كنانؤتىالإيمانقبلأننؤتىالقرآن.
173	كُنْتُمعَالنَّبِيِّصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَبِمَكَّةَفَخَرَجْنَافِيبَعْضِنَوَاحِيهَا،فَمَااسْتَقْبَلَهُجَبَلٌوَلَاشَجَرٌإِلَّاوَهُوَيَقُولُ:السَّلَامُعَلَيْكَيَارَسُولَاللَّهِ.
159	لاحسدإلافياثنتين:رجلآتاهاللهالقرآنفهويتلوهآناءالليلوآناءالنهار،ورجلآتاهاللهمالافهو وينفقهآناءالليلوآناءالنهار.
74	لايدخلالجنةمنكانفيقلبهمثقالذرةمنكِبْر.
19	لايزنيالزانيوهومؤمنحينيزني...
229	لا،ولكنهالرجليصومويصليويتصدّق؛وهومعذلكيخافاللهعزوجل.

22	ليسالإيمانبالتَّمنِّيولا بالتَّحلِّي،ولكنماوقرفيالقلبوصدّقهالعمل.
166	ليسبينالعبدوبينالكفرإلا تركالصلاة.
150	المؤمنالذييقرأالقرآنويعملبه: كالأترجة، طعمهاطيبوريحهاطيب،والمؤمنالذيلايقرأالقرآن،ويعملبه: كالتمرةطعمهاطيبولا ريحلها،ومثلالمنافقالذييقرأالقرآن : كالريحانةريحهاطيبوطعمهامر،ومثلالمنافقالذيلايقرأالقرآن : كالحنظلة،طعمهامر - أوخبيث - وريحهامر.
140	يافاطمةبنتمحمَّد،سلينيمنماليماشئت،لاأُغنيعنكمناللهشيئا.
150	يقاللصاحبالقرآنيومالقيامة:اقرأوارقورتلكماكنتترتلفيدارالدنيا،فإنمنزلتكعندآخرآيةكنتتقرؤها.

فهرس الأعلام

الـعـلـم	الـصـفـحـة
ابنأبيالعز الحنفي	20
ابنالمنذر	73
ابنتيمية أحمد بن عبد الحليم	23
ابنجرير	73
ابنسيده	16،70
ابنعاشور محمد الطاهر	213، 128129،123،151،75،51، 215
ابنعباس رضي الله عنه	219،173،127،222،128،57
ابنعطاءاللهالسكندري	205
ابنعطيةالأندلسي	119
ابن عمر رضي اله عنه	73
ابنفارس أبو الحسين أحمد القزويني	151،231،195،70
ا بـ. نـ.قـ تـ.يبة	171
ابنقيمالجوزية	39
ابنكثير	66
ابنمردويه	73
ابنمنظور	232،17
أَبوإسحاق	149،17
أبوحيانالأندلسي	63
أبوذرالغفاري رضي الله عنه	45
أبوزهرة محمدبنأحمد	118،60،60
أَبوسلَيمانَالخطابي	22

أبوعبيدالقاسمبنسلاّم	19
أَبوعلي	70
أَبومنصور	54
أبوموسىالأشعري رضي الله عنه	48
أبوهريرة رضي الله عنه	205
أبيموس	150
أحمد بن حنبل	173
الأزْهريُّ	17
أصفهاني	187
ألبيركامو	101،100
الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله	72
أمالدرداء	229
إيكارت تول	114 ،113 ،112،111
البراء بن عازب رضي الله عنه	149
البزار	73
الْبَغَوِيُّ أَبُومحمَّدالْحُسَيْنُ بْنمسعود	24
البوطي محمدسعيدرمضان	233
البيهقي	229
بيوض إبراهيم بن عمر	230
الترمذي محمد بن عيسى بن سورة	173

تشارلزويتفيلد	95،94
الجرجانيعبدالقاهر	152
الجوهريُّ أبو ناصر إسماعيل بن حماد	17
جيفريلانغ	46،11
الحارثبنزيد	57
الحاكمالنيسابوري	229
الْخَطَّابيُّ أبو سليمان	24
الخطيب البغدادي	73
الْخَلِيل بن أحمد الفراهيدي	231
د.داير	114،98
الدارقطني	73
الراغبالأصفهاني	144،55،53 ،18
الزجاج	16،17
الزركشيبدرالدين	153
الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي	127،122،102،84
السُّدي	127،222
سعيدبنجبير	23
سهلبنسعدالسَّاعديِّ رضي الله عنه	106
سيدقطب	،102،86،81،7477،65،45،43،32 159 ،154،145،118 120 187 ،184،177،167

	،226،225،202،197،195 28 ،173،230
سيدناآدم	183،155،29
سيدنا داود	224،223
سيدناسليمانعليهالصلاةوالسلام	213،224،223،212
سيدناموسعليهالسلام	223،216
سيدنايوسفعليهالصلاةوالسلام	214
سيزيف	101،100
الشعراوي محمد متولي	،108،198،182 184،156،140،55 159
شهربنحوشب	229
الشوكاني محمد بن علي	175،171،152
الطبري محمدبنجرير	76،60،27
عائشةأم المؤمنينرضياللهعنها	210،149،105،229
عبداللهبنأممكتوم رضي الله عنه	210 ،77 ،212،76
عبداللهبنعمرو رضي الله عنه	150 ،106
عبداللهبنمسعود رضي الله عنه	150
عَبْدَالْمَلِكِ بْنَمَرْوَانَ	23
عقبةبنعامر رضي الله عنه	149
عَلِيِّبْنأَبِيطَالب	173
علىبنعثمانالهجويري	21

عمربنالخطاب رضي الله عنه	45
العمري أحمدخيري	7، 11، 30
الغزاليأبوحامد	18،26،29،،11075،185، 187،200،19، 188،189،190،191 ،192،231
الغزاليمحمد	10،26،83،84،86،103،105،91،92، 106
فخرالدينالرازي	11، 27، 39،90،94، 161،122،172
القاسمي جمال الدين بن	176
القاضيعمادالدينأبوالحسنعبدالـ جـبّاربنأحمد	25،107
القرطبي المفسر	54،72،146،49
القشيري أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن	21، 29،63،170،228
كولن محمدفتحالله	38،232، 186
اللحياني	17
الماتريدي	125،130
الْمـ بـِّرِدَ	171
مجديالهلالي	11،33،34
محمَّد بـ نـنصرالْمروزي	23
محمدرشيدرضا	29،43،52،66،140،144،157،160، 117192،158
محمدرضاالحسينيالشيرازي	21

محمدعبده	204،152
محيي الدين بنعربي	77, 208, 227, 229, 235
محيىالدينبنعربي	202،195،82
مرتضىالزبيدي	18
نعيمبنعمرو	57
النووي أبو زكرياء محيي	24
واينداير	235،134،97
ياسرحارب	101

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع المطبوعة:

1. القرآن العظيم.
2. إبراهيم علا عبد الباقي: الخوف والقلق (التعرف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما، وعلاجهما، وإجراءات الوقاية منهما)، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط1: 2010م.
3. ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط:10، 1417 هـ. - 1997م.
4. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني: النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ. - 1979م.
5. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني:النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي،المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ. - 1979م.
6. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ./1995م.
7. ابن حجر،أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ط: 1379 هـ..
8. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد: مسندأحمد،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون؛ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعةالأولى، 1421 هـ . - 2001 م.
9. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: المخصَّص،تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى: 1417 هـ، 1996م.

10. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس، ط: 1984م.

11. ابن عربي، محيي الدين: تفسير بن عربي، دار صادر–بيروت، ط2: 1429 ه./2008م.

12. ابن عطية الأندلسي،أبو محمد عبد الحق بن غالب:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1: 1422 ه..

13. ابن فارس، أحمد بن زكرياء أبو الحسين القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، بيروت، 1399 ه. – 1979م.

14. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر شمس الدين: إغاثةاللهفانمنمصائدالشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.

15. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعةالأولى: 1419 ه . .

16. ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم أبو الفضل: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 ه..

17. أبو حيان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي: البحرالمحيطفيالتفسير،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: 1420 ه.

18. أبو زهرة، محمد بن أحمد: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

19. أبو عَبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعةالأولى، 1421 ه. –2000م.

20. الأزرق بن علّو: الإنسان والقلق، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط: 2008م.

21. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله: الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية،تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن حزم، بيروت، ط1: 1414 هـ. - 1993م.
22. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1415 هـ..
23. إيكهارت تول: قوة الآن (الدليل إلى التنوير الروحي) ترجمة مؤيد يوسف حداد، دار علاء الدين، دمشق، ط1: 2009م.
24. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1: 1420 هـ.
25. البوطي، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط: 2002م.
26. البيضاوي،أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي:أنوارالتنزيلوأسرارالتأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1: 1418 هـ..
27. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الإسراء)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية-الجزائر، ط2: 2009م.
28. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة الحديد)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية-الجزائر، ط: 2013م.
29. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة المؤمنون)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية-الجزائر، ط: 1998م.

30. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة المؤمنون)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية–الجزائر، ط: 1998م.

31. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورة النور)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية–الجزائر، ط: 1998م.

32. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورتي الأنبياء والحج)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية–الجزائر، ط: 1997م.

33. بيوض، إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن (تفسير سورتي مريم وطه) تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية–الجزائر، ط: 1996م.

34. بيوض، إبراهيم: في رحاب القرآن (تفسير سورة الروم)، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر: جمعية التراث، غرداية–الجزائر، ط: 2001م.

35. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي،تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 1998 م.

36. تشارلز ويتفيلد: أنقذوا الطفل في داخلكم، ترجمة وتحقيق: آمال الآتات، نشر: مكتبة دار الفراشة، بيروت–لبنان، ط1: 2009م.

37. الجرجاني،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1422 هـ. – 2001م.

38. جمعية التراث، لجنة البحث العلمي: معجمأعلامالإباضية (مدخل إلى التاريخ والفكر الإباضي من خلال تراجم لأكثر من ألف علَم من أعلام المغرب الإسلامي، منذ القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر) المطبعة العربية، غرداية–الجزائر، ط1: 1420هـ/1999م.

39. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر:دار العلم للملايين – بيروت، ط4: 1407 هـ.-1987م.

40. جيفري لانغ، حتى الملائكة تسأل (رحلة إلى الإسلام في أمريكا)، ترجمة منذر العبسي، دار الفكر دمشق، ط1: 2001م.

41. الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد: لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1415هـ

42. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ط: 1402 هـ. – 1982م.

43. الرازي فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: 1420 هـ..

44. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.

45. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1: 1999م.

46. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهانفيعلومالقرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى: 1376 هـ. – 1957 م.

47. الزركلي، خير الدين بن محمود: الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط15: 2002

48. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1407

49. سلمان هماد سامي: حرِّر ذاتَكَ منكَ، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط1: 2011م.

50. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة:17، 1412هـ – 1992م.

51. سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1997م.

52. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:الإتقانفيعلومالقرآن،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 1394 هـ./ 1974م.

53. السيوطي، جلال الدينعبد الرحمن بن أبي بكر: لباب النقول في أسباب النزول، ضبطوتصحيح: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

54. الشاهد البوشيخي: القرآن والإنسان أية علاقة؟، مطبعة آنفو (فاس–المغرب)، ط: 2009م.

55. الشعراوي،محمد متولي: تفسير الشعراوي(خواطر إيمانية)، نشر: مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

56. الشوكاني، محمد بن علي: فتحالقدير، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعةالأولى: 1414 هـ . .

57. صالح بريك: الكره أو اللاتسامح مع الآخر (منظور نفسي اجتماعي)، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1: 2010م.

58. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ. – 2000

59. عبدالجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن الهمذاني، المعتزلي: شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2: 1988

60. العقّاد، عباس محمود: الإنسان في القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط6: 2007م.

61. العمري، أحمد خيري: البوصلة القرآنية (إبحار مختلف بحثا عن الخريطة المفقودة)، دار الفكر، دمشق، ط1: 2003م.

62. العمري، أحمد خيري: سيرة خليفة قادم، (قراءة عقائدية في بيان الولادة)، نشر: قيام القرآن. لأمة قائمة، الطبعة الأولى: 1434 هـ.-2013م.

63. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت

64. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان، ط1: 1424 هـ. – 2004م.

65. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي:إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

66. الغزالي، محمد: الإسلام والطّاقات ا لـمعطّلة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط: 1998م

67. الغزالي، محمد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط3: 2000م

68. الغزالي، محمد: عقيدة المسلم، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط4: 1984م

69. الغزالي، محمد: كيف نتعامل مع القرآن (في مدارسة أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط3: 1992م.

70. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعةالثامنة، 1426 هـ. – 2005م

71. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد: محاسنالتأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1418 هـ..

72. القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن المعتزلي: شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2: 1988م.

73. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384 هـ. – 1964م.
74. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة، د.ت.
75. كولن، محمد فتح الله: التلال الزمردية (نحو حياة القلب والروح)، دار النيل، القاهرة، ط4: 2010م.
76. كولن، محمدفتح الله: ترانيم روح وأشجان قلب، دار النيل – مصر، ط1: 2012.
77. الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1: 1426 هـ. – 2005 م.
78. ماجدة بهاء الدين السيد عبيد: الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية، دار صفاء، الأردن، ط1: 2008م.
79. مجدي الهلالي: تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، ط1: 2008م.
80. محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط1: 2008م.
81. محمد رشيد بن علي رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 1990م.
82. محمد رضا الحسيني الشيرازي: التدبر في القرآن، ط2: دار العلوم، لبنان، 2010.
83. المراغي، أحمد بن مصطفى: تفسيرالمراغي، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى: 1365 هـ. – 1946 م.
84. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني:تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت.

85. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني:تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت.

86. مرتضى المطهري: الرؤية الكونية التوحيدية، [بلا معلومات نشر].

87. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، **1392** هـ.

88. الهجويري أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي: كشف المحجوب، تعليق: إسعاد عبد الهادي قنديل، ط: دار النهضة العربية بيروت–لبنان **1980**م.

89. الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر: مجمعالزوائدومنبعالفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، **1414** هـ، **1994**م.

90. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمدالنيسابوري: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، **1415** هـ - **1994**م.

91. واين دابليو داير: قوة العزيمة (تعلَّم كيف تُحقّق رغباتك بطريقة خاصة)، مكتبة جرير، الرياض–السعودية، ط**2**: **2008**م.

92. واين داير : في رواق السعادة، ترجمة فوزي وفاء، نشر الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، ط**1**: **2000**م.

93. واين دبليو داير: أوقف الأعذار! (كيف تُغير الأفكار الملازمة لك طوال حياتك؟)،مكتبة جرير، السعودية، إعادة طبع ط**2**: **2012**م.

المراجع الإلكترونية :

1. أمين صبري: برنامج نبئ عبادي (سلسلة ندوات رمضانية) رمضان...، الحلقة (**21**)، "موضوع التزكية". رابط الحلقة على موقع اليوتيوب:
https://www.youtube.com/watch?v=81ezIzLIftM

2. الجامع للحديث النبوي، شركة رواية إيجيكوم للبرمجيات: البرنامج الآلي لتخريج الأحاديث والآثار.

3. الموقع الإلكتروني الرسمي للدكتور أحمد العمري:**WWW.AKOMARI.CO**

4. الموقع الإلكتروني الرسمي للدكتور راغب السرجاني: قصة الإسلام، WWW.ISLAMSTORY.COM
5. الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة، shamela.ws.
6. الموقع الرسمي للأستاذ محمد فتح الله كولن: fgulen.com.
7. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. Wikipedia.org
8. ياسر حارب: عبثية القرن الحادي والعشرين، مقال منشور في مجلة البيان الإلكترونية، بتاريخ 02 أوت 2014، www.albayan.ae

ملخص البحث

إذا تأملنا واقعنا نحن المسلمين في هذا العصر لنتساءل ما هي علاقتنا مع القرآن؟ هل تنطبق أعمالنا وعلاقاتنا الإنسانية وتفاصيل حياتنا اليومية مع توجيهاته؟ وإذا جئنا نقيس أحوالنا الروحانية والنفسية هل هي متوافقة مع سعادة النفس وطمأنينة القلب والحياة الطيبة عموما؛ التي وعد الله بها عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة جميعا؟ الإجابة عن هذه التساؤلات أمر واقعي معاش لا يحتاج إلى إجهاد كبير للعقل.

ويبدو أن المسلم في هذا العصر أصبح يحتاج أكثر من ذي قبل إلى الروح والمنطق العملي.. إلى المفاتيح العملية لينطلق بها في ميدان الحياة فاعلاً مفعلاً، أكثر من حاجته إلى التفكير الطويل والعقيم من الفعالية والإنتاج. ومادامت العلاقة بالقرآن هي علاقة شخصية فردية، قبل أن تكون علاقة اجتماعية، فإن تحسينها وتغييرها والرقي بها إلى المستوى المطلوب كذلك واجب شخصي عيني يتعين على كل فرد مؤمن بربه وبكتابه؛ الذي يخاطبه هو أولا قبل غيره، إلا أن هذه المسؤولية تتفاوت مراتبها حسب استعدادات النفوس ومؤهلاتها ومواهبها الفطرية، وهذا من تمام عدل الله ورحمته بعباده.

من هذا المنطلق جاء البحث، ليثبت أن صلاح حال الإنسان لا يكون إلا بالعودة الحقيقية إلى منبع الهداية "كتاب الله" وأنّ تغيير ما بنا لا يتم إلا بتغيير ما بأنفسنا كما المولى تعالى، ليصل بعدها إلى المفتاح المحقّق لصلاح الحال بالقرآن –بإذن الله– وهو "انفتاح القلب على الحقيقة" بعد أن تُردّ له مكانته من الكينونة البشرية، وما يتطلبه من

عودة المرء إلى ذاته الأصلية وسعيه للتحرر من الأنا، وكذلك عودته إلى الحضور أو الحاضرة، ثم وعيه بأهمية سنّة الابتلاء وتقبلها في صلاح حاله، ومن جملة ابتلائه الشيطان.. وأخيرا بلوغُ الإنسان موهبتَه التي يسِّر لها واشتغالُه فيها، مع وصل نفسه بواهبها، هو عين "شُكر النعمة" والطريق الأقرب لتحقيق الخلافة الإلهية بالقرآن العظيم.

Abstract

Ifwe look atour actuality as Muslimsinthis age in order to ask: what isour relationship with theCoran? Are our actions،humanrelationshipsand all other details ofour daily life، fit inwithhis directives? And ifwe come tomeasureour spiritualand psychological conditions، Is it overallcompatible with thehappinessand contentment of self-heart، andthe good life; which God has promised his believing slavesin this world and in the hereafter? The answerto these questions is a lived reality، and it does not require a largeexhaustionof the mind.

It seems thatthe Musliminthis agehas become more than ever before،in need of the spirit and the practical logic.. ***He is in need of the keys of action to move onin life، effectively leadingto action*** *، more thanhe needsa mere long-time thinking lacking efficiency andproduction.*

As long asthe relationshipwith the Coranisanindividualpersonal relationship،before being asocialrelationship، Its improvement، changing and upliftedit to the required level as well is an individual duty (fard 'aynī) that was prescribed for every Muslim believesin God and his Book، which addresses him before anyone else. However،the grades of this responsibility vary according to their selves' readiness، their qualifications، and their innate faculties، which is a fully God's justice and mercy towards his slaves.

*On that basis، this research cameto prove that the goodness of human condition، is only by returning to the sourceof guidance "the book of God"، and that the change of our condition shall not be concluded without the change of what is in ourselves، as God said. And then to reach to the key thatachieves goodness of human condition by the Coran – God willing- which is the"***openness of hearttothe truth***." After being given back his status of the human being. And all what it requiresthe return ofmantohis original self and seeking outfor his liberation fromthe ego. As well ashis return to "the presence"orthe present moment،Then the conscious of the*

importanceof testing law (Ibtilaa)، and to accept it for the goodness of his condition، and among these tests، he tested him by the Satan'senmity…

*And finally the reach of humanfacultiesthat he is pleased to، and working on it، with relating his self with its Grantor، is the real "T***hank of grace"** *and theclosestpathtothe divinesuccession by the greatCoran.*

فهرس المحتويات

إهداء..1

شكر عرفان..2

مقدمة 4

البابالأول: الإعراض عن العمل بالقرآن الكريم مفهومه وأسبابه ونتائجه.....14

الفصلالأول: مفاهيمأساسيةحولرسالةالقرآنفيحياةالإنسان............18

المبحثالأول: مفهومالإيمانبالقرآنالكريم.............................18

المطلب الأول: مفهوم الإيمان لغةواصطلاحا.............................16

المطلب الثاني: مفهوم الإيمان بالقرآن الكريم...........................25

المبحثالثاني:أهموظائفالقرآنفيحياةالإنسان...........................38

المطلب الأول: الإحياء من موت القلوب.....................................36

المطلب الثاني: الشفاء من علل النفوس.....................................39

المطلب الثالث: الهداية للصراط

المطلب الرابع: تحميل أمانة الاستخلاف.....................................47

الفصلالثاني:مفهومالإعراضعنالعملبالقرآنوالمصطلحاتذاتالعلاقةبهفيكتابالله....53

المبحثالأول: مفهومالإعراضفياللغةوالاستعمالالقرآني.........................53

المطلب الأول: مفهوم الإعراض في اللغة......................................51

المطلب الثاني: مفهوم الإعراض في الاستعمال القرآني

المبحثالثاني: المصطلحاتذاتالعلاقةبالإعراضفيكتابالله.........................72

المطلب الأول: مفهوم الكفر..70

المطلب الثاني: مفهوم التكذيب

المطلب الثالث: مفهوم الكبر والاستكبار

المطلب الرابع: مفهوم الاستغناء..76

الفصلالثالث:الأسبابالرئيسةلإعراضالإنسانعنالعملبالقرآن 81

المبحثالأول:ضعفالرؤيةالكونيةالتوحيدية..................................81

المطلب الأول: ضعف وعي الإنسان

المطلب الثاني: ضعف وعي الإنسان

المطلب الثالث: ضعف وعي الإنسان بكتاب

المبحثالثاني: قلةتمييزالإنسانبينذاتهاالحقيقيةوذاتهاالمزيفة.........................96

المبحثالثالث: غيابحسّالغايةوالرسالةفيحياةالإنسان..........102

المبحثالرابع: سوءالفهمللقدَروعدمرسوخالإيمانبحقيقتهفيالقلوب 106

الفصلالرابع:أهمالنتائجلإعراضالإنسانعنالعملبالقرآن 119

المبحثالأول:نقضالعهدوالميثاقمعالخالقتعالى.................................119

المبحثالثاني: نسيانالللهفيالسراءواليأسمنرحمتهفيالضراء 125

المبحثالثالث: ارتفاعظاهرةالقلقوالاكتئابالنفسي........................133

المبحثالرابع: سيادةثقافةالكرهوعدمالتسامحمعالآخر...........................139

الـبـا بـا لـثـا نـي : علاجا لإعر اضعنا لـعمـلـبا لـقـر آنـا لـكـريـم . رؤيـة عـا مـة ، ومـقـا ربـة خـا صةبـد و رتـزكـيـة الـنـفـس 144..

الفصلالأول: رؤيةعامةفيعلاجالإعراض 145

المبحثالأول: تخصيصورديوميللقرآنتلاوةوتدبرا 145

المطلب الأول: مفهوم التلاوة لكتاب الله..............................144

المطلب الثاني: مفهوم التدبر لكتاب

المبحثالثاني: التوجهنحوالقرآن،اتّباعَاوعملاًبهفيالحياة 154

المبحثالثالث: الأسسالثلاثةلتحقيقالوصالمعالقرآنالكريم 166

المطلب الأول: الصلاة (أو الصلة بالله)..................................166

المطلب الثاني: تزكية

المطلب الثالث: الذكر الكثير

المبحثالرابع: التيقظ لعداوة الشيطان ومداخله إلى النفس.....................183

المطلب الأول: جوهر عداوة الشيطان لبني

المطلب الثاني: الطريق الأسلم للنجاة من إغواء إبليس..........................189

الفصلالثاني: مقاربةخاصةبدورالتزكيةفيعلاجالإعراض 195

المبحثالأول: إحلالالقلبمكانتهمنالذاتالإنسانية..............195

المطلب الأول: مكانة القلب الحقيقية من الذات

المطلب الثاني: واقع الإنسان مع قلبه (أو فطرته) في هذا

المبحثالثاني: الوعيبسنّةاللهفيالابتلاءإيماناًبالقَدَر 208

المطلب الأول: الوعي بأهمية الابتلاء والرضا به علاجا

المطلب الثاني: نماذج من سيرة الأنبياء في تعاملهم مع

المبحثالثالث: وعيالإنسانبذاتهوموهبتهاعلاجاًللإعراض.............218

المطلب الأول: ضرورة الوعي بالذات وموهبتها 217

المطلب الثاني: نماذج من تحقيق الشكر عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام...223

المبحثالرابع: انفتاحالقلبوصدقالعزيمةعلاجاللإعراض.............226

المطلب الأول: حقيقة انفتاح القلب.........................225

المطلب الثاني: تجليات انفتاح القلب في القرآن الكريم 226

المطلب الثالث: صدق العزيمة وأثره في انفتاح القلب وعلاج

خاتمة:..238

الملاحق 244

فهرسالآياتالقرآنية......................................245

فهرسالأحاديثوالآثار.....................................281

فهرسالأعلام...286

قائمةالمصادروالمراجع.....................................293

ملخص البحث:...302

فهرس المحتويات:......................................305